أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

العدد (٥٢٨) شعبان ١٤٣٠هـ - أغسطس ٢٠٠٩م



الديوانية الكويتية
ملتقى ثقافي ومنتدى اجتماعي

فتح الله كولن يكتب لـ «الوعي الإسلامي»:

العشاق المتيَّمون في هذا الزمان



الوعي الإسلامي
على C.D
بشرى سارة
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
قطاع الشئون الثقافية
قراءنا الأعزاء نزف إليكم
بشرى صدور C.D
بصيغة pdf لتوثيق
مسيرة المجلة التاريخية
في رحاب الصحافة الهادفة
خلال ٤٦ عاما
٤٦ عاماً من العطاء
المجموعة الكاملة المصورة لمجلة الوعي الإسلامي
الجزء الثاني
الأعداد من (٢١٣) إلى (٥٢٦)
المجموعة الكاملة المصورة لمجلة الوعي الإسلامي
الجزء الرابع
من العدد (٤٢١) إلى (٥٢٦)
www.alwaei.com
مجلة كويتية شهرية جامعة
الجزء الأول
الكشاف العام + العدد (١) إلى (١٥٦)
www.alwaei.com
الجزء الثالث
من العدد (٣١٣) إلى (٤٢٠)
الجزء الثاني
من العدد (١٥٧) إلى (٣١٢)
info@alwaei.com - www.alwaei.com
الكويت - المسجد الكبير - ١٨٤٤٠٤٤ - ٢٢٤٦٧١٣٢ - فاكس - ٢٢٤٧٣٧٠٩

المجالس والجلساء

المجلس والديوان والنادي والمنتدى أماكن اجتماع القوم ومتحدثهم فالإنسان أكثر حاجة للاجتماع من جميع المخلوقات، لأن من المخلوقات ما يستقل بنفسه عن جنسه، والإنسان مطبوع على الافتقار إلى جنسه، واستعانته به صفة لازمة لطبعه، والله خلق الخلق بتدبيره وفطرهم بتقديره، خلقهم محتاجين، وفطرهم عاجزين، وجعل لنيل حاجة الإنسان أسبابا، فهو مدني بطبيعته، والدنيا لم تكن قط لجميع أهلها مسعدة، ولا عن ذويها كافة معرضة، لأن إعراضها عن جميعهم عطب، وإسعادها لكافتهم فساد، لائتلافهم بالاختلاف والتباين، واتفاقهم بالمساعدة والتعاون، فإذا تساوى جميعهم لم يسلك أحدهم إلى الاستعانة بغيره سبيلاً، وفي هذه المجالس تراعى المصالح من تعاهد بعضهم بعضا، ومذاكرتهم في أمور الدين ومصالح الدنيا وترويح النفوس بالمحادثة في المباح ودلهم على ما يزيل المفسدة من الأمور المذكورة، ولكل من هذه الآداب والمصالح وترك المفاسد شواهد من الشريعة، لئلا يضعف الجالس عن أداء الحق الذي عليه، ويسلم من التعرض للفتنة، وذلك بكف الأذى، وحتى يسلم من الاحتقار والغيبة والنميمة ونحوها، واستعمال جميع ما يشرع من الآداب الشرعية والعرفية، وترك جميع ما لا يشرع من مساوئ الأخلاق، وسد الذرائع لطلب السلامة، والتخلق بكل خلق كريم، وترك طاعة كل هماز مشاء بنميم، ومن خير المجالس المؤاخاة بالمودة، لأنها تكسب بصادق الميل إخلاصا ومصافاة، وتحدث بخلوص المصافاة وفاء ومحاماة، لذلك آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه لتزيد ألفتهم ويقوى تضافرهم وتناصرهم، وقيل: الجلساء ثلاث طبقات، طبقة كالغذاء لا يستغنى عنه، وطبقة كالدواء يحتاج إليه أحيانا، وطبقة كالداء لا يحتاج إليه أبدا، وإياك من صحبة ومجالسة الأشرار والثقلاء والسفهاء، فإنها تورث سوء الظن بالأخيار، ومن خير الاختيار صحبة الأخيار، ومن شر الاختيار صحبة الأشرار، فمجالسة الثقيل حُمى الروح.

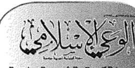
ومجالسة السفيه سفاه رأي
ومن عَقْلٍ مجالسة الحكيم
فإنك والقرين معا سواء
كما قُدَّ الأديم من الأديم

«فالمجالس بالأمانة وهي عن الخيانة مصانة»

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

في هذا العدد



مجلة كويتية شهرية جامعة
تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي
العدد ٥٢٨
العام السادس والأربعون
شعبان ١٤٣٠ هـ
أغسطس ٢٠٠٩ م

المراسلات
رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١
البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
manager@alwaei.com











التوزيع

وكيل التوزيع المجموعة التسويقية لتوزيع الصحف والمطبوعات
هاتف: ٢٤٩١٩٦٢٠ - فاكس : ٢٤٨٣٩٤٨٧

• السودان . الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت ٧٩٣٢٨٣ (٠٠٢٤٩١١) نقال ٢٩٩٥ (٠٠٢٤٩١٢٣٠) ف ٧٩٣٢٨٤ (٠٠٢٤٩١١) •اليمن - عدن - ص.ب ٦٤٨ - ت ٢٥٥٦٩٢ / ٢٥٥١٧٠ (٠٠٩٦٧٢) ف ٢٥٩١٦٣ - دار ومكتبة ٢٦ سبتمبر •لبنان - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات - ت ٢٧٧٠٨٨ / ٢٧٧٠٠٧ ٠١ (٠٠٩٦١) ص.ب ١٨٤/٢٥ •سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت ٢١٢٦٢٩٨ / ٢١٢٠٣٢٩ (١١ ٠٠٩٦٣) ف ٢١٢٢٥٣٢ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات •الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت ٤٦٣٠١٩١ / ٤٦٣٠١٩٢ (٦٢٦٩٠٠) ف ٤٦٣٥١٥٢ •مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع •الإمارات العربية المتحدة - دبي - ص.ب ٦٠٤٩٩ - ت ٢٦٢٣٩٢٠ (٠٠٩٧١٤) ف ٢٦٦٣٧٦٨ - شركة الإمارات للنشر والتوزيع •مصر - القاهرة - شارع الجلاء . رمز بريدي ١١٥١١ - ت ٥٧٩٦٩٩٧ (٠٠٢٠٢) ف ٣٣٩١٠٩٦ - دار الأهرام •المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع •المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت ٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢٠١٢٢) ف ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية للتوزيع والصحف •سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذبية . رمز بريدي ١٣٠ - ت ٥٩٧٤٥٦ / ٥٩١٩١٩ (٠٠٩٦٨) ف ٥٩٣٢٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع •قطر - الدوحة - ص.ب ٦٣٣ - ت ٤٣٥٦٠٠١ (٠٠٩٧٤) ف ٤٣٢٥٨٧٤ - دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر.

موضوع الغلاف



المفكر التركي فتح الله كولن يجول بالقراء في الآفاق الفكرية ليقدم رؤية ثاقبة لمعالم الشخصية الإسلامية التي تمثل الإسلام بحق في ربوع الإنسانية للوصول إلى عالم السعادة الدنيوية.

داخل العدد

كلمة العدد

الإعلام.. بيد من؟

من المعلوم أن وسائل الإعلام اليوم باتت من أخطر أسلحة الرأي العام، حتى إن بعض المراقبين وصفها بأنها القوة الأولى للسيطرة على العالم.

وتعد الصحافة أقوى قنوات الاتصال الجماهيري، لما تمثله من دور استراتيجي في تشكيل الرؤى وصناعة القرار وتوجيه الرأي العام.

ولكن هذه الوسيلة تعاني هجرة العقول العربية والإسلامية الكفؤة لقيادتها، حتى تؤدي رسالتها النبيلة والرصينة في خدمة الإنسانية علميا وفكريا وثقافيا.

وهذه الوسيلة تحتاج إلى تربية النشء تربية إعلامية صحيحة، بالإضافة إلى زرع القيم والمبادئ الوطنية والإسلامية، والحرص على قيادة المجتمعات بطريقة علمية فيها حكمة وموعظة حسنة.

والأمة العربية والإسلامية في أمسِّ الحاجة إلى أن تملك وسيلة قادرة على إنارة عقول الشعوب و«غسل دماغ» الرأي العام العالمي حول الصورة الذهنية السلبية عن الإسلام والمسلمين، فلم يعد لدينا الظلامي الرجعي، المتخلف، بل أصبحنا علماء ومخترعين وشجعانا نسعى لقيادة البشرية إلى بر الأمان والاطمئنان.

«الوعي الإسلامي»

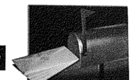
الأسعار

•الكويت: ٥٠٠ فلسا •السعودية: ٧ ريالات •البحرين: ٥٠٠ فلس •قطر: ٧ ريالات •الإمارات: ٧ دراهم •سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة •الأردن: دينار واحد •مصر: ٢ جنيه •السودان: ٥٠٠ جنيه •موريتانيا: ٢٠٠ أوقية •تونس: ٢ دينار •الجزائر: ١٠ دنانير •اليمن: ٧٠ ريالا •لبنان: ٢٠٠٠ ليرة •سورية: ٣٠ ليرة •المغرب: ١٠ دراهم •ليبيا: دينار واحد •اوروبا: ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله •اميركا ودول العالم: ٣ دولارات أو مايعادلها.

الاشتراكات

- داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير - للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيا
- الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارا كويتيا (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات : ٢٥ ديناراً كويتياً (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)





لماذا لا يكون الإنسان متسامحًا؟

لماذا لا يكون الإنسان متسامحا مبتسما؟ علمتني الحياة أن أكون شجاعا، إذا أسأت إلى الناس أعتذر لهم عما بدر مني عن طيب خاطر، وإن أساء إلي الناس أعفو عنهم وأسامحهم، وهذا من شيم الكرام، وتعلمت من الحياة أن القناعة بالقليل تحقق لي السعادة، وتشعرني دائما بالرضا والطمأنينة.

إن الخوف من المجهول، ومفاجآت القدر، ومعارك الحياة يصيبني بالقلق واليأس، والانتصار عليه لا يكون إلا بالثقة في النفس، والإيمان الصادق والبذل والتضحية، والعيش بالأمل، ما أروع أن نعيش مع كل أمل يولد من رحم نفوسنا، وما أجمل أن نستنشق مع كل زهرة عطر الأمل، وأن ننفض غبار الكسل، وأن نصر على أن نستيقظ مع نسمات الفجر لننسج من خيوط الشمس للحياة ألف أمل، وكالحلم الجميل دائما في رقته يأتي الأمل كالنسيم، وأينما وجد الأمل أشاع في النفوس والأرواح بهجة، وفي القلوب فرحة، وفي العقول نشوة كأعذب ما غرد به طائر من ألحان الحب والأمل، لماذا لا يكون الإنسان رقيقا عطوفا، حنونا رؤوفا يصنع البسمة على الوجوه الحزينة، ويمنع الدمعة من العيون الباكية، يشارك الناس أفراحهم وأطراحهم على رصيف الحياة؟ لماذا لا يكون الإنسان عونا للملهوف، مساندا للمحتاج؟ إن كان كذلك وجد الجميع من حوله يسعدون لرؤياه، ويتمنون لقاءه، ويتسابقون من أجل أن يظفروا بمودته وصداقته، ولماذا لا يبتسم الإنسان؟ فالبسمة ومضة أمل على جبين النهار، والأمل واحة وارفة الظلال.. أشجارها مساكن لهذه الحياة، إن نبض الكون داخلنا يحملنا إلى كل غاية نبيله، ابتسم يا أخي للشر يذهب، وللدهر يصفو، وللشدائد تضحك أمامك، حاول يا أخي أن تمسح دموع الباكين، وتخفف شكوى الملتاعين، وتضع البسمة على وجوه العابسين فتنال رضا رب العالمين!

■ **محمد شفيق سليمان**

وإذا الموءودة سئلت!

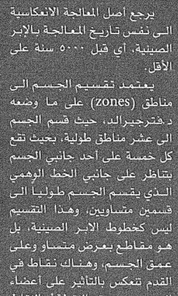
إلى أبناء صهيون. هل يجيبون عندما يسألو إذا الموءودة في فلسطين سُئلت بأي ذنب على يد هؤلاء الزبانية قتلت؟ ولم النساء رملت، والأمهات مزقت، والأجساد الطاهرة هتكت، والبيوت دكت، والمساجد خربت، والمدارس أزيلت، والحوامل أجهضت، والزروع دمرت، والجموع أسرت؟

بل ما الداعي أيها الوحوش لأن تقدموا الى ما أقدمتم عليه من مجازر بشرية باستخدام الأسلحة المحرمة دوليا؟

هل لأنكم أهل الوحشية وتاريخكم هو الحافل بكل رزية، أم لأنكم لا تؤمنون إلا بعنصر القوة وتتلاعبون بالمبادئ الإنسانية وتستهينون بكل ما يمت للعربية؟ وأحيطكم علما بأن الله سيأخذكم من حيث لا تحتسبون بالصبح أو العشية، وانظروا إلى أطفال غزة، لا قبل لكم بهم يا أبناء الصهيونية، فقد خرج الأطفال من ركام الموت يصفعونكم بالإدانة بأعمالكم المخزية، ويصرون على إزالتكم على الفورية.

■ **ناهد السيد شعبان**

المعالجة الانعكاسية





يرجع أصل المعالجة الانعكاسية الى نفس تاريخ المعالجة بالإبر الصينية، أي قبل ٥٠٠٠ سنة على الأقل.

يعتمد تقسيم الجسم الى مناطق (zones) على ما وضعه د.فترجيرالد، حيث قسم الجسم الى عشر مناطق طولية، بحيث تقع كل خمسة على أحد جانبي الجسم بتناظر على جانبي الخط الوهمي الذي يقسم الجسم طوليا الى قسمين متساويين، وهذا التقسيم ليس كخطوط الابر الصينية، بل هو مقاطع بعرض متساو وعلى عمق الجسم، وهناك نقاط في القدم تنعكس بالتأثير على أعضاء الجسم بحيث تقع النقطة أو النقاط الخاصة بعضو ما في نفس المنطقة الطولية التي يقع فيها هذا العضو.

المثالية الواقعية

الواقعية تعني أن الاسلام يعمل على بلوغ الدرجات الممكنة من الحياد في التعامل مع الواقع، فلا يضع غشاءً من الفكر المسبق على عقل الإنسان وهو يدرك الواقع، ولكن المسألة ليست بهذه البساطة، لأن تجريد النظر الى الواقع من الفكر المسبق ليس كافياً لتحديد ما يمكن اعتباره واقعياً مما يمكن إدراكه من هذا الواقع، فالماديون يحاولون اختزال الادراك الواقعي للحقائق في المدركات المادية فقط، مع أن الموضوعية تقتضي اعتبار كل ما يمكن ادراكه من الحقائق الفاعلة في الواقع حقائق واقعية، فكما ان الحقائق المادية واقع فإن الحقائق الروحية ايضا واقع، وكما ان قوى الانسان وامكاناته وغرائزه واقع فإن مشاعره وطموحاته وارتقاءه واقع أيضاً، والواقعية الحقيقة هي التي تعني وضع كل هذه المدركات في الإطار التصوري للفنان.

لكن الواقعية لا تعني الوقوف عند حد الإدراك السلبي للواقع، فإن جاز هذا في الواقع الطبيعي، فإنه لا يجوز في إدراك العلاقات السائدة بين البشر، فإدراك وجود الحق أو الباطل في الواقع لا يقوم على أسس كمية، بل يستند في الضرورة الى قيم



ولقد قدمت نظريات عدة في تفسير كيفية عمل المعالجة الانعكاسية، وتم اثبات تأثيرها على الدورة الدموية والاعصاب، حيث ان الدورة الدموية الصحية مهمة جداً لأداء الوظائف بالشكل الصحيح لكل اعضاء الجسم، فالدم هو ناقل المواد الغذائية الى كل الانسجة، وهو الذي يحمل منها الفضلات لطردها، أما الجهاز العصبي، فإن ٧٠ في المائة من المشاكل سببها شد عصبي في مناطق الجسم المختلفة، والمعالجة الانعكاسية مفيدة جداً في تقليل هذا الشد، مما يجعل هذه المناطق المختلفة في حالة استرخاء وبالتالي تستطيع أن تؤدي وظائفها بشكل أفضل.

وباختصار فإن المعالجة الانعكاسية تساعد القوة الشفائية الموجودة في الجسم على العمل دون اللجوء الى الأدوية الخارجية.

د. أسماء رجب الطناني

مستقلة، تستطيع التمييز بين الحق والباطل، مهما حوصر الأول أو شاع الثاني.

كما أن إدراك الواقع لا يعني إقراره، فتلك هي الواقعية التي لا يفهمها سوى الضعفاء والانهزاميين، والتي لا تعني الواقعية بالنسبة لهم سوى الاستسلام للأمر الواقع، فالواقعية الإسلامية تعني اقتحام الواقع، والتصارع مع الباطل، وعدم الاستسلام لمعطياته، حتى لو نجح في فرض نفسه أمراً واقعاً بالفعل، ما دامت هناك الإمكانات لتغييره.

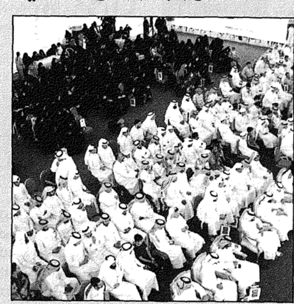
ووجود الامكانات الدائمة لتغيير الباطل من مقتضيات العقائد الإسلامية.

قارئ غيور

تعزية

تتقدم أسرة التحرير بأحر التعازي لأسرة مدير المساجد السابق في وزارة الأوقاف خالد حمد الجيران سائلين الله أن يرحمه ويعفو عنه وأن يلهم أهله الصبر والسلوان.

التخصص باب للإبداع الدعوي



هناك دعاة متميزون حباهم الله مواهب كثيرة وملكات متعددة، وأمثال هؤلاء يحملون من أعباء الدعوة وأعمالها أكثر من غيرهم، ولكن الخطأ يقع عندما تسند إليهم معظم المهمات وتحال عليهم أكثر الواجبات دون مراعاة لقدراتهم وطاقاتهم ونفسياتهم، ودون ملاحظة جانب التخصص والاتقان، اذ قد يكون الواحد من هؤلاء متعدد المواهب في الاتصال بالناس وتأليف قلوبهم وكسب ثقتهم والتأثير في سلوكياتهم، وهو في هذا مبدع ظاهر التميز لكنه ليس بالضرورة جيداً في ميدان الكتابة أو التخطيط أو الخطابة، فتكليفه حينئذ بشيء من ذلك وضع للأمر في غير موضعه وإسناد له لغير أهله، وفيه إرهاق قد يفتر معه حماس الداعية أو ينقطع عمله، كما أنه يلغي وجود الدعاة الآخرين من حوله فيعيشون في فراغ قاتل، وتضعف ثقتهم بأنفسهم.

إن مبدأ التخصص لابد أن يحترم في العمل الدعوي، فلا مجال للمبالغة في تقدير الموهوبين واعتبار أنهم صالحون لكل عمل وناجحون في كل مهمة، وأن الواحد منهم يمكن أن يكون المربي الناجح والسياسي المحنك والاجتماعي المحبوب والكاتب الموهوب والخطيب المفوه، وهذا مع فرض امكانية كونه موهبة، فغير ممكن من حيث الطاقة والامكانية الواقعية.

وعندما يراعى التخصص والرغبة، فإن ذلك يؤدي الى نمو القدرات والمهارات لدى الداعية في هذا الجانب، فيكون هو الذي يسد الثغرة في كل جانب من جوانب الحياة.

محمد عامر

واحدة من كبرى المؤسسات الإنسانية الناشطة في ٩٠ دولة

الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية.. ٢٥ عاما من العطاء

رجب الدمنهوري

نشاط الهيئة تجلى في إغاثة المنكوبين وتقديم المساعدات الإنسانية للأيتام والفقراء وإقامة المشاريع التنموية والإنتاجية والتعليمية والصحية

مع ارتفاع معدلات الفقر وتراجع عملية التنمية ووقوع العديد من الكوارث والنوازل في دول العالم الإسلامي، نشط العمل الخيري الكويتي ليكون همزة الوصل الفعالة بين المانحين والمستفيدين، متلمسا احتياجات المعوزين والمساكين والمنكوبين، وساعيا إلى العمل على تلبيتها من خلال إنشاء المشاريع الإنسانية والبرامج الاغاثية والإنتاجية التي ترعاها المؤسسات والجمعيات الخيرية المنتشرة في أنحاء البلاد.

وتعد الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية التي تتخذ من الكويت مقرا لها واحدة من كبريات المؤسسات العاملة في الحقل الإنساني على مستوى العالم الإسلامي، ويعود تأسيسها إلى عام ١٩٨٤م، عندما نادى العلامة د.يوسف القرضاوي في مطلع العام نفسه خلال مؤتمر للمصارف الإسلامية- كان منعقدا في الكويت- بضرورة جمع مليار دولار لاستثمارها والانفاق من عائدها لمقاومة ثالوث الخطر الذي يعاني منه المسلمون والمتمثل في الفقر والجهل والمرض، عبر مؤسسة خيرية عالمية يكون شعارها «ادفع دولارا تنقذ مسلما».

وجاء هذا النداء ردا على قيام عدد من الجمعيات التنصيرية بجمع مليون دولار في مؤتمر كلورادو الشهير للإنفاق على الأنشطة التنصيرية تحت شعار «ادفع دولارا تنصر مسلما»، وعندئذ استحسن المفكرون والعلماء المجتمعون في المؤتمر الفكرة، وأخذوا يتحركون في اتجاه إنشاء الهيئة الخيرية وجلب الدعم لها من جميع الدول العربية والإسلامية لتقوم بهذا الدور في خدمة الإسلام والمسلمين، وكان لكوكبة من رجالات الكويت بصمات واضحة في اقامة هذا الصرح، ومن بينهم العم الراحل عبدالله المطوع رحمه الله، ورئيس الهيئة الحالي يوسف الحجي، والاقتصادي المعروف العم أحمد بزيع الياسين، ورئيس جمعية النجاة الخيرية أحمد سعد الجاسر وغيرهم، حيث تبنوا هذا المشروع بهمة عالية، وعرضوا فكرته على القيادة السياسية التي رحبت بالمشروع، وكانت خير داعم له، وعندئذ صدر مرسوم أميري بنشأتها عام ١٩٨٦م.

وعلى مدى ٢٥ عاما انطلقت الهيئة الخيرية كمؤسسة عالمية في الفضاء الخيري والإنساني، تجمع التبرعات، وتقيم المشاريع، وتنفق من عائد استثمارها، على العديد من الأنشطة التي اضطلعت بها في نحو ٩٠ دولة، وتجلت جهودها في إغاثة المنكوبين من جراء الكوارث، وتقديم المساعدات الإنسانية للأيتام والفقراء، وإقامة المشاريع التنموية والانتاجية في المجتمعات الفقيرة، وإنشاء المدارس النموذجية العصرية والجامعات وكفالة معلميها وأساتذتها، وإقامة المستشفيات والمراكز الصحية وتسيير القوافل الطبية في المناطق الفقيرة وتقديم الخدمات الاجتماعية والثقافية وحفر الآبار وبناء المراكز الإسلامية ودعم الأقليات المسلمة وتنظيم مشاريع موسمية مثل إفطار الصائم ومشروع الأضاحي وكسوة العيد وحقيبة المدارس.

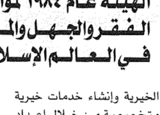
لجان متخصصة

وفي سياق عملها المؤسسي وسعيا إلى تنفيذ هذه الأنشطة بمستوى عال من المهنية تبنت الهيئة فلسفة التخصص في العمل الخيري سواء على المستوى المحلي أو العالمي فأسست لهذا الغرض لجانا عدة، واحدة تختص بالعمل في منطقة جغرافية محددة وأخرى في مجال معين، وثالثة تكرس جهدها في رعاية شريحة بذاتها، وتسهم هذه اللجان في تقديم نموذج متكامل للعمل الخيري الإسلامي بهدف دعم جميع شرائح المجتمع، وقد نجحت في اقامة عشرات الآلاف من المشاريع الخيرية.

لجنة مسلمي آسيا

تعتبر لجنة مسلمي آسيا التي أسست في ١٩٨٩م من أكبر لجان الهيئة حيث تقدم خدماتها إلى ما يزيد على ٨٢٥ مليون نسمة في القارة الآسيوية أي ما يقارب ثلاثة أرباع تعداد المسلمين في العالم، وتهدف إقامة المشروعات الإنسانية والتعليمية والاجتماعية في القارة الآسيوية لخدمة الطبقات الفقيرة والتنسيق والتعاون مع الجهات العاملة في اختصاصات

القرضاوي دعا إلى تأسيس الهيئة عام ١٩٨٤ لمواجهة الفقر والجهل والمرض في العالم الإسلامي



اللجنة نفسها في سبيل تحقيق الأهداف الإنسانية التي تسعى إليها الهيئة، وقد نجحت اللجنة في تقديم مساعدات مادية ومعنوية لأكثر من ٤٠ قومية يتحدثون ٤٥ لغة من الجمهوريات الإسلامية في مجالات بناء مساجد جديدة وترميم القديم منها وإقامة المدارس، خاصة تلك التي تهتم بالتعليم الإسلامي وتكثيف النشاط الثقافي في التلفزيون والإذاعة.

لجنة فلسطين

أسست لجنة فلسطين عام ١٩٨٨م بهدف إغاثة الشعب الفلسطيني المتضرر من الاحتلال وتعزيز روح التضامن الإسلامي للشعب الفلسطيني في معاناته المعيشية وتنفيذ المشاريع الإنتاجية وبرامج التنمية الاجتماعية والصحية وتقديم العون الأكاديمي والمادي لطلبة العلم والاهتمام بالتراث والمقدسات الإسلامية والمعالم التاريخية لأرض القدس الشريف، وحرصت اللجنة على دعم الجانب التعليمي من خلال إنشاء صندوق الطالب الفلسطيني لمساعدة الطلبة المحتاجين والأيتام، وكذلك كفالة طلاب في مراحل التعليم الجامعي والماجستير والدكتوراه.

اللجنة النسائية

أسست اللجنة النسائية عام ١٩٩٨م بهدف زيادة الوعي بالعمل الخيري التطوعي لدى شريحة النساء ودعوتهن الى المشاركة في الأنشطة الخيرية وإعداد فريق نسائي قيادي من السيدات النشيطات في مجال العمل الخيري والبرامج التطوعية وجمع التبرعات للهيئة الخيرية وإنشاء خدمات خيرية متخصصة من خلال إعداد برامج تدعم مشاركة النساء والفتيات والشباب والأسرة في مجال العمل الخيري.

لجنة الشروق

تسعى لجنة شروق للعناية بالشباب وتهيئة الفرص لهم للنمو الروحي والفكري والاجتماعي ليكونوا أعضاء صالحين في مجتمعاتهم ومثلا عليا للآخرين، وتقوم اللجنة بأنشطة متنوعة لتوفير الجو المناسب للشباب لكي يشبوا أفرادا صالحين نابغين يتمتعون بروح المسؤولية والإقدام ويكونوا قادرين على مواجهة تحديات العصر، ومن أهدافها تدعيم التوجهات الصحيحة والعادات الحسنة في شخصية الشباب بنشر الثقافة الدينية وتقديم النماذج السلوكية الصحيحة.

ساعد أخاك المسلم

تسعى لجنة «ساعد أخاك المسلم في كل مكان» ذات النشاط الثقافي والتعليمي التي أسست في عام ١٩٨٣م الى تركيز عملها داخل الكويت، ومن خلالها تسهم مجموعة من السيدات الناشطات في دعم أنشطة الهيئة، ومن مشاريع اللجنة انشاء مدرسة تحفيظ القرآن الكريم ومشروع كفالة طالب العلم في الكويت وخارجها والدورات العلمية والتربوية (النهج التربوي في ظل الإسلام) ودورات تربوية اجتماعية ثقافية ودورة الأم والطفل ومشاريع اليوم العائلي والنادي الصيفي والإعداد التربوي للشابات والتعاون مع جمعيات النفع العام، والمشاركة في الندوات والمؤتمرات على مدار العام وإنشاء مدرسة الرؤية ثنائية اللغة.

العمل الخيري المشترك

تحتضن الهيئة اللجنة الكويتية المشتركة التي أسست فى أواخر الثمانينيات على اثر الفيضانات العارمة التي ضربت بنجلاديش، في تلك الحقبة وراح ضحيتها آلاف الموتى وأسفرت عن تشريد أكثر من ٣٠ مليون مسلم، وتدمير محاصيلهم الزراعية ومئات الآلاف من المساكن، وانتشار الأمراض والأوبئة والمجاعات.

وتجسد اللجنة نموذجًا متميزًا للعمل الخيري الإسلامي ومظلة تسيقية للعمل المشترك؛ حيث لا تتوانى عن نداء الأخوة الإسلامية والواجب الإنساني.

معًا لا يعود السائل إلى السؤال

ترفع الهيئة ضمن برامجها ومشاريعها الخيرية شعار «معًا لا يعود السائل إلى السؤال»، وقد نجحت في تحويل هذا الشعار إلى مشاريع إنتاجية في اطار سياسة التمكين التي تنتهجها، وهي مشاريع ذات طابع تدريبي وتأهيلي، يعود بالفائدة على الفقير والمحتاج، ويحول السائل إلى عنصر منتج وفعّال في مجتمعه ووطنه من خلال تعليمه حرفة أو تدريبه على مهنة أو تمليكه مشروعًا إنتاجيًا صغيرًا زراعيًا أو حيوانيًا أو مهنيًا.

ابن مدرسة تحي أمة

التعليم يعد في فكر واستراتيجية الهيئة أحد الروافد المهمة في تنمية المجتمعات الفقيرة عبر القضاء على الأمية ومكافحة الجهل والتخلف والحفاظ على هوية الأمة الإسلامية، لذا أولت الهيئة القضية التعليمية اهتماما خاصا بدعمها إنشاء المدارس والمعاهد والجامعات والمراكز الثقافية الاجتماعية لما تقوم به هذه المؤسسات من دور مهم في محاربة الفقر وتهيئة الفرص لأبناء تلك المجتمعات للمشاركة الفعالة في تحسين أوضاع مجتمعاتهم.

برنامج التعاون مع الإيسيسكو

برز نشاط الهيئة واضحا على الصعيد الإقليمي من خلال تفعيل بروتوكول التعاون مع منظمة الايسيسكو عبر اقامة الندوات والبرامج والمشاريع الإنمائية في تونس والمغرب وإيران، وتنظيم لقاءات مع رؤساء المراكز الإسلامية في آسيا، وإقامة ورش عمل في السودان لإعداد مناهج المدارس القرآنية، وعقد ندوة عن دور وسائل الإعلام في إبراز صورة الإسلام ومعالجة ظاهرة «الإسلاموفوبيا»، وإقامة دورات تدريبية للأئمة والخطباء والمعلمين لتنويرهم بطبيعة التحديات وكيفية مواجهتها.

المشرف العام على مجلة «حراء» التركية د. نوزاد صواش في حوار خاص:

الإنسانية في أمسّ الحاجة إلى الإسلام.. والإسلام في أمسّ الحاجة إلى من يمثلونه بحق

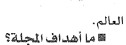
قلبنا ينبض من أجل الرسالة التي انطلقت من «حراء» وانتشرت في العالم

حوار: سليمان الرومي وعبادة نوح



مجلة «حراء» التركية الناطقة باللغة العربية بادرة طيبة للعمل في خدمة الثقافة والفكر والحضارة والإنسانية بلغة وسطية عنوانها الإسلام. فمن ضفاف البسفور تفتحت زهرة في برعمها، زهرة يريد القائمون على سقيها ورعايتها أن يصل عبيرها إلى دمشق والقاهرة والرباط والقدس والمدينة ومكة المكرمة.

ولعل حرصها على أن تكون ملتقى للتواصل والتقارب، وجسراً للمحبة والتعارف والتفاهم لتستوحي المعاني في رسم الطريق المستقيم، يفرض علينا حسن الاستقبال والتفاعل، ففي «حراء» تلتقي الجوهرية العظيمة للانسان مع عمق أعماق الحياة ولباب الإسلام.. «الوعي الإسلامي» زارت «حراء» في اسطنبول مدينة القباب والمآذن التي يفوح منها عطر التاريخ للتعرف على هذه التجربة الفريدة، والتقت المشرف العام على المجلة ورئيس التحرير د. نوزاد صواش لتقدم صورة عن قرب للقارئ.. فإليكم نص الحوار.



■ في البداية نرحب بالأستاذ نوزاد صواش رئيس تحرير -أو المشرف العام على- مجلة «حراء»، ونود أن تقدموا أنفسكم كمجلة «حراء» للجمهور العربي والإسلامي.

– مجلة «حراء» هي أول مجلة تركية تصدر باللغة العربية، وكما ترون فـ «حراء» هي في قلب العالم العربي وقلب العالم الإسلامي، فمعناها ورسالتها متضمنان في اسمها، نحن قلبنا ينبض في «حراء»، وينبض من أجل الرسالة التي انطلقت من «حراء» وانتشرت في كل أنحاء العالم نورا.

ومجلة «حراء» ثقافية علمية شاملة، فيها دراسات إسلامية وبحوث علمية وقضايا فنية وأدب وكل ما يهم الإنسان، فهي مجلة فكرية وليست سياسية، لكنها تنظر الى كل هذه القضايا من منظور إيماني، وتركز على الفكر الوسطي والاعتدال وتتحدث باللغة العربية، لأن الوحي السماوي نزل على «حراء» باللغة العربية، وانطلق الى كل الارجاء باللغة العربية، فنحن نحاول أن يكون كل ما ننشره موافقا للروح التي انبثقت من غار «حراء» الى كل العالم.

■ ما أهداف المجلة؟

– عندما تنظر الى مجلة «حراء» تجد أنها تحولت الى منتدى، فيه مفكرون وعلماء من تركيا وأوروبا وأوراسيا، ومن الشرق الأقصى من المغرب ومن الجزائر والأردن ومن سورية ومن مصر ومن كل العالم العربي، فنحن نؤمن أن هذه المنتديات ينبغي أن تقول للإنسان هذا هو الإسلام الجميل.

فـ «حراء» قربت المثقف التركي إلى العالم العربي لاسيما أن القطيعة كانت موجودة ومصطنعة ما بين العالمين التركي والعربي، فينبغي ان نزيل هذه الصورة.

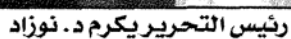
الإنسان اليوم يعاني من فراغ في القلب والعقل والسلوك

إن أحد أهداف «حراء» مد الجسور وإنشاء ساحة يلتقي فيها علماء ومفكرو الأمة الذين يحملون همَّ المسلمين، ويؤمنون أن المستقبل يقوم على البناء والانشاء والعمل الايجابي، وأن هذا هو الطريق الصحيح.

■ ما رؤيتكم؟

– بشكل عام نتناول القضايا التي تتعلق بالانسان، لكن نتناولها بصورة متكاملة، تأخذ في الحسبان شعور القارئ، فعندما يقرأ مادة عندنا يتغذى عقله وقلبه في الوقت نفسه، ونحاول عند تناول القضايا المتعلقة بالعلوم أو الأدب أو الدراسات الإسلامية أن نقدم فيها نصيب القلب ونصيب





رئيس التحرير يكرم د. نوزاد



وفد المجلة في ضيافة رئيس جامعة الفاتح

العقل، ومن خلال هذه المقالات التي تنشر يمكن أن نقترب من الخطاب الذي يجمع بين العقلانية والروحانية، ما بين العقلي والقلبي، ما بين الفكري والواقعي، وكل ما يقدم مبادرات وإضافات جديدة.

وأول مبادرة ربما هي هذه اللقاءات والجسور التي بدأت تمتد بين المفكر العربي والمفكر التركي.. هذا التقارب الذي بدأ يزيل السلبيات التي كانت مغروسة في الأذهان.

■ من الواضح أن هناك كثيراً من الردود الإيجابية في الشارع العربي الإسلامي تجاه «حراء».. كيف ترون هذه الردود؟

– «حراء» عندما ولدت لم تكن المبادرة منها مباشرة، فهي ولدت ولادة طبيعية، فسياسة «حراء» تواصل فكري وعلمي بيننا وبين العالم العربي، خاصة علماء مصر والمغرب، فهم قالوا: لماذا لا تصدرون مجلة باللغة العربية تكون ملتقى للفكر الوسطي المعتدل، الأمر الذي دفعنا للبدء فعلاً، وكانت مشاركة كبيرة جداً من المشرق العربي وعلى رأسه مصر والمغرب، ثم بدأنا نعقد ندوات تعريفية في العواصم العربية، وقد رأينا ان هناك شوقاً كبيراً الى النفس والروح الآتية من تركيا. هذه النفس عندما توافق أنفاس العالم العربي يكون هناك التقاء طبيعي، فوجدنا ترحيباً كبيراً جداً يفوق الخيال، هذا إذن يدل على أن الأمة بكل شعوبها تعلمت بعض الأشياء من تجربتها المريرة أوصلتها الى مستوى الوعي.

البشرية تحتاج إلى رؤية الإسلام لتعيش ربيعاً جديداً الإعلام العربي مطالب باحترام الآخر والتركيز على المضمون العلمي وتقديم الطرح العقلاني والثقة بالقيم التي ينتمي إليها

لذلك «حراء» عندما صدرت متناسبة مع ما يفكر فيه الشارع العربي والمفكر العربي وجدت إقبالاً كبيراً، وهذا ما تؤكده المبيعات خلال السنوات القليلة، فرغم المتاعب التي يعانيها التوزيع في العالم العربي فإن المبيعات تجاوزت ٣٠ ألف نسخة.

ونحن الآن في السنة الرابعة ومع ذلك وجدنا إقبالا في المعارض التي تشارك فيها «حراء»، وبالفعل نجحنا في إيجاد اللغة المناسبة للتفاهم، لأن الناس عاشوا فترة إحباط.

■ ما الشريحة المخاطبة من «المجلة»؟

– المثقف المتوسط، ومع أن أغلبية من يكتب في «حراء» أكاديميون، فإنهم يكتبون بأسلوب يتناسب مع المثقف المتوسط، لكن أحيانا نستهدف شريحة فنجد أن شريحة أخرى استفادت.

■ ينسب البعض كل ما هو إسلامي آت من تركيا الى التصوف، كيف ترون هذا الأمر؟

– المجلة موجودة بين الأيدي، فالإسلام فيه كل شيء وعندما تنظر الى العهد الأول تجد فيه تشريعا وروحا، وهذا ما تمثله «حراء»، وغار «حراء» ورمزيات «حراء» موجودة في المجلة، نحن مثلا عندما يكتب الأكاديمي نطلب منه أن يكون المضمون أكاديميا محققا علمياً، لكن يقدم في ثوب روحاني من حيث الصياغة الأدبية، وتجد فيها تحقيق العلماء وحرارة العاشقين، هذا ما نطلبه، كل عدد فيه ثلاثة أو أربعة مقالات تكون من المفكرين الاتراك، ولا تجد فيها بحوثا صوفية بالمعنى الشائع، لكن «حراء» عندما تقرأها تجد فيها العلم المحقق والابعاد الروحية.

■ عندكم تجربة كبيرة اعلاميا في تركيا، كيف تقيّمون هذه التجربة؟ وهل استفدتم منها في مجلة «حراء»؟

– «حراء» هي ثمرة من شجرة طيبة لها تجربتها المحلية ولها تجربتها العالمية، لذلك اي شيء يصاغ في «حراء» تجد فيه هذه التجربة العالمية.

ولذلك نحن نحرص على ان يكون هناك انسجام في كل ما ينشر في «حراء» من

الموضوعات، فلا تجد تضاربا بين موضوعات العدد الواحد، ولا تجد تضاربا بين العدد الأول والعدد الأخير، فالخطاب ناضج لأن الشجرة التي أنبتت ثمرات كثيرة في تركيا، ومنها «حراء» لن تجد فيها عدم النضوج الفكري.

■ **ما القيم التي تحكم عمل المجلة؟**

- نحن نؤمن أن الكاتب أو المحرر أو المصمم لابد للفكرة التي تجول في ذهنه والروح التي تجول في داخله أن تسري الى المجلة مباشرة، فالمحرر أو الكاتب عندما لا يكتب بحرارة ايمانية لا يتأثر القارئ به، فمثلاً مصمم مجلتنا لا يجيد اللغة العربية ولكن عندما يصمم يصمم بروحه، وهذا ما لمسنا أثره مع الكثير من القراء، لأنه يضع روحه في هذا العمل ويبتغي مرضاة الله.

فنحن هنا نتحدث عن «حراء» عن روح «حراء»، عن روح الإسلام، روح القرآن، فإن لم يكن هناك اخلاص فلن يكون هناك صدق ولن يكون هناك تفان، لأن الاخلاص في العمل هو الاساس لذلك فالاقبال الذي تجده «حراء» أحمله على هذا الجانب.

■ **كيف ترى التجربة الإعلامية في العالم العربي؟**

- العالم الإسلامي منذ مائة عام يعيش تقلبات كثيرة ويمر بتجارب مختلفة، ويستفيد من هذه التجارب، وعندنا أمل كبير في العالم العربي والعالم الإسلامي لأننا نرى أن اليوم أفضل من أمس.

فالمجلات والشرائط لابد أن تراجع نفسها وتصحح نهجها لأن الزمن يعلمنا أن العقلاء في العالم الإسلامي بدأوا يظهرون بقوة أكثر، لذلك نحن نستبشر بالإعلام العربي خاصة إذا قام على احترام الآخر وقدم طرحا عقلانيا وركز على المضامين العلمية المعقولة والمركزة، وانفتح على العالم كله ليتحاور مع الثقافات والشعوب، ويثق بنفسه وبالقيم التي ينتمي إليها ويمد الجسور مع الآخر.

■ **ما الحل الجوهري لمعالجة القضايا التي تعاني منها الأمة اليوم؟**

- مشكلة الأمة اليوم مشكلة هوية، فنحن أنشأنا حضارة عظيمة في التاريخ نتحرى آثارها اليوم وهذه الحضارة لم تنشأ من فراغ فالإسلام كوّن إنسانا صنع هذه الحضارة، لذا عندما فقدنا هذا الانسان وصلنا لهذه الحالة.

فهذا الانسان وجد في المدرسة ووجد في المعسكر ووجد في السوق ووجد في كل مكان، عندما وجد هذا الانسان في كل مكان قامت الحضارة، لذا فمشكلتنا أننا فقدنا هذا الانسان، لأن الانسان اليوم ناقص في القلب أو العقل أو السلوك، فإذا استطعنا تخريج الانسان الكامل الشامل الذي يجمع بين العقل والسلوك في الوقت نفسه تغير حال الأمة، وهناك كلمة للأستاذ فتح الله كولن تلخص الوضع، حيث يقول: الإنسانية اليوم في أمس الحاجة الى الإسلام، والإسلام في أمس الحاجة الى من يمثلونه بحق.

فالآذان شبعت والعيون جائعة أن ترى الإسلام على أرض الواقع، خاصة أن الرسول ﷺ كان يبلغ بسلوكه وأفعاله أكثر من تبليغه بأقواله وكلامه ﷺ وفي كل خير.

■ **من وراء مجلة «حراء»؟ هل هي مجلة حكومية أم مجلة قطاع خاص؟**

- «حراء» مجلة قطاع خاص، وطبيعة تركيا، أنه لا توجد جرائد حكومية إلا قليلا والقطاع الخاص هو الذي يصدر المجلات وهناك حرية اعلامية واسعة، ونحن ضمن مجموعة «قاينق» للنشر الثقافي، وهي من مجموعات النشر القوية والكبيرة في تركيا وتضم عشرين دار نشر وثماني مجلات مختلفة.

وفد المجلة يتوسطه نائب رئيس تحرير جريدة زمان



العلي والرومي مع د. نوزاد

■ **من هو نوزاد صواش؟**

- خريج كلية الإلهيات في جامعة مرمرة.
- ماجستير في الفقه الإسلامي من جامعة مرمرة.
- دكتوراه في الأدب العربي من جامعة مرمرة.
- رئيس القسم العربي في أكاديمية العلوم والمشرف العام على «حراء».

حول المنظمات الأهلية في العالم الإسلامي

د.صلاح عبدالمتعال

تمكنت فضيلة التطوع لأعمال البر والخيرات أن تنتشر في ربوع المجتمع الإسلامي منذ فجر تأسيسه وذلك في كل نواحي الحياة، ثم تجسّدت بعد ذلك في نظام الوقف الذي كان الركيزة الأساسية والانجاز المبهر في الثقافة والحضارة الإسلامية، حيث حمل العبء الأكبر لتنمية المجتمع في بنيته وهيكله ووظائفه بالقياس إلى الدور والعبء الذي لعبته الدولة، وكان ذلك على سبيل المثال في مجالات الصحة والتعليم وإعاشة الفقراء والمساكين وكبار السن وذوي الاحتياجات الخاصة واستضافة عابر السبيل في «المسافرخانات» حتى رصدت بعض الأوقاف لإطعام الطيور ورعاية الحيوانات الضالة وغير ذلك من الإنفاق على أبواب متنوعة للخير. وعلى ذلك فقد كان دور الدولة محدودا إذا قورن بمجهودات اعمال وأفعال البر والخير التي يقوم بها الأفراد والجماعات والهيئات الأهلية، خاصة عندما اتخذت الأوقاف أشكالا تنظيمية في المجتمعات الإسلامية كافة على مدى العصور حتى في فترات الانحدار الحضاري والضعف السياسي للدولة.

لقد كان العمل الاجتماعي التطوعي أسلوب حياة في المجتمع الإسلامي، والذي عبر الحدود الى أوروبا منذ عصر نهضتها، ثم تنامت أبعاده في الغرب بدون حدود فحقق التقدم في مجالي الرعاية الصحية والتعليم من خلال نظام الوقف أو الحبوس أي حبس الأملاك لإنفاق عائدها على أعمال البر والخيرات، وكان ذلك أحد العوامل الأساسية لتقدم العالم الغربي في الحياة فضلا عن تقدمه في العلم والتكنولوجيا.

لقد تقدم الغربيون في ذلك وطوروا المناهج والأساليب في الوقت الذي عانى فيه العالم الإسلامي من تحلل مكوناته والتفريط في مبررات دعوته الى الإسلام فأصبح في ذيل المدنية الحديثة بسبب وطأة الوهن السياسي والاقتصادي والاجتماعي وقابليته للاستعمار ووقوعه ضحية له، وتبعيته في العصر الراهن للنظام العالمي الجديد وانجذابه إلى منظومة العولمة.

ولقد أصبحت تنظيمات الأوقاف في بعض الدول ذات أدوار وتأثيرات محدودة للغاية، رغم كثرتها العددية وذلك لمواجهتها العديد من العقبات والصعوبات في إجراءات تأسيسها لأسباب بيروقراطية وسياسية.

وقد واجهت المنظمات الأهلية في العالم الإسلامي منذ عصور عدة الكثير من العقبات المحلية والضغوط الخارجية ذات العلاقة بالأزمات الساخنة إثر أحداث الحادي عشر من سبتمبر٢٠٠١ م وأزمات العراق وأفغانستان من قبل، مما أدى الى إبطاء مسار تقدمها.

ومن المعلوم جيدا أن الأنظمة الأوتوقراطية التسلطية ونظم الإنتاج التابعة لها هي من الأسباب الرئيسية في إعاقة العمل الاجتماعي في العالم الإسلامي المعاصر، حيث يمكن للنظام التسلطي أن يراوغ ويناور لتهميش المجتمع المدني والعمل الاجتماعي بإصدار تشريعات وقوانين تحد من أنشطته وتزيد من قيوده التي تحد من حركته خشية اختلاط العمل الاجتماعي بالسياسي، مستخدما قوانين قيد الحريات كقانون الطوارئ، مما يبيح له حل"أي منظمة أهلية أو مدنية بدعوى الحفاظ على الصالح العام وضمان السلام الاجتماعي.

إن هذا الوضع المأساوي يعطل قدرات المجتمعات الإسلامية من المضي قدما نحو التنمية المستدامة والتقدم وذلك بسبب منع الأنظمة التسلطية لمواطنيها ومؤسساتها الأهلية من المشاركة في التغيير الاجتماعي المنشود، فحق صنع القرار يتفرد به الحاكم دون المواطنين، على عكس تمتعهم في الأنظمة الديمقراطية بالمشاركة الحقيقية لا المزعومة في صنع القرار والأنشطة السياسية الفاعلة، حيث إن هذا كله هو حجر الزاوية في التنمية الديمقراطية، ومن ثم فإن فاعلية العمل الاجتماعي الأهلي وانتعاش مؤسساته غير الحكومية يشترط توافر مناخ الحرية والعدالة الاجتماعية والاقتصادية.

إن الإيمان الديني ودوافعه هو عماد تأسيس المجتمعات الإسلامية منذ فجر التاريخ الإسلامي، ورغم الوهن الحضاري الذي أصاب كيان الأمة الإسلامية لقرون عدة فإن الصحوة الإسلامية قد بدأت تعلي من قدرها، خاصة بعد نيل الاستقلال من بين أنياب الاستعمار الغربي، وتأسيس مئات بل آلاف من المنظمات الأهلية مما ادى إلى تعزيز عملية التحرر والاستقلال، واستنهاض روح الهوية الإسلامية وتدعيم المبادرات الجادة في المشاركة الأهلية للتنمية الاجتماعية والاقتصادية.

وتتميز المنظمات الطوعية الإسلامية بكفاءتها القائمة على قيمة الإخلاص وكذلك بقدرتها على التمويل اعتمادا على أموال الزكاة والهبات والتبرعات وعلى اجتذاب المتطوعين للعمل الاجتماعي وفعل الخيرات. إن أغلب هذه المنظمات تتميز ايضا بحسن الإدارة، واستقطاب الفئات المتعلمة والمتخصصين وأبناء الفئة العليا من الطبقة المتوسطة. وتمثل مثل هذه المؤسسات الأهلية الإسلامية القنوات السالكة التي تصل خدماتها الى فئات عريضة من السكان. وتتضح دلالة الزيادة لهذه الخدمات في الأقطار التي تتضاءل فيها الخدمات الحكومية أو تقل فيها كفاءتها.

وقد تلعب مثل هذه المنظمات دورا له تأثيره في تدعيم الصحوة الإسلامية.

دراسات

قراءة في فصول المشهد الثقافي الجزائري

د. أحمد عيساوي

تميزت الحركة الوطنية الجزائرية غداة سنين الاحتلال الفرنسي الأولى ١٢٤٥هـ ١٨٣٠م، ببروز نخبة جزائرية أصيلة ومثقفة وواعية، تفكر وتعبر باللغتين العربية والفرنسية أمثال: حمدان خوجة، وأحمد بوضربة، ومحمد الكبابطي، ومحمد بن العنابي، وقد تمحورت جل قراءاتها ونشاطاتها حول هدف رئيس، تمثل في محاولة اقناع الساسة والقادة الفرنسيين بضرورة منح الجزائريين حكم انفسهم بأنفسهم، بعد ان حررتهم من سلطة وهيمنة الانكشارية التركية كما كانت تدعي.

وقد استطاعت هذه النخبة المثقفة -رغم محيطها وظروف القهر الاستعمارية القاسية، وعدم إدراكها لأبعاد السياسة الاستعمارية الفرنسية الرامية الى الاستيطان الأدبي في الجزائر- ان تحافظ على التواجد الثقافي والادبي والديني واللغوي العربي الإسلامي المحتشم في الجزائر، ضامنة له الجرعة الكافية لبعث الحياة في الخارطة الثقافية والفكرية الجزائرية متى توفرت أسبابها ودوافعها القادمة.

وفي الوقت الذي عملت فيه هذه النخبة الأصيلة على الاتصال بالفرنسيين بهدف منح الجزائريين حكم أنفسهم، نجدها قد تحركت باتجاه آخر لتقدم ما في وسعها لإبقاء المشهد الثقافي والفكري العربي الإسلامي قائما في الجزائر، عبر تحركها الحثيث نحو الطبقات الشعبية، حاثة إياها على مواصلة تعليم أبنائها الدين واللغة، وعلى ضرورة تمسكها بأرضهم ودينهم وعاداتهم وتقاليدهم وفنونهم وآدابهم وأعيادهم، وعلى ضرورة الحفاظ على تمايزهم الفكري والأدبي واللغوي والثقافي الذي يميزهم ويحفظهم من الذوبان في ثقافة المحتلين.

وقد سعت النخبة المثقفة يومها بكل ما أوتيت من طاقة واقعية وعملية لتحقيق المطلبين معا، ومحاولة تجسيدهما في واقع القضاء الثقافي الجزائري بسائر مشاهده الأصيلة والدخيلة، ولكن سرعان ما تبين لهم نية الفرنسيين في البقاء الأبدي في الجزائر، وجعلها مستعمرة فرنسية إلى الأبد، الأمر الذي جعلهم يتواضعون في مطالبهم ويتنازلون عن هدفهم الرئيس مقتصرين على مطلبهم الثقافي الثاني، المتمثل أساسا في الحفاظ على المقومات الفكرية والثقافية والدينية للشعب الجزائري تحت سلطة الفرنسيين.

ومع واقعيتهم ومنطقيتهم في تقدير قدراتهم وامكاناتهم المحدودة من جهة، وفي تقدير نية وهدف وقوة الفرنسيين من جهة ثانية، فإنهم قد عملوا ما في وسعهم لبقاء الأجيال الجزائرية اللاحقة موصولة الشعور والوجدان بينبوع الثقافة العربية الإسلامية، وبدا ذلك واضحا في حصون الممانعة العربية الإسلامية في الجزائر البشرية والمؤسساتية التي حاولوا تحصينها ومدها بالمنشطات الحيوية لتضمن استمرارية الوجود العربي والإسلامي حيا في أبنائها لحين تواتي الفرصة المناسبة للاستقلال.

النخبة المثقفة ساهمت في بقاء المشهد الثقافي والفكري العربي والإسلامي قائماً من خلال مواصلة التعليم والحفاظ على التراث الأدبي واللغوي

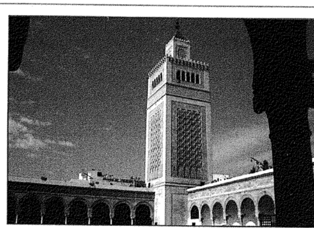
تسليم الرسالة للوارثين

وظلت تلك النخب تعمل وتحاول إحياء قيم الشعب الجزائري العربية والإسلامية، متحدية كل الظروف القاسية التي أحاطتهم بها القوانين والسلطة الاستعمارية الجائرة، وفي الوقت الذي ظن الفرنسيون فيه بداية الأفول الحضاري العربي الإسلامي من الجزائر سنة ١٩٠٣م تحت سلسلة الضربات الاستعمارية القوية العسكرية والسياسية والقانونية والإدارية والثقافية والدينية واللغوية، تحركت كوكبة من العلماء والفقهاء والشيوخ وطلبة العلم في أحد المساجد الخمسة المتبقية في الجزائر العاصمة، وليجلسوا متحلقين ومعجبين إلى جوار حلقة علمية صغيرة للشيخ محمد عبده (ت ١٩٠٥م) القادم لزيارة الجزائر ونشر الدعوة والوعي الإسلامي فيها، وبث دعوته الإصلاحية والتربوية الاجتماعية البعيدة عن العمل السياسي - يستمعون الى تفسيره العصري لسورة العصر ولجزء عم، وعلى رأسهم الشيخ المصلح عبدالحليم بن سماية (ت ١٩٣٣م) ومصطفى بن الخوجة (ت ١٩٣٢م) وغيرهم.. وليقدم لهم تجربة مدرسة المنار في تجاوز الحاجز الاستعماري والنفوذ الى روح الشعوب ومدها بالقيم الدينية والتوعوية الصالحة، وبعد ثمانين عاما من الاستذلال ومحاربة الإسلام والعربية في الجزائر ١٨٣٠ - ١٩٠٣م بدأ بعث الروح الفاعلة في تعاليم الدين الإسلامي التي جمدتها ضربات الاستعمار الفرنسي، وكذلك تجديد الأمل في المشهد الثقافي العربي

الإسلامي في الجزائر.

وقد سعت هذه النخبة المثقفة التي تباينت مشاربها واتجاهاتها وأدواتها الثقافية لتعيد بارقة الأمل الى الينبوع الثقافي الجاف الذي يربط الجزائر بالعمق العربي الإسلامي بعد ان أعفت عليه سنون القهر والقمع الاستكباري، وما عاد أحد يستطيع القول ببقاء أية علاقة بين الشعب الجزائري وقيمه العربية الإسلامية، واستيقن غلاة الاستعمار أن الجزائر العربية الإسلامية قد انمحت ولم يبق لها وجود، وغدت كأنها أندلس ثانية، وها هي جزائر فرنسية أمامهم، ولعل وصف الزعيم المصري الأستاذ محمد فريد وجدي الذي زار الجزائر سنة ١٩٠١م، ووصف لنا حال أهلها المستضعفين، وحالة التربية والتعليم ومؤسساتهما التعليمية والثقافية خير وصف، وأرخ لها خير تأريخ، إذ يقول في مقال كتبه عن التعليم والمدارس في الجزائر في جريدة اللواء المصرية عدد ٦١٢ المنشور يوم ٣١/٠١/١٠٩١م: «.. فالتعليم الديني لا وجود له تقريبا، ولولا من يتكبد مشقة طلب العلم من جامعنا الأزهر لأصبح نسيا منسيا، أما ما أتفق على تسميته بالتعليم العصري فلا وجود له بالنسبة للمسلمين بالمرة، نعم يوجد بالقطر الجزائري مئات من المدارس الابتدائية الفرنساوية على طراز مدارس فرنسا لكنها كلها مخصصة لأولاد الفرنساويين، ولا تفيد من يدخلها من العرب لعدم تعليم اللغة العربية بها، وباختصار فحالة التعليم في القطر الجزائري سيئة جدا، ولو استمر الحال على هذا المنوال لحلت اللغة الفرنساوية محل اللغة العربية في جميع المعاملات، بل ربما تندرس اللغة العربية بالمرة، فلا الحكومة الفرنسية تسعى في حفظها، ولا تدع الأهالي يؤلفون الجمعيات لفتح المدارس، لأن الاجتماع ممنوع خوفا من أن تشتغل جمعياتهم بالأمور السياسية». إذ تبين لنا هذه الشهادة الحية واقع التربية والتعليم في الجزائر مع مطلع القرن العشرين، ذلك الواقع التربوي المنهار، الذي استمر على وضعه المزري الى بعيد استقلال الجزائر لأكثر من عقد.

واندفعت هذه النخبة المخلصة نحو القواعد تبنيها وتؤسسها، وتبعث فيها روح العروبة والإسلامية الغائبتين عن سماء الجزائر، وبفضل التضحيات الجسام لهذه النخبة الأصيلة الوارثة صار المشهد الثقافي واللغوي والأدبي والديني الجزائري حافلا بعناصر الصمود والممانعة الفكرية والثقافية الجزائرية الأصيلة، لينتقل بعدها بفاعلية الى تطوير ادواته الدفاعية من التحصين والمغالبة والرد، ومنها الى صياغة الذات الاصيلة، وتأكيد قدرتها على المواجهة، وتفعيل محاولات الصمود والشهود الحضاري لديها.



وعندما قررت آلة التكفير الاستكباري اعلان نهاية الوجود العربي الإسلامي في الجزائر بعد قرن من الاستكبار السياسي، وقرن من الاستخراب الروحي والوجداني والثقافي، قررت - بمقابل ذلك - أقدار معالم التنزيل الحافظة بحفظ ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ نسخ ما قررته يد الوثنية الصليبية في الجزائر مؤذنة - على يد ثلة من العلماء الباديسيين الأصليين - بدأ بعث الحياة في المشهد الثقافي العربي الإسلامي في الجزائر بالرغم من أنف قوى الاستكبار.

هذا الزخم الروحي والثقافي واللغوي الذي بدا حيا في إعادة بعث الروح في الجسد الثقافي الجزائري الميت، فانبعث الشعر الجزائري الوطني الثائر مع الشاعر (رمضان حمود ت ١٩٢٥م) والشاعر (مفدي زكريا ت ١٩٧٧م)، والشاعر (محمد العيد آل خليفة ت ١٩٧٩م)، والشاعر (الربيع بوشامة ت ١٩٥٨م)، والشاعر (أحمد سحنون ت ٢٠٠٤م)، والصحافي الأديب الشاعر (محمد أبو اليقظان ت ١٩٧٣م) وغيرهم، عبر قصائدهم الحية، التي استطاعت بث روح الحياة والنهضة في الأمة الجزائرية الميتة.

فيما تدفق النثر الجزائري الهادر عبر الصحف الحرة المستقلة كالبصائر والشريعة والسنة والصراط والشهاب، مع كتابات الشيخ محمد البشير الإبراهيمي (ت ١٩٦٥م)، والأديب الصحافي الكاتب الشهيد أحمد رضا حوحو (ت ١٩٥٦م)، والأديب الخطيب الكاتب الفضيل الورتلاني (ت ١٩٥٩م)، والصحافي الأديب الكاتب الشهيد حمزة بوكوشة (ت ١٩٦١م)، وتحرك الفقه والعلم الشرعي مع رجال الجمعية المخلصين لينقي العقيدة والدين من خرافات الطرقيين، وسموم المستعمرين واعوانهم، مع رائد النهضة الاصلاحية الإسلامية في الجزائر الشيخ (عبدالحميد بن باديس ت ١٩٤٠م)، والشيخ البشير الإبراهيمي، والشيخ (مبارك الميلي ت ١٩٤٥م)، والشيخ الشهيد (العربي التبسي ت ١٩٥٧م)، والشيخ (محمد خير الدين ت ١٩٨٨م)، والشيخ (الطيب العقبي ت ١٩٦٠م)... وغيرهم، ليرتقي وليهذب وليعلم وليحل وليجيب على سائر مشكلات وتطلعات الأمة الجزائرية التي بدأت تتطلع للانعتاق والاستقلال.

رسالة المثقف الثوري الأصيل

وكانت الثورة الجزائرية العربية الإسلامية (١٣٧٤ - ١٣٨٣هـ) (١٩٥٤ - ١٩٦٢م) التي زرع بذورها في الشعب الجزائري مثقفو معالم التنزيل، الذين اندفعوا إليها بروحهم،

وفدوها بدمائهم الغالية، فكانوا شهداء الفكر والقلم والعلم، بدءا من الشهيد الأديب الكاتب أحمد رضا حوحو، والشهيد الشيخ العربي التبسي، والشهيد (الأمين العمودي ت ١٩٥٧م)، وغيرهم، من تلامذة وشيوخ ومعلمي مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وطلاب المعهد الباديسي الذين شكلوا وقودا معتبرا للثورة التحريرية.

ومع أولئك المخلصين من رجال الجمعية وحماة العربية والإسلام في الجزائر اندفع ايضا متسولو نفايات الفكر الشيوعي، ومتسولو نفايات الفكر الليبرالي، ليشكلوا خلسة المشهد الثقافي للثورة الجزائرية، التي تحولت عن مسيرتها العربية الإسلامية الأولى بعد أن سرقها خلسة مثقفو اليسار المحترفون.

اندفع هذا الطابور الثقافي اليساري، ومعه الطابور الثقافي الاستعماري ممن تدرب وتكون وتأدب في المدارس الاستعمارية الفرنسية، وتخرج من دفعتي (ديغول ولاكوست) الاستعماريتين، ليصنعا معا وقائع المشهد الثقافي في الجزائر الى اليوم، فكان بأيديهم وبتدميرهم الداخلي أن تحولت الثورة عن خط سيرها الأول، وكان بأيديهم وبتآمرهم أن خرج التيار العربي الإسلامي منها متراجعا الى الصفوف الدنيا، وكان بأيديهم وبكيدهم أن وقعت القطيعة بين رجال الثورة وعلماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وكان بأيديهم أن مزقت الحركة الإسلامية كل ممزق وأجهض معها مشروع النهضة الباديسي العربي الإسلامي في الجزائر بعيد الاستقلال وإلى اليوم.

وانطلقوا بعيد الاستقلال (١٣٨٣هـ ١٩٦٢م) معشعشين في دواليب التأثير الثقافي والفكري والفني، مسخرين كل ما يملكون من أقلام لتضليل الأمة الجزائرية المنهكة ثقافيا، وذلك بترويجهم لنفايات الفكر الشيوعي الضال، وفي محاربة المشروع النهضوي العربي الإسلامي تحت شعارات أدبيات الفكر الشيوعي كالتقدمية والرجعية والثورية والتحررية، التي دأب عليها مثقفو نفايات فكر اليسار، ولفيفهم من تيار العلمنة والفرنسة في الجزائر، وبفعل حملاتهم التضليلية فقد الشعب الجزائري توازنه الثقافي، ووحدته اللغوية، بعد ان كاد يستعيد بعضه مع جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الخمسينيات والستينيات.

وقد دفعت الثورة الجزائرية الى واجهة المشهد الثقافي مجموعة من الواجهات الثقافية بهدف تعميق البعد الثوري لها في المجال الفكري والثقافي والأدبي والفني، فكان أن تسرب إليها غلاة اليساريين ليحكموا سيطرتهم على مؤسستي الاذاعة والتلفزيون، تحت زعامة اليساري المتعصب «الهاشمي الشريف»، وصناعة السينما تحت زعامة غلاة الفرنكوفونيين أمثال «لخضر حامينا، وعمار العسكري»، وصناعة الأدب والفكر تحت زعامة اليساري المتلون «عبدالحميد بن هدوقة»، واليساري الثوري المتعصب «الطاهر وطار»، مستخدمين أبشع وسائل التدمير اللغوي والعقدي والقيمي والأخلاقي، ضد مقومات الأمة الجزائرية العربية المسلمة.

وظل مثقفوا التيار اليساري بمعية مثقفي التيار اليميني المتطرف يسيطرون على الحدث الثقافي في الجزائر طيلة العقود الأربعة التالية للاستقلال، وكان أدب التوقع والفجور (اللاز . عرس بغل - الذي أهداه الى احسان طبري الزعيم الشيوعي الايراني لحزب تودة اليساري - العشق والموت في الزمن الحراشي) الذي تزعمه الطاهر وطار المتخفي تحت شعار الثورية والتقدمية والتحررية يشكل الواجهة الثقافية للجزائر عموما وللمثقف الجزائري خصوصا.

متسولو الفكر الليبرالي سرقوا المشهد الثقافي خلسة أثناء الثورة الجزائرية



وكان أدب التحلل الذي دشنه «عبدالحميد بن هدوقة ت ١٩٨٨م» بروايته «ريح الجنوب» مثالا على التحرر والتقدمية في وجه الرجعية الدينية.

وتحت شعارات الأدبيات الشيوعية تربى أدباء جيل الستينيات والسبعينيات، الذين احتلوا الجرائد الناطقة باللغة العربية في الجزائر (الشعب، النصر، المجاهد، الجمهورية)، فكان أن ظهر منهم من سيطر على الساحة الأدبية مثل: حمري بحري، وأحمد حمدي، ومرزاق بقطاش، وعبدالعالي رزاقي، وسليمان جوادي، ومحمد زتيلي، وأحمد شريبط، والأخضر عيكوس، وبين أحضانهم نشأ النقد الأدبي الشيوعي الجزائري، الذي برز فيه جروة علاوة وهبي، وعمار بلحسن، والأمين الزاوي.

وبالفعل فقد استبعدت السلطة الجزائرية أثناء إعدادها لأهم مشروعين سياسيين وثقافيين وحضاريين الإسلام والعربية من أن يكونا إطارين مرجعيين رئيسين لتوجيه المشهد الحضاري الجزائري ككل في العشريات القادمة، وقد برز ذلك واضحا في مناقشات ميثاق الجزائر الصادر في شهر أبريل ١٩٦٤م، وفي ميثاق الجزائر ١٩٧٦م، ذي الاتجاه اليساري.

وعلى الرغم من بروز بعض

الاسماء والعناوين الفكرية العربية الإسلامية على الساحة الإعلامية والثقافية الجزائرية كمجلة الفكر والقبس الصادرتين عن وزارة الشؤون الدينية ثم مجلة الأصالة، ثم بروز المفكر الجزائري مالك بن نبي (ت ١٩٧٣م) وتنظيمه لملتقى الفكر الإسلامي السنوي بدءا من سنة ١٩٨٦م، ثم البداية الفعلية لانطلاق الحركة الإسلامية في الجزائر، إلا أن الاتجاه العربي الإسلامي ظل محتشما ومتواريا ومحاربا من قبل العديد من الجهات الخفية في السلطة، ومن قبل الجهات البارزة على الساحتين الثقافية والإعلامية.

ودلف هؤلاء وأولئك الى التموقع ضمن هيكلة ما يسمى باتحاد الكتاب الجزائريين، الذي تحول الى مؤسسة يعشعش فيها مثقفو النظام التبريريين، والتسويغيين، والانتفاعيين، وصار الانتماء الى اتحاد الكتاب بقصيدتين هزيلتين من خواطر الشعر الحر، الذي ظن الكثير القدرة على التعبير والابداع به، الى أن تحول في أخريات أيامه الى مجرد هيكل يضم في أحشائه سبعمائة شاعر وقصاص وروائي جزائري؟ لا أدري متى؟ وأين؟ وكيف؟ وبم؟ تمهروا عالم الإبداع الرحب، وصاروا من المبدعين؟

وتطور هذا المشهد الثقافي بعيد بروز بعض الأسماء الأدبية الأصيلة على الساحة الثقافية والفكرية والأدبية في الثمانينيات، في مجال الكتابة والابداع والنقد، وبروز بعض المنابر الاعلامية والثقافية كمجلة العصر والرسالة والعقيدة والنور والبيان، وصار مشهدا ثنائيا تعزز بسقوط جدار برلين وزوال الخلفية الإيديولوجية لتيار اليسار المتعصب، ولتيار العلمنة المفلس، اللذين اضطرا تحت نورانية الحق الى التلون بشتى الألوان، والتواري تحت الكثير من الشعارات البراقة، أو حتى إلى تغيير الجلدة كما هو حال ممثلي الثقافة الجزائرية الرسميين على الساحة العربية والإسلامية.

اتحاد الكتاب الجزائريين تحول إلى مؤسسة يعشش فيها مثقفو النظام التبريريون والتسويغيون والانتفاعيون

وفي ظل هذه الوضعية السياسوية التي أحكمت القبضة على الحركة الثقافية والأدبية والفنية الجزائرية الأصيلة، كان نتاج الثقافة الجزائرية هزيلا وهشا، إذا ما قورن بغيره من نتاج ونوعية ومستوى إنتاج جيراننا الثقافي والفكري والإبداعي والفني في المغرب وتونس فقط، وبمثل هذه الممارسات التشويهية التي جسدها مثقفوا الزيف والانتفاع في العقود الثالثة الماضية فقد المثقف الجزائري الأصيل مصداقيته ومكانته بين غيره من المثقفين العرب والمسلمين.

وبمثل ممارسات هؤلاء وأولئك يكون المشهد الثقافي الجزائري قد أطال أمد غيبوبته التوعوية، وأطال أمد ضياعه، منذ أن شكل قادة الاحتلال دوره المسرحي الشكلاني الهزيل، وأقصوا رجاله، وطاردوا مؤسساته، وحاربوا مواطن المقاومة فيه.

والحالة الابداعية الهزيلة تلك، التي عليها المشهد الثقافي والفكري والأدبي والفني والإبداعي الجزائري اليوم، والتي سببها تمكين غلاة اليمين الاستعماري وغلاة اليسار الانتفاعي في التحكم بعناصر ومقومات ومؤسسات العمل الثقافي والفكري يتحتم على المثقف الجزائري الأصيل، المثقف الجزائري الحقيقي، أن يحسم الأمر أولاً في مسألة الأطر المرجعية المشكلة للخلفية العقدية للإبداع الثقافي عموماً، وفي ضبط محدداته الثقافية والفكرية والفنية العامة، وفي رسم خططه المنهجية والمرحلية لمعالجة فساد وخواء السنين العجاف ثقافيا وأدبياً وفنيا وفكريا، ثم المبادرة الفعلية للنزول الى الساحة الثقافية الجزائرية الفارغة، في ظل هامش التسامح والحرية والديموقراطية الذي يناسب اختيار الجزائر عاصمة للثقافة العربية سنة ٢٠٠٧م.

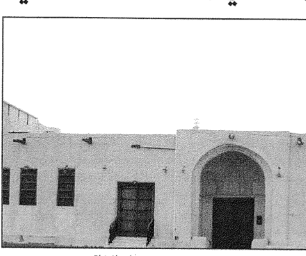
واعتقادي أنه بمجرد أن يلملم المثقف الجزائري الأصيل أدواته ويعيد ترتيبها ونقدها وبرمجتها.. فإنه حتماً سيجد نفسه أمام حشد من المسائل والقضايا التي تنتظر قلمه وفكره وابداعه، كما سيجد نفسه وطرحه قادرا وقويا بمحدداته وأطره المقدمة أمام هشاشة طروحات وأدبيات مثقفي اليسار المتهاون بعد سقوط جدار برلين، وصعود المارد العلولي، وبمقدار قوته ومبادرته وسرعته وأصالته في تهشيم وإزالة ما تبقى من صمود أدباء اليسار الصرعى، فإنه سيكون قويا وفاعلا في الرد على أدباء ومفكري التيار العلماني المفلسين، المعترفين بفشلهم عن إيجاد الحلول لمعضلات الإنسانية عامة والفرد الغربي المفلس خاصة.

ولعله من المفيد يومئذ للساحة الثقافية الجزائرية التخلص من دوائر الصراع الذاتية بين حدودي الأصالة والمعاصرة، لدى المبدعين الحقيقيين أنفسهم، وعلى مستوى مؤسسات الإبداع الرسمية التي دلف إليها خلسة لفيف من أصحاب التوجهات الثقافية المشبوهة، ممن يريد إبقاءها فسحة رطبة للانتفاع الرخيص والدس المسموم، وفسح مجالها لمثقفي الظل من أصحاب معالم التنزيل ليصنعوا بصدق أحداث المشهد الثقافي الجزائري الأصيل، بعيدا عن كل مستورد ودخيل.

وفي اعتقادي أن النخب المثقفة لن تستطيع وصول ذلك المستوى الراقي من التنافس والإبداع، الا بدخول جميع المبدعين في تنافس ثقافي وفكري شريف وعادل، تشهده مؤسسات الابداع المختلفة لعقد قام على أقل تقدير، وساعتها سيتبوأ المبدع الحقيقي مكانته في المشهد الثقافي، وتلفظ الساحة أشباه المبدعين والمزيفين ممن دلفوا وقت الزحف العمي، وستكون أمام النخب الأصيلة مهمة عظيمة جدا، لن يتمكنوا من الوصول إليها، إلا من بعد أن يصلحوا أذواق المجتمع التي أفسدت بغثائيات أدبيات غلاة اليسار واليمين الوثني طيلة أكثر من قرن ونصف القرن من العبث الأدبي والفني والتربوي والتعليمي والتثقيفي واللغوي.

الديوانية الكويتية.. ملتقى ثقافي ومنتدى اجتماعي

إعداد: التحرير



تلعب الديوانية دورا مهما في حياة المجتمع الكويتي، فهي إحدى أدوات الدعم الاجتماعي والثقافي والفكري لأبناء الشعب، وتعتبر عادة متوارثة بين أبناء هذا البلد من خلالها توصل الأرحام ويتقابل الأصدقاء والأقارب، كما أنها نافذة يطلون من خلالها على ما يستجد من أخبار في ساحة المجتمع الكويتي.

يرتبط اسم الديوانية غالبا في الوقت الراهن بهذه البقعة من الأرض، فهي تقليد جلبه أهل هذا البلد من أسفارهم وطوروه بما يناسب ظروفهم، وقد بدأت الدواوين على أنها مكان لقاء أبناء «الفريج»، كما أنها تضم عددا من «الفرجان» الأخرى في عملية تزاور مستمرة، يتحدثون فيها ويتبادلون الأخبار والآراء، وقد ينتقل المرء إلى أكثر من ديوانية في اليوم الواحد، فيما يحضر البعض أبناءهم إلى هذه المجالس ليكتسبوا الخبرة ممن هم أكبر منهم سنا، وتطورت الديوانية بعد ذلك لتصبح محلا لحل النزاعات، ووسيلة لنشر الخبر وتشكيل الآراء، وبلغت من الأهمية أن قادة الرأي وأصحاب القرار والمسؤولين يزورون تلك الدواوين بين الفينة والأخرى.

أصل الديوانية

اختلف الباحثون في أصل كلمة «ديوان»، فمنهم من ردها لموضوع التدوين (التسجيل) ويقولون إن أصلها عربي، ومنهم من يقول إن التدوين نفسه نشأ بعد نشأة الديوان الذي أصله فارسي.

والأصل اللغوي لكلمة «ديوان» تعني «مجتمع الصحف، أو الكتاب الذي تجمع فيه قصائد الشعراء» كما جاء في «المنجد»، أما دائرة المعارف الإسلامية فتقول إن كلمة «ديوان» مشتقة من كلمة فارسية نشأت حين نظر كسرى إلى كتاب ديوانه وهم يحسبون على أنفسهم كأنهم يتحادثون فقال «ديوانة» أي مجانين بلغة الفرس، فسمي موضعهم بذلك وحذفت الهاء لكثرة الاستعمال تخفيفا فقيل ديوان.

ويرى بعض المؤرخين أن ديوان الإنشاء هو أول ديوان أنشئ في عهد الرسول ﷺ، إذ كان يملي على بعض الكتبة من الصحابة رسائله إلى المعنيين من الملوك، كما كانت تصاغ فيه نصوص المعاهدات.

فيما يرى آخرون أن الديوان بمفهومه المتعارف عليه نشأ في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وسبب ذلك هو كثرة الأموال الواردة من البلاد المفتوحة ورغبة الخليفة الثاني في تنظيم توزيعها.

وقد كان الديوان الأول في عهده هو ديوان الجند لينظم توزيع أعطياتهم (ما يعادل الراتب أو الجزء من الغنيمة).

ولم تقتصر فكرة الديوان على توزيع الأموال وتدوينها، بل أصبح أوسع من ذلك فشمل مناحي كثيرة، مثل البريد والشرطة والتوقيع، حتى غدا الديوان يفهم من عنوانه أنه إدارة شؤون الدولة بشكل كامل.

وتعمد بعض الدول في الوقت الراهن إلى إطلاق اسم الديوان على بعض دوائرها، كما في حالة ديوان المحاسبة وديوان الخدمة المدنية في الكويت والأردن، حتى إن بعض الناس في الوقت الحاضر يطلق على المكان الذي يجتمع فيه الناس اسم ديوان أو ديوانية.

ويذكر ابن خلدون في مقدمته أن الدواوين كانت في بداية العهد الأموي تنحصر في أربعة أنواع، الخراج والرسائل والإيرادات المنوعة وديوان الخاتم، وتوقف الباحثون عند ديوان الخاتم.

وورث العباسيون هذا التراث عن الأمويين فطوروه حسب تطور ظروفهم، حيث أضافوا ديوان «الأحشام» وهو على ما يبدو من اسمه يعنى بشؤون خدمة البلاط، هذا في عصر المنصور، كما أضافوا ديوان المصادرة الذي ينظر في شؤون من صودرت أموالهم، واستحدثوا ديوان الزمان في عهد المهدي، وهو ديوان يعنى بالأزمات، وقد خصص لكل أزمة أو مشكلة ديوان يترأسه رجل مختص في حل تلك الأزمة، وقد انتشر هذا النوع من الدواوين في كل الولايات.

وقد استحدث الرشيد ديوان الصوافي، وهو يعنى بأراضي الدولة الإسلامية وبصفته خليفة للمسلمين فهي أراض تابعة لإدارته، كما استحدث ديوان الضياع لإدارة أملاك الخليفة وأسرته.

أما المأمون فقد أنشأ ديوان

الجهابذة، وهو ديوان يدقق في شؤون عمل الدواوين الأخرى، يجلس فيه أقوى الرياضيين (المحاسبين) ويتتبعون الأموال من قبضها حتى صرفها، وهو يشبه هيئة التدقيق المالي في بعض الدول الراهنة، أما المتوكل فأنشأ ديوان الجند والشاكرية، وهو ديوان ينظم عمل الجند والشاكرية، وهم الأتراك الذين دخلوا على الخط في عهده.

أهمية الدواوين

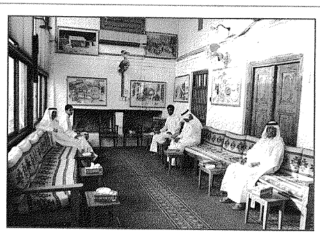
تبرز أهمية الديوانية في المجتمع الكويتي، حيث تجتمع مجموعة من الرجال في ديوانية أحد الأشخاص المرموقين والمعروفين في المنطقة السكنية التي يقطنها ويتسامرون ويتبادلون أطراف الحديث حول مجمل القضايا الاجتماعية والاقتصادية وأيضا السياسية والدينية، وكذلك يتم حل بعض القضايا المتعلقة ببعض الأشخاص من خلال المعارف والأصدقاء، وعادة ما يكون الحوار فيها صادقا وصريحا وبعفوية تامة، وفي الغالب تضم الديوانية أناسا متقاربين في السن والفهم والمزاج والمستوى التعليمي، وهي إحدى سمات شعب الكويت التي تميزه عن سائر الشعوب.

شكل الديوانية

يتكون البيت الكويتي عادة من ساحة واحدة، إلا أن الأسر المقتدرة تقوم بتشييد ساحة منفصلة أو تحديد غرفة في جانب من البيت يطلق عليها ديوانية، هذه الغرفة أو الساحة تكون منعزلة أو منفصلة، وهي عبارة عن مكان عام لاستقبال الضيوف والتقاء الجيران والأصدقاء والأقارب لمناقشة الأحداث وتبادل الأحاديث والآراء في وقت الفراغ.

وتبقى أبواب الديوانية الرئيسية مفتوحة طوال اليوم لاستقبال الرواد، وتقود إلى ممر على جانبيه مقاعد للاستراحة والانتظار، كما تضم أحيانا مكانا لضيافة الزوار ممن يحتاجون لقضاء ليلة أو أكثر في البلاد، كما توجد خارج البوابات مقاعد أخرى يستريح عليها المارة ويستمتع فيها الضيوف بنسيم البحر- إذا كانت الديوانية واقعة على الساحل- خاصة في فصل الصيف، وما تزال بعض هذه الديوانيات التي تنتشر على طول شارع الخليج تستقبل الزوار كما كانت في الماضي تماما.

وتطل بوابات المجلس الرئيسي في الديوانية ويسمى «ديوان» على الساحة الداخلية، ويحتوي الديوان على فرش يوفر أكبر قدر من الراحة للزوار، فتنتشر في أنحائه الوسائد التي تصف بطريقة مميزة لتستخدم كمقاعد ومساند للأذرع، وعلى الأرضية تمتد قطع من السجاد الفارسي المعقود والمغزول، وتعد أدوات تحضير القهوة التي تعبق بعبير وطعم الهيل من أبرز الأدوات التي تضمها الديوانية، ويتم تحضير القهوة على موقد مخصص لهذا الغرض في جانب بعيد من الديوان أو في غرفة صغيرة ملحقة به، ويقوم صاحب الديوانية بنفسه بتحضير القهوة للضيوف، أو يعين عاملا مختصا للقيام بهذه المهمة.



الدواوين القديمة

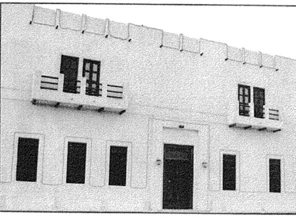
لم يعد في الكويت حاليا من الدواوين القديمة سوى ستة دواوين فقط على ساحل البحر وهي: ديوان الخالد في القبلة شرقي متحف الكويت، وخمسة دواوين في الشرق بجوار مبنى وزارة الصحة، وهي على الترتيب: ديوان الشملان، ديوان العسعوسي، ديوان النصف، ديوان الروضان، ديوان ملا صالح.

ويعود الفضل في المحافظة على هذه الدواوين القديمة للأمير الراحل الشيخ جابر الأحمد الصباح- يرحمه الله- حيث إنه في أول مارس ١٩٧٨ أرسلت البلدية إنذارات لأصحاب هذه الدواوين بأنها سوف تقطع التيار الكهربائي عنها تمهيدا لهدمها، فكتب المؤرخ سيف مرزوق الشملان عريضة تاريخية لصاحب السمو الشيخ جابر الأحمد الصباح ووقعها أصحاب الدواوين، وقابله بمكتبه في قصر السيف، وسلّم لسموه العريضة وطلب منه المحافظة على هذه الدواوين القديمة لأنها تعبر عن تاريخ الكويت الأصيل.

الديوانية الحديثة

مع تطور الحياة المعيشية في الكويت جاء عصر تثمين المنازل واتسعت دائرة العمران وأصبحت هناك عدة أحياء سكنية خارج سور الكويت، وبالتالي أدى ذلك إلى ازدياد عدد الديوانيات في الكويت نظرا لالتصاق المواطن الكويتي بالمفهوم الاجتماعي والتراث المتأصل في وجدانه، فأصبح لكل أسرة ديوانية مستقلة يستقبل فيها صاحب الأسرة أصدقاءه (الربع) ليتسامروا ويتبادلوا أطراف الحديث، وأيضا تغير أثاث الديوانية من المساند العادية إلى الجلسات العربية والكنبات أو المقاعد الثمينة التي توضع على شكل مربع أو دائرة يتوسطها جهاز التلفزيون والفيديو، وقد اختفى «الوياق» تماما من الديوانية.

وأصبحت هناك دواوين خاصة بالصيادين والمهندسين والأطباء والطيارين، وغيرها من المهن، وهناك دواوين تجمع روادها عوامل مشتركة مثل الجيرة والقرابة والصداقة، وأصبح الجو العام للديوانية أقرب إلى أجواء النوادي الاجتماعية والمنتديات الثقافية والأدبية وصالونات السياسة، ويمكن القول بأنها باتت واحدة من مؤسسات المجتمع المدني الذي يلعب دورا بارزا في الحياة الديمقراطية والنيابية، وأصبحت المحرك والمؤشر المرجعي للكثير



من القرارات، وأدخلت هذه الديوانيات العصرية التلفزيونات وأجهزة الراديو والمحطات الفضائية وأجهزة الكمبيوتر والتلفونات، كما صار لبعضها أهداف محددة (رياضية، اقتصادية، سياسية...) وجداول ومواقيت، وبعضها صار يعلن عن الموضوعات التي ستطرح للنقاش قبل أيام من موعد الاستقبال، كما تحول بعضها الآخر إلى صالونات للأدب والثقافة، وأطرف تطور للديوانية هو ظهور الديوانيات النسائية التي تستقبل الزائرات ممن لهم اهتمامات وأنشطة مشتركة.

دورها الاجتماعي والعلمي

للديوانية أثرها الاجتماعي والعلمي في المجتمع الكويتي، فإن جلب صاحب الديوانية فقيها أو عالما توافد إليها الفقهاء والعلماء والمهتمين بهذه الجوانب، وغلبت هذه السمة على الحوار داخل الديوانية، وإذا كان صاحب الديوانية من التجار كان معظم جلسائه منهم وانساق الحديث بالطبع إلى التجارة والاقتصاد، وإن كان صاحب الديوانية أديبا كان النقاش كذلك، وهكذا لو كان سياسيا أو وزيرا أو برلمانيا فالنقاش يدور حول السياسة والأحداث السياسية المحلية والعالمية، والتوجه السياسي يطغى على نقاش معظم هذه الديوانيات خاصة في أوقات الانتخابات أو الأزمات السياسية التي تمر بها البلاد في ظل عدم وجود أحزاب سياسية في الكويت.

ويمكن تقسيم الديوانية في الكويت إلى مجموعتين رئيسيتين، الأولى مرتبطة بجماعات الأصدقاء وأفراد العائلة الواحدة، في حين ترتبط الثانية بعلاقات الأعمال والتحالفات والعلاقات السياسية، وتعد المجموعة الثانية هي الأكثر انتشارا في الآونة الأخيرة، وهي فرصة لتداول المعلومات والأخبار السياسية قبل نشرها في الجرائد بأيام، كما أنها فرصة لإبرام الاتفاقيات والعقود بين رجال الأعمال، وحل الخلافات الشخصية.

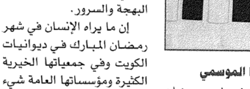
وتلعب الديوانية دورا بارزا لشريحة مهمة هي فئة كبار السن من الذكور داخل المجتمع الكويتي.

دورها الموسمي

الديوانية في شهر رمضان المبارك تعد مكانا يجتمع فيه الأهل والأقرباء والأصدقاء للتسلية والترفيه مما يجعل لها طابعا خاصا، حيث تتقارب النفوس وتتآلف الأرواح ويحلو الحوار في الديوانيات التي تظل مفتوحة حتى ساعات متأخرة من الليل.

وتأخذ الديوانية الكويتية طابعا آخر في هذا الشهر، حيث تتميز بإقامة المآدب يوميا لجميع من يريد الإفطار أو السحور، وتبقى مشرعة الأبواب من ساعة الإفطار وحتى موعد السحور.

وما يميز الديوانية في الكويت هي «الغبقة» الرمضانية التي يكون موعدها عادة بين فترتي الإفطار والسحور، وبالتحديد بعد صلاة العشاء، حيث يتخللها تناول وجبة خفيفة وحلوى شعبية منوعة، ويتناول الرواد فيها الأحاديث في مختلف الموضوعات الدينية والاجتماعية والثقافية، مما يضفي على الديوانية مزيدا من البهجة والسرور.



إن ما يراه الإنسان في شهر رمضان المبارك في ديوانيات الكويت وفي جمعياتها الخيرية الكثيرة ومؤسساتها العامة شيء يصعب ترجمته، إلا انك تخرج بنتيجة مبهرة وهي أن ظاهرة الأعمال الخيرية هي فعلا مبدأ رئيسي للحياة في هذا البلد.

وهناك من ينوه في بعض الأحيان في مجالس أهل الكويت بأن المجتمع الكويتي أصابه بعض التغيير، ربما يكون في هذا القول شيء من الحقيقة إلا أن التغيير لم يقترب من إنسانية وأخلاقيات هذا الشعب ولم يأخذ منها شيئا.

اهتمام ولاة الأمر

هناك تقليد درج عليه حكام الكويت من آل الصباح منذ قديم الزمان، وهو أن يقوم الحاكم بزيارة معظم ديوانيات الكويت القديمة وتهنئة عائلاتها بشهر رمضان، وهذا ما يحرص عليه أمير الكويت الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح منذ أن اعتلى سدة الحكم في البلاد، حيث يقوم بجولة خلال الأيام العشرة الأولى من شهر رمضان يزور فيها العديد من الديوانيات، ولكن هناك ديوانية لها وقع خاص في نفوس أهل الكويت وخاصة عند الأمير وهي ديوانية كبار السن التي تروي جزءا من تاريخ الكويت القديم.



وجهة نظر

زهرة المدائن بين أنياب الوحش!

أكثر من ستين عاماً مضت على القدس العتيقة وهي أسيرة بين أنياب الوحش النازي اليهودي الغاصب.. استولى الصهاينة على نصفها الغربي بعد قيام كيانهم الاستعماري، وبعد عشرين عاماً تقريباً (١٩٦٧م) سيطروا على ما تبقى منها في الشرق مع الضفة والقطاع، وتحقق حلم الصهيوني الأول هيرتزل، وصارت المدينة العربية الإسلامية المقدسة رهينة في قبضة الغزاة، يغيرون ملامحها وبنيتها وسكانها ومقدساتها، والعالم يتفرج على ما يجري دون أن يحرك ساكناً.



د. حلمي القاعود

يحكي الكاتب الصهيوني عوزي بنزمان في صحيفة معاريف ١٢/٥/٢٠٠٩م عن القدس الشرقية بمناسبة مرور ٤٢ عاما على ضمها فيقول: إن الإعلان عن ضم شرقي القدس لم يؤد بشكل حقيقي إلى توحيد المدينة، هذه المسألة تواصل الإثقال على العلاقات الدولية للكيان الصهيوني، وهي العقبة الكأداء الكبرى في مساعيه للوصول إلى مصالحة مع جيرانه، فضلا عن ذلك فإن الخوف من الإعلان على الملأ عن ضم شرقي المدينة عكس وضعا نفسيا ونهجا يرافقان موقف الكيان من القدس حتى اليوم، فالكيان يسلم بأن عرب المدينة ليسوا مواطنيه، وأنهم يقيمون علاقات وثيقة بالضفة الغربية والسلطة الفلسطينية، وأن الحرم يخضع لحكم سلطات الدين الإسلامي في شرقي المدينة، وأن قوانين الإسلام التي تسري في هذا الجزء من القدس لا تتشابه وتلك التي تنفذ في الوسط الإسلامي في الكيان، وأن جهاز التعليم الفلسطيني في القدس يختلف عن ذاك القائم في القرى والمدن العربية في الكيان، وأنه في مجالات الحياة الأخرى، ليست شرقي القدس جزءا منه.. القدس مثال على الفجوة بين الرؤيا والواقع، بين الأمل والقدرة على تحقيقه.

الكاتب الصهيوني يعترف بإخفاق الإجراءات التي قام بها الغزاة النازيون اليهود في المدينة المقدسة، وأنها مع كل ممارسات القهر مازالت مستعصية على الاستسلام والتهويد والموت. مازال فيها عرق ينبض ويقض مضاجع الوحش النازي اليهودي.

إن ثلثي الفلسطينيين في المدينة يعيشون تحت خط الفقر، وأكثر من ثلث أراضيهم صودرت منذ عام ١٩٦٧، وفقا لما أعلنته جمعية حقوق المواطن الصهيونية، كما أن ستين ومائة ألف منهم يسكنون في بيوت بنيت «دون تراخيص» وتنتظر أوامر الهدم والإخلاء.. عشرات الألوف يعيشون دون شبكة مجار، ودون توريد منتظم للمياه الصالحة للشرب.. خدمات الصحة العامة متردية، لا يسأل عنهم إلا قليل من العاملين الاجتماعيين، بينما يتولى أمرهم أكبر عدد من شرطة حرس الحدود! نصف الأطفال الفلسطينيين في القدس في عمر المدرسة لا علاقة لهم بجهاز التعليم الرسمي، وتسعة آلاف منهم لا يتعلمون في أية مدرسة، وتشجع المؤسسة الصهيونية جمعيات ما يسمى باليمين المتطرف على دق وتد الخلاف في قلب الأحياء العربية، مما يؤدي إلى طرد مزيد من العائلات الفلسطينية من منازلها (ها آرتس ٢١/٥/٢٠٠٩م).

كان الصهيوني هيرتزل يحلم بإخلاء المدينة المقدسة من الأسواق وتحويلها إلى مدينة سياحية تعج بالناس، كثيرة البهاء، فيها مجلس النواب، والأكاديمية اليهودية، وما يسميه قصر السلام! لتسوية النزاعات الدولية! ولم ير غضاضة- وهو اليهودي العلماني- في إقامة «الهيكل» إذا حان الوقت!

وبالتأكيد فإن معظم أحلام هيرتزل تحققت اليوم بقوة السلاح وبالوحشية النازية اليهودية التي استغلت ضعف العرب والمسلمين، وأطاحت بالقانون الدولي وقرارات الأمم المتحدة، ومضت في تهويد المدينة وفلسطين، وما استولت عليه من أراض عربية خارج فلسطين.

يدب اليأس في نفوس بعض العرب والمسلمين، ويدفع بعض من يعنيهم أمر القدس إلى ما يشبه الاستسلام لإرادة الغزو النازي اليهودي، إلى درجة أن يسخر البعض من كون القدس عاصمة للثقافة العربية! ويأخذنا العجب عندما نقرأ عن مخططات للاتفاق يتنازل بمقتضاها العدو عن الحي الفلاني في القدس من أجل السلام، أو يتنازل عن السيادة اليهودية تحت الأرض لتبقى فوق الأرض، أو يقبل بالإشراف الإسلامي على جانب من المسجد الأقصى دون بقية الجوانب... إلى آخره، وينسى العالم أن فلسطين كلها وقف إسلامي لا يجوز التنازل عنه أو التفريط فيه، ناهيك عن القدس- زهرة المدائن- ولكن سطوة القوة الوحشية التي يعبر عنها الغازي النازي اليهودي، وتواطؤ المؤسسة الاستعمارية الغربية من خلال المنظمات الدولية، والانهيار العربي الإسلامي، تزرع اليأس في بعض النفوس، وتهيئ لأوهام الذلة والخضوع.

وكما استطاع صلاح الدين الأيوبي بهذا التصور أن ينقذ القدس العتيقة قبل ثمانية قرون تقريبا من قبضة الصليبيين الهمج، فإنه يمكن للعرب والمسلمين المعاصرين أن يقتدوا به.

وحتى ذلك الحين فإن دعم سكان القدس العرب، والتضامن معهم، وتقديم المساعدات الممكنة لهم باتت أمورا ضرورية لتثبيت وجودهم، وتقوية أواصر العلاقة معهم، ليواجهوا الوحش النازي اليهودي.



الطفولة الإسلامية في عصر العولمة

يجتاح العالم اليوم وهو يعيش عصر العولمة وثورة الاتصالات الكبرى المتلاحقة طوفان من البرامج الإعلامية والثقافية والفكرية والعلمية، وتحاول هذه البرامج صياغة الرأي العام الإقليمي والعالمي حسب هواها وحسب مصالح الدول المصدرة لها والتي تحمل في طياتها الغث والسمين، محاولة التأثير في قيم وسلوكات وعادات الأمم والشعوب الأخرى.

هذا الواقع يطرح جملة من التساؤلات على بساط البحث من أبرزها:

ما وضع الطفل المسلم وسط هذا الطوفان الثقافي الوافد؟ وما الاحتياطات التي اتخذناها لحماية أبنائنا وبناتنا من سلبياته وتبعاته وتأثيراته؟ وماذا قدمنا لهم من برامج وأنشطة بديلة تغذي عقولهم وتصوغ شخصياتهم وتعدهم إعداداً صحيحاً ليكونوا بناة مستقبل أمتهم وبلدانهم؟ ومن جانب آخر وحتى تكون اجابتنا ورؤيتنا لهذه التساؤلات السابقة صحيحة وواضحة ومبنية على أسس وقواعد متينة لابد أن نشير إلى أن قضايا الطفولة اليوم ليست بالقضايا الهامشية التي لايؤبه لها ولا يحسب لها أي حساب بل هي قضايا محورية وأساسية ويعتبرها المربون اليوم أساس البناء المجتمعي وأساس العملية التنموية في عالم يتسيد فيه العلم والثقافة والعقل المنهجي العلمي لذا لابد من تغذية ثقافة اطفالنا بمناهج علمية تمنحهم القدرة على الوقوف على حقائق الأشياء، آخذين من روح التراث الإسلامي خلفية ثقافية ثرية يستمد منها أطفالنا أصالتهم وهويتهم في مواجهة عصر سريع التغير يجتاح كل القيم ويعصف بكل التقاليد.

هذه الرؤية الإسلامية لثقافة الطفل المسلم في عصر العولمة حاولنا تأصيلها من خلال هذا الملف الذ ينضعه بين أيدي الإخوة القراء

إعداد : تمام الصباغ

طفل القرن الحادي والعشرين

بين التفكير الناقد والتفكير الابتكاري

د. السيد نجم

تؤكد الدراسات اليوم أن الطفل يحمل من الأفكار والمعلومات والآراء ما يماثل مرحلة من مراحل الانجاز الفكري والعلمي.. وربما الفلسفي لرحلة الإنسان على الأرض، أي ربما يحمل من المعلومات ما يفوق معلومات فيلسوف إغريقي قديم.

لعل فكرة «العلية» أو «السيدية» الآن عند الطفل لم تصل الى تفكير الإنسان إلا في مرحلة متقدمة، بينما أصبحت تلقائية - الى أن وصفها البعض بالفطرية - عند طفل اليوم، وقد يرجع ذلك الى كمّ المعلومات المنتظمة أو المنظمة- بمعنى ما- حول شتى الظواهر والمدركات للإنسان ومن حوله، وهو ما يشير الى الفهم أو العلم الفلسفي لدى طفل اليوم، إذا ما كانت الفلسفة هي تلك المعرفة المنظمة.

وتوضح الدراسات أن الطفل في المرحلة الجنينية، له قدرة استجابية مع العالم الخارجي سواء بحركة أو زحزحة، إلا أن فتوحات الطفل الحقيقية تبدأ بعد الولادة، حيث يبدأ في اكتشاف العالم من حوله من خلال أربعة مجالات هي:

■ مجال الزمن والفضاء، العين تلعب دوراً مهماً هنا، فالوليد في يومه الأول قد يُثبّت بصورة بدائية إحدى مقلتيه على شيء قريب، وبعد أسبوع يبدو قادراً أكثر على التثبيت، فإذا أتم شهره الأول استطاع أن يحدق النظر في كل ما سبق بإحدى مقلتيه، أما بعد شهر آخر فقد ينجح في توظيف كلتا الحدقتين في غزو الفضاء من حوله.

ثم تأتي يداه لغزو الفضاء وعلى المسافات القريبة، لتأتي مرحلة مهمة من بعد وهي «الحبو» وغزو المسافات القريبة.

وتأتي مرحلة اكتشاف البعد الثالث بيده والعبث بالأوعية والمحتويات، أو الملء والتفريغ والعبث بالرمل وتشكيل الطين وهكذا، (هذه المرحلة سماها أفلاطون: إن الفطرة تهندس).

وفي الخامسة يستطيع الصغير أن يرسم خريطة (طرقا موصلة الى مكان)، أما في السادسة فيبدأ في الابتعاد عن كونه مركز العالم، ويبدأ النظر الى الشمس والكواكب، وفي السابعة ينتبه الى وجود أماكن أخرى في العالم المحيط به، حتى إذا بلغ الثامنة عرف معنى الدول الأجنبية البعيدة عن بلده، وفي العاشرة يدرك الاتجاهات الأربعة والعالم الكبير البعيد والقريب.



أما عن الزمن، فلا يدرك الصغير إلا «هنا والآن»، ومع النضج تبدو التوقعات المستقبلية من الأمور المحتملة، فتراه في السادسة يهتم بالتعرف على الأعمار والحديث عن مراحل الرضاعة التي هي- بمعنى ما - امتداد زمني، ويبدو التعرف على الزمن الآتي لافتا لانتباه الصغير حتى يدرك العلاقة بين الزمن والتاريخ في العاشرة، فيتعرف على أيام الأسبوع وعلى علاقة اليوم بالأحداث.. وهكذا.

■ مجال «الأنا» والمجتمع، «الأنا» تعني النفس أو الذات المتصلة بشخص ما (أي ذلك الفرد الذي يزداد استقلالية عمن حوله) ويقولون إن وجود أشخاص آخرين يساعد الرضيع على إدراك وضعه هو، والتعرف على مكانته (المكانة النفسية).

فعندما يبلغ عمره ٣٢ أسبوعا يحس بالغرباء وإن لم يكن قد تعرف على نفسه، وفي عمر السنتين يبدأ في التعرف على نفسه واسمه، وكل الرجال «بابا» وكل السيدات «ماما»، وفي الثالثة تزداد قدرة الطفل على المساومة، أما في الخامسة فيبدأ التعبير عما يشير إلى أنه كبر، كأن يتساءل إذا كان أخوه الرضيع قادراً على فعل كذا.

الطفل في المرحلة الجنينية له قدرة استجابية مع العالم الخارجي

وفي السادسة يكثر السؤال عن ذاته وتركيبه التشريحي مع رغبته في المشاركة بالعالم الخارجي، وفي السابعة يتسع العالم من حوله فيطلب له مكانا على المائدة أو في السيارة، وفي الثامنة يصبح التعرف على العالم الخارجي والبلدان الأجنبية والثقافات الأخرى من أهم اهتمامات الصغير، حتى إذا بلغ العاشرة يسعى لأن يقرأ مجلات الكبار وتحديد المهنة التي سيعملها ويحبها.

وفي دراسة عن الطفل الأميركي، حول الاجابة عن السؤال: ماذا يصنع الجنود؟

يجيب طفل الثالثة بأنهم «يمشون في طابور»، وفي الرابعة يقول «بأنهم يحاربون بالبنادق»، وفي الخامسة يتحدث عن اليابانيين «حلوهم وسيئهم»، وفي العاشرة يسخر من «هتلر» وأنه لا يجيد هجاء كلمة قطة!.

واضح هنا الفروق العمرية، مع فروق الثقافة الخاصة الملقنة للطفل.

■ الحياة والموت: هما المجال الثالث في حياة الطفل الفكرية، فالمزج بين فكرة الحياة والموت أشبه بالتطابق، وفي الخامسة يعلم أن الميت لا يتحرك لكنه لا يحزن، على اعتقاد بإمكانية عودة الروح (تلك الفكرة الفلسفية التي هي في الأديان بشكل ما).

عموما طفل الثالثة لا يفهم كلمة الموت، بينما ابن الرابعة فقليل الفهم للكلمة، ويهتم أكثر بقضية «أصل الحياة» وكيف خلقنا؟ ومن أين أتى الطفل؟ ثم تظهر عليه بوادر الاهتمام بالتوالد في عالم الحيوان.

وابن الثامنة متفتح في هذا المجال، حيث يرى أن فترة النمو في رحم الأم من المراحل المهمة، بينما يفكر ابن العاشرة في القوة الخارجية وراء كل ما يراه، بينما يرى ابن السابعة أن الموت يمس شخصه، وأنه هو نفسه سيموت.

■ مجال الكون والله، يقول «ثورو»: «يصح أن نقول إن الرضيع ينفصل عن الطبيعة أو الفطرة، وينأى عنها كما يرتحل الرجل الكبير عنها ويغادرها، وعلى هذا يكون الطفل أثناء صغره وقصوره مطابقا للطبيعة أو الفطرة مندمجا فيها كأنما هو جزء منها».

إن رحلة الطفل (الإنسان) طويلة حتى يستطيع تأمل الكون الذي منح له ليعْمُره، فتكون الأسئلة: ما هذا؟ ولماذا؟ فتكون الفتوحات من خلال العلوم والديانات.

غالبا ما يكون الفضاء هو أشياؤه التي ينام عليها ويأكل فيها وغيره، وربما شجرة يراها على الأفق، يزداد الفضاء اتساعا مع بداية الحركة بعد أن يحبو ثم يسير ويجري، فيتعرف على المزيد والمزيد.

لذا قد ينجز في الخامسة ما يعبر عن اتصال العالم به، بتخطيط مكان معين من حوله، حتى إذا بلغ السادسة والسابعة تصير مهماته أبعد من شخصه، ويتلمس الكتب المصورة، كما أنه يتساءل عن السموات الفلكية والجنة والنار، ومكان الله، ثم الطقس ودلالة ما يراه من حوله في الشتاء والصيف.

كما تصبح الاسئلة: من أين أتيت؟ أين عثرت عليّ يا أمي؟ أين كنت أيام كنت أنت في المدرسة يا أمي؟ وهل يصنع السوبر مان رجالا من صنفه؟ (وهو سؤال خاص بالطفل الأوروبي أو الأميركي حيث ثقافة أخرى)، أما الأسئلة: من خلق الله؟ وهل ولد الله؟ فهي من الاسئلة التي راودت هذه المرحلة السنية في بقاع العالم.

لذا يجب على الوالدين:

■ عدم السخرية من الطفل.

■ التساؤل بالتشكك والتعبير عن الحيرة من الأمور الايجابية في نضج الطفل العقلي.

■ إن الثقة الشائعة في بيت الطفل تلعب دوراً مهما في تشكيله خلال تلك المرحلة المبكرة.

والآن.. هل من المبالغة القول بأن الطفل مخلوق مفكر؟ وهذه الإطلالة ربما تشي بالتاريخ الفكري للإنسان منذ الأزل، ليبقى السؤال، وماذا بعد أن نضج الطفل، ماذا نقول ونكتب له إضافة لفكره؟





كيف نبني شخصية أطفالنا ثقافياً؟

ليلى محمد محمد

يجب إعطاء الطفل الفرصة الكافية وتوفير جميع المستلزمات التي تساعد في بناء قيم معقولة

عندما نطرح مثل هذا السؤال: كيف نبني شخصية أطفالنا ثقافيا؟ فلابد من أن ندرك نقطتين أساسيتين وهما:

الأولى: ماذا يمكن أن نقدم لهم من ثقافة البلدان المتقدمة؟

الثانية: ما العوامل التي تساعد على تنمية ثقافة الطفل وتسهم في بناء قيمه؟

مما لاشك فيه، أن الثقافة ضرورة للطفل كالطعام والماء والهواء، بل يجدر القول إن تقدم المجتمع مرهون بثقافة أطفاله، وبقدرتهم على اكتساب المعارف الجديدة والقيم الأخلاقية والاجتماعية والتربوية الأصيلة، وقد جاء على لسان كبير خبراء التربية ورعاية الطفولة في الاتحاد السوفييتي السابق قوله «إن في بلادنا قيصرا واحدا سيظل يتمتع بكل الامتيازات والتقدير ذلك هو الطفل»، وفي الولايات المتحدة الأميركية، يقوم رئيس الجمهورية بزيارة رياض الأطفال وملاعبهم والاطمئنان على حسن رعايتهم، وفي بريطانيا، ثار أحد علمائها وحمل على الحكومة حملة شعواء لأنها رفعت أسعار «الشوكولاتة».

أما الشعوب التي تهمل أطفالها وتتركهم يعيشون غرباء عن أمتهم، فإنهم يشبون دون أن يشعروا بأي رباط بأمتهم، إن هذه الشعوب تحفر قبرها بيدها.

وفي ضوء هذا الفهم، نجد أن الطفولة هي أساس الأمة وعليها يقوم بنيانها، وأصبح معروفا لدى الجميع، أن السبب الحقيقي لازدهار حضارة الأمة أو ضياعها، هم أطفالها، ولهذا السبب اهتمت الأمم بالاطفال وعنيت بالطفولة وجعلتها همها الدائم وشغلها الشاغل، كي تبني شخصية الطفل ثقافيا، لأنها أصعب ملايين المرات من بناء السدود العالية والمركبات الفضائية، والأهم من ذلك أن شخصية الطفل لن تكون متزنة وتامة، إلا إذا أولينا فكره وعقله من العناية مقدار ما نولي جسمه حتى ينشأ متكاملا معافى متزنا.

إن مرحلة ما قبل القراءة، هي مرحلة مهمة في حياة الطفل، وهي الأساس في بناء القارئ وإعداده، ولابد أن يبدأ ذلك في مرحلة ما قبل القراءة هذه، أي منذ بداية نمو الطفل.

إن مرحلة الإعداد للقراءة، هي المرحلة التمهيدية التي تصلح للطفل قبل بلوغه السادسة من عمره، فإذا أعددنا الكتاب المناسب لنمو الطفل وحاجاته وخبراته، فإننا نساهم مساهمة كبيرة في إعداد القارئ.

ألا يصح القول بأن كثيراً من بلدان العالم الثالث لا تعرف شيئا عن الطفل! من هو؟ ماذا يريد؟ وماذا يجب أن يعملوا من أجله؟

إن معظم القصص الصادرة غير مدروسة، لأن الهدف من عرضها وبيعها هو الربح فقط، ناهيك أن كتب الأطفال المترجمة تحتل حيزاً مهما، وتنافس الإنتاج المحلي في البلاد النامية، وهذه المواد المترجمة مثل قصص «غريم باندرسون» و«استيفنس»، وقصص أقل شهرة، وغالباً ما تحتوي على قصص علمية، وقد تكون مجلات مصورة، وقد تتفاوت مستوياتها جودة ورداءة، وتأثيرها مختلف، من انبعاث الرغبة في الإبداع الى الخمول والاتكالية.

إلا أن السؤال الذي يلوح في الأفق هو: ما هي صفات الترجمة المفيدة؟

يمكننا تلخيصها في الآتي:

- أن تنحصر في المؤلفات المختارة والجديرة بالترجمة والتي تتماشى مع التربية.
- أن تمتاز بالإتقان، وتبلغ مستوى كلاسيكياً، وهذا نادر في الكتب التي تترجم للأطفال، لذلك فمن الأفضل قراءة هذه الكتب بلغاتها الأصلية أو بلغات أجنبية أتقنت ترجمتها عن لغاتها الأصلية، وهذا ما يقودنا الى المطالبة بإحداث ما يمكن تسميته «مركز الدراسات للأطفال» في البلدان النامية بغية توفير كتاب الطفل في العالم الثالث، ولكي يتسنى لها ذلك يجب التعرف على الطفل أولاً ومن خلال دراسات أساسية تتناول:

١- معرفة مستوى الطفل، للأخذ بيده، وتقديم المادة التي تشبع حاجة القارئ الموهوب الى التفكير التأملي، وتوجيه الطفل العادي الى مجالات أخرى في القراءة، لإخصاب معرفته وتوسيع آفاقه، ويمثله بطاقة اختبار القراءة الصامته للمرحلة الابتدائية.

٢- معرفة عيوب القراءة، لتلمس مواطن القوة والضعف في المهارات اللغوية لدى الأطفال، ويمثله بطاقة عوامل التخلف في القراءة في المرحلة الابتدائية.

٣- الاهتداء إلى ميول الأطفال القرائية بغية توجيهها وتنميتها، ليساعد ذلك على



تحسين الخدمات المكتبية التي تقدم للأطفال.

٤- معرفة الكتب والقصص التي يقرأها الأطفال أكثر من غيرها في مراحل العمر المختلفة.

ولكن كيف يمكننا الاهتداء الى الكتب التي يقبل الأطفال على قراءتها؟

- يكون ذلك من خلال الأسئلة التي يلقيها الأطفال لزيادة خبرتهم (الاستقصاء)، كذلك التواد والتعاطف، وهما من أقوى الأنماط السلوكية التي تتجلى في تماسك الأسرة والأصدقاء والجماعات، وللإقبال عليها يجب توجيهها التوجيه الصحيح، فضلاً عن أن القصص المفضلة للأطفال هي ذات الصفة الخيالية التي تروى عن الحيوانات والطيور، والمحتوية على الألفاظ والجمل البسيطة السهلة التناول، بالقصص ذات الغلاف الجذاب والصورة التي تناسب صورها موضوعاتها.

والإرشاد وظيفة تسبق المطالعة وتمهد لها، بل هو خطوة ضرورية تفرض على القائمين بها أن يعرفوا خصائص الأدب الجيد، الموضوع للأطفال، مثلاً: كيف تختلف قصة للصغار عن قصة للبالغين في أسلوبها وفي مضمونها؟ ألا يتطلب الأمر مطالعة القصص المختلفة، الجيدة والرديئة، في سبيل المقارنة والحكم ومراجعة لوائح الكتب المصحوبة بشروح وتعليقات تساعد على الاختيار، والاستعانة بمصادر أجنبية تنير لنا الطريق؟ وإلا فسنظل نواجه تلك المعضلة (الحلقة المفرغة) من يضطلع بوظيفة الإرشاد الى الجيد من الكتب؟ ولأنه في حالة توافر كتب المطالعة، قد لا تتوافر وسائل الإرشاد، والأمر نفسه يصدق على أنشطة أخرى غير المطالعة.

يجب أن نعامل الطفل على أنه كائن مفكر، ويحتاج الى المعرفة، للوقوف في وجه العقبات التي تقف في طريقه، وبغية تعزيز ثقة الأطفال بأنفسهم، وبيان فوائد الثقافة والعلم ودورهما في تكوين القيم، ومن العوامل التي تساهم في ذلك:

١- إعطاء الطفل الفرصة الكافية، وتوفير جميع المستلزمات التي تساعد على بناء قيم معقولة، يستطيع أن يفخر بها ويدافع عنها ويضحي في سبيلها، بعد أن توفر له المحبة والاحترام والشعور بالثقة والطمأنينة.

٢- فتح حوارات وندوات مع الآباء والمربين، بغية مناقشة الموضوعات التي تهم الأطفال، وتساعدهم على المنافسة والانطلاق وتبعدهم عن العقد النفسية.

٣- تعليم الطفل الجمل الايجابية التي تؤثر في مشاعره، بغية معرفة العلاقة بين المشاعر والأهداف.

٤- تدريب الأطفال على كيفية الإفصاح، والقيام برحلات وعرض المشكلات والاشتراك في وضع الحلول المناسبة لها، وتنفيذ الألعاب الهادفة التي تساعد على تنمية المدارك.

٥- اللجوء إلى استخدام أساليب تربوية مؤثرة وجذابة من ثناء ومكافأة.

المراجع

- الأطفال وقراءتهم- الكويت - شركة الربيعان للنشر والتوزيع ٦٧٩١/ م. ص ١٦٠ للأستاذ محمد بن السيد فراج.
- تقرير حول أدب الأطفال في الغرب- دمشق - ١٩٧٩ م. ص ١٧ للأستاذ إبراهيم الخطيب.
- أطفالنا كيف نفهمهم؟ جيروم كاغار - ترجمة: عبدالكريم ناصيف.

منهج الإمام أبي حامد الغزالي في تربية الأطفال

محمد عرابي

أورد الإمام الغزالي - يرحمه الله- في كتابه القيم «إحياء علوم الدين» آراء كثيرة فيما يختص بتربية الصبيان منها:

١- أن يُشغل وقت فراغه حتى يبتعد الصبي عن العبث والمجون، وخير طريق لشغل هذه الأوقات تعويد الولد القراءة، وخاصة قراءة القرآن الكريم وأحاديث الأخيار وحكايات الأبرار.

٢- يتهذب الصبي عن طريق تعليمه الدين وقيامه بالعبادات اللازمة، ومعرفته علوم الشرع، وتخويفه من السرقة وأكل الحرام ومن الكذب والخيانة والفحش.

٣- ينصح الغزالي بمراعاة التوسط والاعتدال في تهذيب أخلاق الصبية، وينصح بإبعاد الصبي عن قرناء السوء، وبعدم تعويده على التراخي والكسل أو التساهل في التعامل معه، ويصر على إبعاده عن التدليل والتنعم.

٤- يهتم الغزالي بموضوع اللعب بالنسبة للصغار، فهو وسيلة يعبرون بها عن فطرتهم، وينصح بأن يلعب الصبي لعباً جميلاً بعد انصرافه من الكتّاب، ولا يرى الغزالي أن اللعب مجرد نشاط تلقائي يقوم به الصغار فحسب ولكن له ثلاث وظائف أساسية: فاللعب يساعد على ترويض جسم الصغير وتنمية عضلاته وتقويتها، كما أنه يساعد في إدخال السرور على قلب الصغار، وثالثاً: فهو مريح للصبية من تعب الدروس في الكتّاب.

٥- ينصح الغزالي بعدم التمادي في عقاب الصبي، وبالإقلال من التأنيب والتشهير بمساوئ الصغار.

٦- طالب الغزالي بتهذيب الفطرة وتعديل الغرائز ومراعاة الفروق بين الأفراد.

ويضيف الغزالي عدداً من النصائح في تربية الطفل تتعلق بخصائص نموه وتنشئته منها:

١- ألا يستعمل في حضانته وإرضاعه إلا امرأة صالحة متدينة.

٢- يجب عليه لبس الثياب البيض دون الملونة.

٣- أن يمنع من النوم نهاراً فإنه يورث الكسل.

٤- أن يُعلم الولد آداب الأكل.

٥- أن يُعود ألا يكشف أطرافه، ولا يسرع المشي ولا يرخي يديه.

٦- أن يُمنع الفخر على أقرانه بشيء يملكه والده.

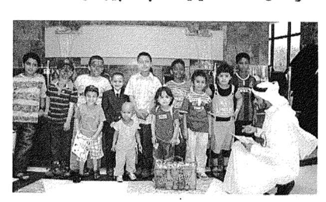
٧- إذا ضربه المعلم فلا يكثر من الصراخ والشغب، ولا يستشفع بأحد.



أسئلة الأطفال الدينية والإجابة عنها

أحمد حسن الخميسي

الأسئلة مفتاح من مفاتيح المعرفة، يطرحها الكبار والصغار على من هم أعلى وأكثر خبرة في شؤون الحياة.
وتكثر هذه الاسئلة عند الصغار، لاسيما في مراحلهم الأولى من الحياة، ويوجهون هذه الاسئلة الى أقرب الناس إليهم كالوالدين والإخوة والأقارب والمعلمين والمشرفين.
وتشكل الأسئلة الدينية النسبة الكبيرة من أسئلة الأطفال، ويكون بعضها محرجاً.



تأتي الإجابات من أفراد الاسرة وغيرهم متفاوتة، وقسم منها لا يكون مناسباً للطفل، ومن الآباء من يتهرب من الإجابة أو لا يحسن الإجابة، مما يؤثر على الطفل.

هذا ما دفعنا للوقوف على أسئلة الأطفال الدينية والاجابة الناجعة عنها، لكي نساعد أطفالنا على التعرف على دينهم، ونقدم لهم ما يشفي غليلهم من حب للمعرفة والاطلاع.

لماذا يسأل الأطفال أسئلة دينية؟

يولد الأطفال على الفطرة، فما إن تنطلق ألسنتهم بالكلام، حتى يبدأوا بالأسئلة والاستفسار عن حياتهم وعن خالقهم وعما يسمعونه من أهليهم ورفاقهم ومن وسائل الاعلام عن الملائكة والجان، وعن العبادة كالصلاة والصيام وعن رسول الله والأنبياء عليهم السلام، وعن المعاملات... إلخ، كل ذلك ليشبعوا حب الاستطلاع والمعرفة التي فطروا عليها، فالله -سبحانه وتعالى- جعل هذا الدافع للسؤال في داخل الطفل ليزداد معرفة، فمن واجب الوالدين - وهما اللذان سير بيان الطفل على مبادئ الدين وتعاليمه - أن يجيبا عن أسئلته إجابات واضحة ومقنعة تريحه وتزيد ثقته بنفسه وبوالديه وبمعلمه إن كان له معلم.

فما الطريقة المناسبة للإجابة عن أسئلة الأطفال الدينية؟

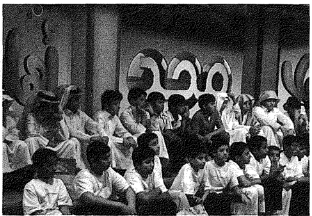
إن الرد على تساؤلات الأطفال، يجب أن يتصف بالصحة والدقة والوضوح والإقناع، فلا نقدم للطفل إجابة خاطئة أو غامضة أو غير مقنعة، وهذا لا يعني أن نطيل في الإجابة حتى تتحقق الصفات السابقة، بل نقدمها بشكل مناسب بين الإيجاز والإطالة، وتلائم عمر الطفل، فالاجابة على أسئلة ابن السادسة يجب أن تكون أقصر من الاجابة عن اسئلة ابن العاشرة وهكذا، هذا في الاسئلة التي يحتاج الجواب فيها الى افاضة وتوسع وتقديم أدلة وبراهين كما في الاسئلة عن الغيبيات، والأسئلة الحرجة، أما بعض الاسئلة فتكون الاجابة عنها محدودة تقدم لأعمار الاطفال جميعها كسؤال: كم هي عدد ركعات الفرض في صلاة الظهر؟ فالاجابة واحدة: أربع ركعات.

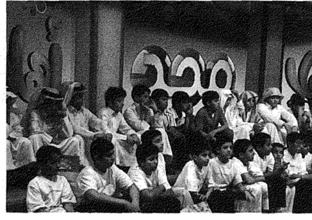
ويستحسن ان نفتح آفاقاً واسعة للطفل كي يسأل، ونشجعه على ذلك، ونمنحه مزيداً من الثقة والمحبة، ونجيبه عن جميع أسئلته حتى الحرجة منها فورا، وإذا كان الأمر يتطلب مراجعة الكتب أو سؤال أهل العلم، فعلينا أن نمهله الى وقت آخر للاجابة على سؤاله، ونحرص على إجابته ولو بعد حين، لكيلا يبقى في حيرة وشك، فالمماطلة في الإجابة، تثير لدى الطفل أسئلة أخرى، وربما يبحث عن الاجابة من مصادر ثانية، قد لا تقدم له الاجابة الصحيحة الشافية، بل تقدم له الاجابة المشوشة الخاطئة، فيزداد حيرة وشكاً.

وكي نوسع وسائل المعرفة والتعامل والاتصال عند الأطفال، نطلب منهم أن يراسلوا وسائل الاعلام كبرامج الأطفال في التلفزيون وصحافة الأطفال









التي تخصص في برامجها مكاناً للإجابة على أسئلة الأطفال.

هذا في الأسرة، أما في المدرسة فالمعلم الواعي هو الذي يترك للأطفال فرصاً ليسألوا عما يخطر ببالهم عن الأمور الدينية، فيجيبهم بشكل مناسب ومقنع، ويبدي لهم سروره بأسئلتهم ويشجعهم على ذلك.

وعندما يتلقى الأطفال أجوبة شافية كافية عن تساؤلاتهم الدينية، ولا يجدون لدى معلمهم غضاضة في الإجابة عنها، يزدادون في طرح الاسئلة ويسألونه اسئلة حرجة قد يترددون في طرحها على أهليهم وذويهم.

ولن أذهب بعيداً عن هذا الميدان، وسأقدم إليكم ما جرى معي خلال قيامي بتأدية رسالة التربية لعدة عقود خلت، ليطلع الآباء والأمهات والمعلمون على نماذج من أجوبتي عن أسئلة الأطفال التلاميذ الدينية.

يستحسن أن نفتح آفاقاً واسعة للطفل كي يسأل ونشجعه على ذلك

نماذج من الأجوبة عن أسئلة التلاميذ الدينية

١- في درس من دروس التربية الاسلامية، قال أحد التلاميذ: لقد حدثتنا عن الله تعالى فأحببناه، فلماذا لا نراه كي نتكلم معه؟

فقلت للسائل: اخرج وقف عند باب الغرفة، وانظر الى الشمس وهي في رابعة النهار، وحدق النظر فيها دون أن تغمض عينيك، ففعل ما أمرته به، وبعد قليل ارتد بصره، ووضع يده على عينيه وقال: لم أعد أحتمل النظر الى الشمس فنورها شديد.

فقلت: إذا كنا لا نستطيع ان ننظر الى أشعة الشمس، فكيف نستطيع أن نرى نور الله إذا تجلى لنا.

فاقتنع التلميذ ورفاقه، وعززت اجابتي بالحديث عن سيدنا موسى عليه السلام، عندما طلب من ربه أن يراه، فلما تجلى الله للجبل خر موسى صعقاً (مغشياً عليه) وهو القوي الأمين.

٢- سألني أحد التلاميذ وهو في العاشرة من عمره: أنت تقول: إن الله على كل شيء قدير، فلماذا يأمر الملائكة بالقيام بأعمال كثيرة؟ لماذا لا يفعلها هو بنفسه؟

قلت للطفل ابن العاشرة: انظر للثلاجة - وكانت على بعد أمتار من مجلسنا - إذا عطشت أنا، فإما أن أطلب منك أن تحضر لي منها كوباً من الماء البارد (وأنت تفعل ذلك بكل سرور) وإما أن أقوم بنفسي فأشرب، هل احضارك للماء لي يدل على عجز مني؟

قال: لا. قلت (ولله المثل الأعلى) كذلك الله تعالى عندما يطلب من جنوده القيام ببعض الأعمال، لايعني ذلك أنه لا يقدر على القيام بها، بل هم بعونه وقدرته يتحركون ويعملون، فاقتنع التلميذ والسامعون.

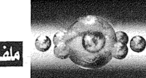
٣- سأل تلميذ في الثامنة من عمره، لماذا لا نرى الشياطين؟ فقلت: تصور أنك عندما تريد أن تنام على السرير تبدأ الشياطين تقفز حولك في غرفة نومك وأنت تراها أو تدخل عليك من الباب أو من أسفلك أو من أعلاك وهي حرة الحركة طليقة ومنظرها مخيف، فصرخ التلميذ ومن معه «يا ويلي!» لا لا.. لايمكن أن أنام، هذا شيء يخيف ويرعب، قلت: فهل عرفت لماذا لم يظهر الله لنا الشياطين؟

الخلاصة

مما سبق، تبين لنا أن الأجوبة على أسئلة التلاميذ من الأطفال لم تكن أجوبة مباشرة، بل تضمنت قصة منها جواب عن السؤال أو مثلاً موضحاً للجواب، أو ربطاً بين حادثة وحادثة وجواب وجواب، ويمكن لنا كذلك أن نربط بين عالم الغيب وعالم الشهادة، لأن الطفل يقتنع بالمحسوسات أكثر، فالربط التقريبي بينها في الإجابة على أسئلة الأطفال الدينية مطلوب ومناسب، وعلينا ألا نهمل الإجابة عن أسئلة الأطفال بل نوليها الاهتمام البالغ.

إن ما قلناه - فيما سبق - لا يعني كل شيء، بل هو نافذة نطل منها على أسئلة الأطفال الدينية والإجابة الحكيمة عنها.

وللمربي المسؤول حرية الإجابة بشرط أن تكون إجاباته فيها من الحكمة والروية والوضوح، ما يجعل الطفل يقتنع ويطمئن، ولا يجد حرجاً في طرح أي سؤال يخطر بباله.



بعد أن تفاقمت الأزمة وظهرت المحنة

كيف ننمي الموهبة الأدبية لدى أطفالنا؟

فاروق الدسوقي



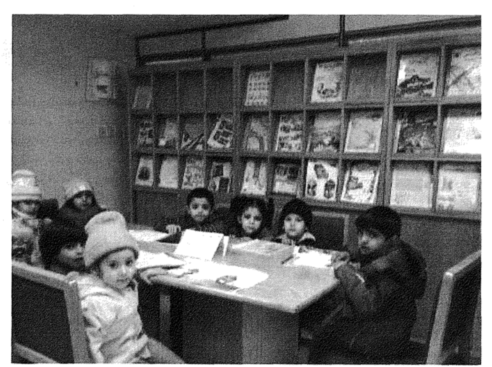
للطفولة في نظر الإسلام معنى كبير، فالأطفال نعمة كبرى من نعم الله التي أنعم بها على الإنسان، ومن هنا كانت هذه النعمة جديرة بأن تراعى حق رعايتها، ولم يكن غريباً أن تتحرك الأبوة والأمومة تجاه أطفالهم بالحفاظ عليهم، والحرص على سلامتهم حتى ينشأوا ويقبلوا على الحياة بالأمل المشرق، والعمل الخلاق، وإذا كان التشريع الإسلامي قد أرسى الأسس القويمة التي ترعى هذه الطفولة منذ نشأتها، بل وترعاها قبل أن تخرج إلى الحياة، فإن الأدب الإسلامي لم يفته، وهو الفن المعبر عن الحياة، أن يعطي الطفولة أيضا حقها تصورا وتصويراً، وتأثراً وتأثيراً بما يجعل هؤلاء الأطفال يشعرون منذ نعومة أظفارهم بأنهم كيان يحس، وينفعل ويتفاعل مع كل ما يدور حولهم في هذه الحياة، فهي إذن طفولة مؤثرة ومتأثرة، ومن هنا كانت العناية واضحة بأدب الأطفال منذ القديم.

ويؤكد ذلك ما حفلت به كتب التراث في أدبنا العربي والإسلامي، ولعلنا نتذكر ما كان يعرف بأشعار الترقيص، والغناء، وأغاني المهد، حيث كان الفن الأدبي الذي يخاطب به الصغار مجالا لتصوير عاطفة الأبوة والأمومة تجاه أطفالهم، وفلذات أكبادهم، وانطلاقاً من هذه القيم الرفيعة التي تناقلناها عبر الأجيال، والتي حفلت بها أمهات الكتب من تراثنا العظيم، واستمرت مسيرة الأدب الإسلامي على مر السنين، ثم تلقف الراية أدبنا العربي والإسلامي في العصر الحديث، فوجد أمامه كنزا لا ينفد، ومعينا لا ينضب من أسمى القيم وأعلاها، وأرفع المثل وأغلاها، تمثلت في كتاب الله الخالد المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، بما فيه من عقائد، وتشريعات وحكم وأحكام وقصص وأخلاقيات، وعبر وعظات وعلم وعمل، ثم تمثلت بعد ذلك في القدوة الطيبة التي أهداها الله لأمة الإسلام والرحمة التي أرسلها الله للعالمين، وكانت هذه الرحمة المهداة ببعثة محمد رسول الله ﷺ، وكان سيدنا محمد بحق القدوة، لقوله تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ (الاحزاب:٢١)، وكان النبي ﷺ بحق كما قال ربه في شأنه ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ (القلم:٤).

ورغم ذلك لم تحظ موهبة الطفل الأدبية بما تستحقه من عناية الآباء، ودارسي الأدب، والمسؤولين عن رعاية الإبداع، فغالبا ما ننتظر حتى يتجاوز الطفل عتبات الطفولة لنلحقه بالمؤسسات التعليمية، لا لننمي موهبته ليصبح أديبا، على الرغم من ان ديننا الإسلامي يهذب الأطفال منذ نشأتهم بآداب سامية، فظهرت محنة الموهبة الأدبية في عصر ظهرت فيه معارف ومواهب جديدة زحزحت الأدب عن أولويته التي كان يحظى بها في المجتمع، فلم تعد النظرة إلى التنشئة الأدبية تخلو من هاجس الازدراء.

فطرة سليمة

والإسلام يهذب الطفل منذ مراحله المبكرة بأدب سام، يوقظ فيه كل حين الفطرة السليمة، والخليقة الخالصة النقية، التي تفضل بها الله (عز وجل) على خلقه حين يتلو أو يسمع قول الله

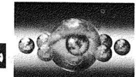


لم تحظ موهبة الطفل الأدبية بما تستحقه من عناية الآباء ودارسي الأدب والمسؤولين عن رعاية الإبداع

سبحانه وتعالى ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (الروم:٣٠)، فيسلك المنهج القويم، ويميز بين الطيب والخبيث، والهدى والفجور، قال تعالى ﴿ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها﴾ (الشمس:١٠) يقول د.صلاح عبدالتواب إن القرآن الكريم يحث في أدبه المعجز العباد على الطريق المستقيم، والهدى، والوقاية من الضلال والعذاب، ويحثنا النبي ﷺ في أدب بليغ يتردد صداه في جوانب النفس والوجدان - على النظر إلى الفطرة بقوله «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» (رواه البخاري)، كما رغب في مخالطة الأخيار، ونهى عن مجالسة الأشرار، في قوله ﷺ «لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي» (سنن أبي داود)، وإذا نشأ الطفل في مجتمع رحيم عطوف عليه، ووسط أسرة تضمه بالحنان والحب والرحمة يصير متأدباً بآداب الرحمة، متذوقاً لمعاني الحب والجمال والخير والحق، في قوله، ومنهجه وسلوكه، لأن أدب الإسلام حث عليها من الصغر على أنها عبادة، وطاعة، ومنهج، وسلوك، ومن القيم الخلقية في الأدب الإسلامي أدب العدالة بين الأطفال، فلا يضارون بصورة من صور الظلم، من الأسرة أو المجتمع، مما يترك أثرا بناء في تهذيب نفس الطفل، ورقة مشاعره، وعمارة وجدانه، فيشب على المحبة، والمودة، والتعاطف، والتعاون، لقوله عز وجل ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ (النحل:٩٠) وهذا ما يجب على المجتمع من رفع الظلم عن المسلم وعن الطفل الضعيف، وإرساء العدالة الاجتماعية بين الجميع.

واقع وخيال

يقول د.صبح أستاذ الأدب بجامعة الأزهر: إن الإسلام أوجب على الوالدين أن يرعيا أولادهما الأطفال منذ سبع سنين على سبيل الوجوب، والإلزام بتعليمهم الصلاة، واعانتهم على أدائها، وأن يضربوهم عليها إذا ما بلغو عشر سنين وانصرفوا عنها، لقوله تعالى ﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى﴾ (طه:١٣٢)، وقول رسولنا الكريم ﷺ «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبنا عشر وفرقوا بينهم في المضاجع» (سنن أبي داود)، وجاء الأمر لأن اعتياد الصلاة وتكرارها في اليوم خمس مرات يعودهم على قيم وأخلاق كثيرة، والطفل يعتمد في تفكيره على الخيال لا الواقع، وهي ظاهرة تتصل بالشعر، ويمكن للمسرح التعليمي أن يشبع لديه هذه الناحية، خصوصا أن قوة مخيلته تتناسب عكسياً مع عمره، وأي تمثيل أو لعب يكسبه الحس المعرفي، والدرامي، ولهذا تعد مرحلة الطفولة بمثابة نقطة الالتقاء الفنية التي تتيح له أن يلتقي باللغة الأدبية ليعرفها، ويتعود عليها، ويكسب الرونق والديباجة، ويتعرف على مناهج الشعراء، حتى يوشك أن يكون شاعراً مثلهم.



حول خطورة وحساسية الكتابة للطفل المسلم

مما لا ريب فيه أن الكتابة للأطفال واليافعين والمراهقين في كل أقطار الوطن العربي والعالم الإسلامي أخذت تنداح وتزداد اتساعاً سنة بعد أخرى، أو شهراً بعد شهر، بل يوماً بعد يوم، مما يشي بحق أن هناك وعياً لدى المربين والأدباء والكُتّاب العرب إزاء أهمية وخطورة وحساسية الكتابة في هذا الحقل المعرفي، أو لنقل بكلمة أكثر وضوحاً، إن مبعث هذا الموقف وهذا الوعي يكمن في الشعور بالتخوّف على هُويّة النشء في مجتمعاتنا العربية المسلمة، لاسيما خلال هذه المرحلة التاريخية التي تتسم بالانفتاح الكبير وشدة التقارب بين الثقافات والأفكار والأنماط الاجتماعية الحياتية والاتجاهات والمنازع المختلفة، فكان من الطبيعي أن يُثار سؤال الخصوصية الثقافية وما يقتضيه ذلك السؤال المركزي من تفكير في الوسائل والمناهج والمهارات التي من شأنها على أقل تقدير المساهمة في عملية تعزيز الذات والمحافظة على الخصوصية بمنأى عن دوافع التعصب والجمود والانغلاق، أو كراهية الآخر الذي يحمل طابع المغايرة الثقافية والحضارية.

ابراهيم نويري

لاشكّ عندي أن هذه المسألة الحيوية ينبغي أن تأخذ حقها من العناية والاهتمام والرعاية، وأن تحظى بمزيد تفكير وتنظير على كلّ المستويات، لاسيما على مستوى أدب الأطفال واليافعين، باعتبار أن الناشئة هم الفئة التي سوف تجد نفسها بحاجة ماسة لفهم طبيعة العصر الذي تعيش فيه، وما يفرضه ذلك من إعداد وتأهيل فكري وثقافي يمكّن الجيل الجديد من أبنائنا وبناتنا من التعامل الصحيح مع العصر الذي قد يحمّلهم من المطالب والمقتضيات ما لا نستشعره نحن الآن أو نفكر فيه خلال هذه المرحلة من تاريخنا.



إن الكتابة للأطفال واليافعين في أوطاننا العربية وعالمنا الإسلامي الكبير ينبغي أن تنمو وتتطور بشكلٍ أو وتيرة ممنهجة وفاعلة يمكّنها بحق من الاستجابة السليمة الواعية المستبصرة، لتبنّي ومعالجة اهتمامات الطفل معالجة شاملة عميقة، والإجابة على جميع تساؤلاته ورغائبه وخيالاته وتطلعاته بأسلوب مطابق للعلمية، أو متّسق مع ثوابت وحقائق العلم ومناهج التربية والتأهيل، إذ لا مكان مطلقاً- في هذا المنهج- للتعامل مع أفكار أو معارف من شأنها ترسيخ الخرافات والأساطير والأوهام في ذهن ووجدان الناشئة، ولنا أن نقرر هنا أن أيّ كاتب أو ناشر يسعى لترويج ونشر هذا اللون من المعرفة- أي اللون الخرافي- فهو غاش للأمة ودينها وقيمها وموراثيها الثقافية والحضارية، خاصة إذا استحضرنا في وعينا البون الشاسع بين المستوى الذي عليه أمتنا في هذه المرحلة من تاريخها، وبين الآفاق التي بلغها العالم من حولنا.

أعرف سلفا بأن هذا الأمر قد يفضي بنا، أو قل يحيلنا للحديث عن مساحة الحرية المتاحة للكلمة والإبداع الفكري في أقطارنا العربية، بيد أن هذا الأمر موغل في النسبية، فضلاً عن كونه يختلف من قطر لآخر، مما لا يترك أمامنا أية فرصة للمماحكة أو للتقول بما يخالف الحقيقة، و إصدار أحكام نمطية، قد لا تزيد عن أن تكون شهادة زور، ثم إن الأفق العام في سائر بلداننا يتجه بصورة طبيعية باتجاه تكريس الحريات العامة، لاسيما في مجال الكلمة والفكر والرأي.

إننا الآن نشهد تحولاً يشبه القفزة النوعية فيما يتعلق بالكتابة للأطفال في سائر أمصار وأقطار الوطن العربي، حتى بات هناك أكثر من جيل واحد يُنسب لأجيال كُتّاب الأطفال واليافعين، فمن أبرز أسماء الجيل الماضي ممن اهتموا بأدب الطفل، نذكر مثلا أحمد محرم ومحمد الهواري وسيد قطب وأحمد شوقي وبهيجة صدقي ومحمد سعيد العريان وكامل كيلاني ومحمود أبوالوفا ومحمد زهران وأمين دويدار وحسن توفيق وحامد القصبي وعلي فكري وتوفيق بكر ومحمد عبدالمطلب ومحمد الأخضر السائحي وعبدالحميد جودة السحار...الخ، ثم جاء بعده جيل آخر ربما من أشهر أسمائه زكريا تامر وعادل

أبوشنب ودلال حاتم وعزيز نصار وإسكندر نعمة وعبدالله عيد ونزار نجار وطالب عمران وعبدالرزاق جعفر وأيوب منصور ومصطفى عكرمة ولينا منصور وعبدالتواب يوسف... والقائمة طويلة لا يستوعبها فضاء هذا المقال، إذ إن مكانها الطبيعي دراسة مستفيضة تتناول تاريخ أدب الطفل في العالم العربي.

وهناك أيضا جيل جديد دفعه وعيه الذاتي واشتغاله في الحقل التربوي والتعليمي والإعلامي إلى استشعار أهمية وخطورة مجال الكتابة للأطفال والناشئة عموماً، وهذا الجيل أصبح فوق الحصر، ولعل أحسن وسيلة للوقوف على كلّ الأسماء، تأليف عمل ببليوجرافي موسوعي يشمل جميع كتاب أدب الطفل في كل الأقطار العربية، وحسبنا أن نشير هنا في عجالة إلى بعض الأسماء المشهورة، مثل سامي محمود طه، والحبيب دربال، وزهير رسام، وعارف الخطيب، وخير الدين عبيد، وصبحي سعيد، ونورالدين الهاشمي، وكمال قداوين، ومحمود مفلح، وآمال يوسف، ويعقوب الشاروني...الخ.

كما يمكن التنويه إلى أن ما زاد في وتيرة العناية والاهتمام بأدب الطفل انتشار مجلات الأطفال، وظهور القنوات التلفزية والفضائيات الموجهة للأطفال، ولا يخفى على النابهين وجود بعض البرامج وحصص الصور المتحركة (أفلام الكرتون) ذات الخلفية الفكرية والسلوكية الغربية التي من شأنها تشكيك الطفل العربي المسلم في عقيدته أو زعزعة إيمانه وإضعاف انتمائه لوطنه ومحبته لأهله

عدم العثور على مصطلح أدب الطفل في أدبيات التراث العربي القديم لا يعني غياب قضايا الطفل وشؤونه المختلفة

وأمته وهويته الحضارية، ولعل ما أثاره مسلسل «البوكيمون» الشهير من جدال وسجال خير مثال يمكن استحضاره في هذا السياق.

إن الكتابة للأطفال أساليب وألوان شتى، منها ما يُعرِّف الطفل بالطبيعة ومناظر جبالها وسهولها وبحارها وأنهارها وبراكينها وعواصفها وتقلبات فصولها، ومنها ما يهتمّ بالتعريف بالكون وأفلاكه وكواكبه ونجومه، ومنها ما يسعى للتعريف بالحيوانات المختلفة من أليفة ومفترسة ومنقرضة كالتنين والديناصور...الخ، ومنها ما يُقدِّم للناشئة جرعات من الخيال العلمي تخدم وتدعم رصيدهم من الثقافة العلمية الضرورية، ومنها ما يُعرِّف النشء ببعض الأحداث التاريخية من خلال تقديم أعلام وشخصيات تصلح مواقفها وسلوكياتها للتمثل والاقتداء، ومنها كذلك لون آخر يتّجه لتعزيز القيم والخلال الحسنة، وغرس الفضائل والأخلاق الحميدة في نفسية الطفل وفكره وسلوكه.

وإذا كان بعض خبراء أدب الطفل قد عرّفوا هذا الأدب بأنه التعبير الأدبي الجميل المؤثر، الصادق في إيحاءاته ودلالاته، الذي يستلهم القيم الرفيعة والمبادئ السليمة والعقيدة الصحيحة، ويجعل منها أساساً لبناء كيان الطفل عقلياً ونفسياً وسلوكياً ووجدانياً وبدنياً وفنياً، ويساهم في تنمية مداركه وإطلاق مواهبه الفطرية وقدراته المختلفة فإن الكثير من الكتابات العربية التي دبّجها مؤلفون مسلمون قدامى يطولها هذا التعريف حتما.

فليس بالضرورة ابتداء، ولا من العدل أن نحكم على وجود شيء ما من خلال اسمه وإلاّ انتفى وجوده، بل العبرة بالمضمون، أي بوجود الشيء نفسه في الواقع الماثل، وهذا الذي نقرره ينطبق على حقيقة «أدب الطفل» في تاريخ الكتابة العربية والإسلامية، فالكتّاب العرب والمسلمون لم يُطلقوا مصطلح «أدب الطفل» في كتاباتهم، لكنهم تناولوا مختلف قضايا الطفل، بدءاً بالجانب التربوي التأهيلي، ووصولاً إلى الجانب الترويحي الترفيهي.



فنحن إذا عدنا لتقصي هذه الكتابات وجدناها تتناول عدة جوانب أهمها: العقيدة الدينية والالتزامات الأخلاقية والجوانب التربوية والسلوكية، وتنمية المواهب والمهارات الإبداعية والرياضية والفنية، وجوانب التثقيف والترفيه، ولا شكّ في أن هذه الجوانب عولجت من خلال توظيف القيم التربوية الإسلامية المستوحاة من القصص القرآني والحديث النبوي، وقصص المغازي والسير وبعض الملاحم وتواريخ الشعوب التي فتحت صدرها وقلبها للإسلام.

وفي ذلك يقول د. نجيب الكيلاني- رحمه الله- «وجد القصاصون في قصص القرآن الكريم مادة ثرية للأطفال، فكانت تُروى لهم بصورة مبسطة، وكذلك بعض ما ورد في الأحاديث النبوية ومغازي رسول الله ﷺ وحروب الصحابة ومَنْ أتى بعدهم، وجهاد المسلمين لنشر الدعوة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، وأخبار العلماء والصالحين والرحالة والمسافرين للتجارة، وأخبار الأمم الأخرى كذلك» (أدب الأطفال في ضوء الإسلام ص ٢٧).

فعدم العثور على مصطلح «أدب الطفل» في أدبيات التراث العربي القديم لا يعني بحال غياب قضايا الطفل وشؤونه المختلفة، بل إننا لنعثر على عدة



نماذج في العطاء الثقافي العربي العتيق، تمثل أشكالاً وأجناساً لأدب الطفل، مثل كتابات أبي عبدالله محمد ابن ظفر الصقلي المكي (ت ٥٦٧ هـ) خاصة كتابه «أنباء نجباء الأبناء»، وابن سعيد الغرناطي الأندلسي (ت ٦٨٥ هـ) في كتابيه «مختصر العجائب» و «القدح المعلى» بل هناك نماذج كثيرة يمكن إدراجها ضمن أدب الطفل، موجودة في كتابات مؤلفين أقدم زمنياً من هذين المؤلفين، مثل عبدالله بن المقفع (ت ١٤٢ هـ) والجاحظ (ت ٢٥٦ هـ) وأبوحيان التوحيدي (ت ٤١٤ هـ) ونحوهم.

ناهيك عما في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والسيرة العطرة وكلام الخلفاء الراشدين والتابعين والفقهاء من توجيهات وآراء وتصورات وإرشادات تشكل خلفية نظرية أو قاعدة لصياغة أدب الطفل، ومثال ذلك «قصة النُّغير» وملخصها أن رسول الله ﷺ مرّ ذات يوم على طفل يُدعى عُميرا، شقيق أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ، وفي يده عصفور فيسأل الطفل عن اسم العصفور، ويجيبه الطفل بأن اسمه النغير، فكان رسول الله كلما مرّ بطريق هذا الصبي يقول له مداعباً: يا أبا عمير كيف هو النُّغير؟ فيقول: بخير يا رسول الله، وذات يوم يمر ﷺ فيجد الطفل عميراً يبكي، فيقول له: ما يبكيك يا عمير؟ ويجيب عمير يا رسول الله لقد مات النُّغير!! فأخذ رسول الهدى ﷺ يصبّره ويخفف عنه، وفي اليوم الثاني يجيء رسول الله ﷺ بنفسه إلى بيت الطفل عمير لتعزيته في موت العصفور، فهذه الحادثة الطريفة- المسطرة في السيرة العطرة- مادة رائعة حقا في تأصيل أدب الطفل في الإسلام.

ومثال ذلك أيضا قول الخليفة عمر بن الخطاب «علموا أولادكم السباحة والفروسية، ورَووهم ما سار من المثل، وما حسُن من الشعر»، وقول هشام بن عبدالملك لمعلم ولده «... وأول ما أوصيك به أن تأخذه بكتاب الله، ثم روّه من الشعر أحسنه، ثم تخلل به في أحياء العرب، فخذ من صالح شعرهم، وبصّره بطرف من الحلال والحرام والخطب والمغازي»، ويقول حجة الإسلام أبوحامد الغزالي «إن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها، والصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة، خالية من كلّ نقش وصورة، وهو قابل لكلّ ما يُنقش عليه، ومائل لكلّ ما يُمال إليه، فإنْ عُوِّد الخير وعُلمه نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة... فعليه أن يتعلّم القرآن وأحاديث الأخبار وحكايات الأبرار».

وصفوة القول أن أدب الطفل أصيل في الإسلام والكتابة العربية القديمة، على خلاف الحضارة الغربية التي لم تعرف شيئا يُذكر عن الطفولة وأدبها إلا بداية القرن السابع عشر الميلادي، وهذا ما يجب أن يعلمه المثقفون من أبناء أمتنا، وعياً وإدراكاً لخطورة وأهمية حقل ثقافة الطفل، بوصفها المرتكز الأول في عملية إعادة بناء فكر الأمة وتأهيل إنسانها تأهيلاً صحيحاً فاعلاً، يعود بالخير والنفع على ديننا وأوطاننا وهُويتنا.

رعاية وحماية الطفـ



سهام مهران عبدالله

بتمويل من منظمة «اليونسيف» نشرت جريدة «تشرين» عام ٢٠٠٥ ملفاً متعلقاً بهذا الشأن، ونحن في هذا الصدد نحاول التركيز في موضوعنا هذا «على العالم العربي» ونقتطف بعض العبارات لنقاد ودارسين ومحللين استيفاء للغرض النبيل وهو رعاية وحماية الطفولة من العمالة في عالمنا العربي.

والطفولة معرضة لأبشع الانتهاكات التي عرفتها البشرية، فالطفل أضحى الدجاجة التي تبيض ذهباً للمرابين والمتاجرين بدم وقوت الشعوب كما أصبح الطفل كبش فداء في معارك لا ناقة له فيها ولا جمل، والطفل هو ذلك المخلوق الرقيق الذي يختطف من حضن أمه وأبيه ليزج به في الشوارع ويعمل في الدعارة ومصانع الصلب والحديد والمناجم والحقول والشوارع وتجارة المخدرات وغيرها.

ويشير د.أحمد عبدالله مدير مركز الجيل في القاهرة إلى أن ظاهرة عمل الأطفال تعتبر حديثة العهد في عالمنا العربي ولا تخرج ظاهرة عمل الأطفال في الإطار العربي عن قوام الظاهرة في إطارها العالمي سواء من حيث أسبابها «الفقر- تدني التعليم - القيم القابلة واللامبالاة» أو من حيث ظروف المعيشة للأطفال العاملين في أسرهم الفقيرة أو من حيث شروط وبيئة العمل «الاستغلال- تدني الأجور- الإيذاء- المخاطر».

...ـولة من العمالة في العالم العربي



يضاف إلى ذلك تأخر الاهتمام بمجرد الدراسة للظاهرة التي لولا الضغط الدولي لكان من المشكوك فيه الاهتمام بها أصلا في الإطار العربي.

ومما يزيد الطين بلة تخلف أجهزة الإحصاء الرسمي عن توفير المعلومات الأساسية عنها، فمن المفارقة اللافتة أن الإحصاء الرسمي اللبناني يجعل نصيب الأطفال من قوة العمل مجرد نصف في المائة تقريباً، هذا رغم ما هو مرئي ومعلوم من اضطرار الأسر اللبنانية الفقيرة - وهي الضحية الأولى للحروب الأهلية والإقليمية- لإرسال أطفالها للعمل بدلاً من المدرسة.

على أن المفارقة الأكثر إيلاماً في الإطار العربي هي هذا الانتشار المشهود لظاهرة عمل الأطفال في منطقة تحتوي على قطاع الدول الصغيرة للنفط، وإذ تستدعي ظاهرة عمل الأطفال المزيد من الدراسة على المستوى العربي كما يستدعي التصدي الجاد لها إحراز تقدم حقيقي على صعيد التنمية الاقتصادية ومحاربة الفقر وتطوير التعليم فإن هذين الأمرين يمثلان المدخل (الدراسة) والمخرج (التنمية) للتعامل الجاد مع الظاهرة على أمل القضاء عليها على المدى الطويل، ويأتي في المنتصف ما بين هذا وذاك ما يمكن أن نسميه الإطار الوسيط سواء على المدى الزمني أو على مستوى العمليات الجارية والمستحدثة على هذا المدى، وهنا تأتي عملية العمل (LABOUR PROCESS) من حيث تنظيمها القانوني على مستوى الدول العربية المنفردة وعلى المستوى الجمعي العربي، وبما تحتويه هذه العملية من عمال بالغين وعمال صغار، وفي حالة العمال الصغار ينقسم الأمر ما بين منعهم أصلا من العمل كأطفال مكانهم المدرسة لا الورشة أو المزرعة، وبين تحديد القواعد الملزمة لمعاملتهم كعمال فعليين يعبرون عن حقائق الأمر الواقع، ويتعلق هذا بالتنظيم القانوني الذي يتعلق بأولئك الصغار الذين يعملون بدءاً من الحد الأدنى لسن العمل بين ١٢-١٦ سنة في الدول العربية كل على حدة، وتبقى المشكلة في إمكانية التنظيم القانوني لما هو محظور قانوناً لكنه موجود كأمر واقع، فالطفل الذي يعمل دون الحد الأدنى لسن العمل يفعل ذلك بالمخالفة للقانون، وعلى كل حال فإن الإطار القانوني لتنظيم عملية العمل في الدول العربية المنفردة وفي العالم العربي ككل - خاصة في هذا الإطار الجمعي- إنما يمثل نقطة ضعف في المواجهة العربية لظاهرة عمل الأطفال.

ويأتي هذا الضعف نتيجة ضعف أصلي في الاهتمام بالظاهرة، فاهتمام الدول العربية بها جاء تحت الضغط الدولي في السنوات الأخيرة، كما أن اهتمام التنظيم الاقليمي العربي الرئيسي (جامعة الدول العربية) لم يتعد حتى الآن بصورة رئيسية مستوى إعلان النوايا الحسنة وإبداء الرغبة وبداية المناقشة، وذلك من خلال ما يمكن أن نسميه التنازل العابر في مواثيق وأطر تنظيمية مثل ميثاق حقوق الطفل العربي ١٩٨٢، الخطة العربية لرعاية الطفولة وتنميتها ١٩٩٢، اللجنة الفنية العليا لشؤون الطفولة العربية ١٩٩٨، ورغم تقدير الأمر برمته كنقطة ضعف في الاهتمام العربي بظاهرة عمل الأطفال فإنه من الإنصاف الإشارة لتطورات ايجابية ثلاثة حدثت على جبهة تعظيم الاهتمام هي:

١- اتجاه عدد من الدول العربية لرفع الحد الأدنى لسن العمل في تشريعاتها الوطنية في السنوات الأخيرة محدثة في بعض الحالات التلازم بين سن انتهاء التعليم الإلزامي وسن بدء العمل ومقتربة من المعايير والاتفاقيات الدولية الخاصة بالحد الأدنى لسن العمل خصوصا الاتفاقية ١٣٨ لسنة ١٩٧٣ التي صدقت عليها الدول العربية تونس، الجزائر، ليبيا، والعراق.

٢- التنمية المبكرة لضرورة استبعاد الأطفال دون سن ١٦-١٨ من بعض الأعمال الخطرة مثل المناجم والكيماويات والدوام الليلي في التشريعات الوطنية واللوائح الادارية لعدد من الدول العربية حتى مع بقاء الحد الأدنى لسن العمل منخفضاً في هذه التشريعات.

٣- قيام منظمة العمل العربية باصدار الاتفاقية العربية رقم ١٨ لعام ١٩٩٦ بشأن عمل الأحداث وتمثل هذه الاتفاقية أساساً معيارياً اقليمياً جامعاً يصوغ الموقف القانوني من الظاهرة بصورة مجملة بعد أن كان تناولها يأتي جزئيا.

إن جميع الأشكال المنصوص عليها في الاتفاقية ١٨٢ «العمل العبودي والجبري، الصراعات المسلحة، الدعارة، المخدرات، بقية الأعمال الخطرة» موجودة في العالم العربي، ويستخدم فيها الأطفال بصور ودرجات مختلفة على اتساع الإقليم العربي، وتكفي الإشارة لظاهرة خادمات المنازل الصغيرات وما يكتنفها من انتهاكات هي الأسوأ ليس فقط من حيث الشكل بل أيضا من حيث الجوهر اللاإنساني.

والعلاج لهذه الظاهرة يكمن في تطبيق القرارات المنصوص عليها من الجامعة العربية ومؤتمرات القمة العربية، والمواظبة على تنظيم الاحتفال السنوي بيوم الطفل العربي الذي تقيمه الأمانة العامة في الأول من أكتوبر مع إمكانية تداوله بين الدول العربية لتأكيد الروابط والتعارف بين اليافعين العرب في مختلف بلدان الوطن العربي.

العشاق المتيَّمون في هذا الزمان

محمد فتح الله كولن *

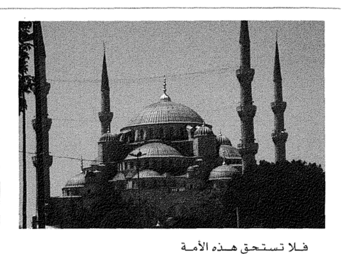
لا يستطيع تحقيق الأفكار السامية والغايات العُلا والمشاريع العالمية إلاّ من يستطيع التحليق عاليا، ويملك نفسا طويلا، الذي لا يبطئ من سرعة مسيره، الذي يقف بثبات ورباطة جأش، المملوء بتطلعات الآخرة وأذواقها ممن وهبوا قلوبهم لمبادئهم وأصبحوا عشاقا ولهانين لها. لا نحتاج اليوم إلى هذا أو ذاك، بل نحتاج إلى هذا النمط من الأفراد الذين نذروا أرواحهم للحقيقة ويسعون لتطبيق أفكارهم التي يعتقدونها في الواقع وإلى الأخذ بيد أمتهم أولا، ثم بيد الإنسانية ليخرجوها من الظلمات إلى النور ويؤمّنون رسم طريق لها نحو الحق تعالى، كل فرد من هؤلاء يفكر فيما يجب عليه أن يفكر فيه ويعرف ما يجب معرفته؛ فيجعل ما يعرفه واقعا، يجوس خلال الأمكنة وكأن على فمه صور إسرافيل تمهيدا لبعث جديد بعد الموت، ينفخ الحياة في كل مكان وفي كل شيء، بقوة البيان إن كان يملك سحر البيان وفنّه، وبقلمه إن كان من أصحاب القلم، وبفنه ورسمه وخطوطه إن كان من أرباب الابداع، وبسحر الشعر إن كان شاعرا، وبعذوبة نغمات ألحانه إن كان موسيقيا، يهتف على الدوام بإلهامات روحه، ويُظهر في كل فرصة أحاسيس أعماقه، لسانه مرتبط بأعماق فؤاده، وفؤاده مرتبط بكل إخلاص بذوي الأرواح النابضة بالحقيقة.

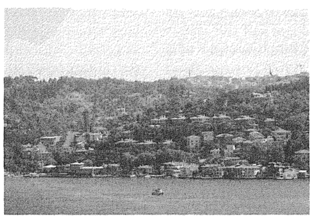
إن قمنا بتقويم هؤلاء الأبطال بالنماذج الموجودة على مسرح الحياة، نرى أنهم يسيحون في أرجاء الأرض وكأنهم ذاهبون إلى الحج، ويُتوّجون سياحتهم هذه بروح الهجرة، ويهمسون بأذن مَن يقابلونهم بلسان حالهم ووجدانهم، بالحب يتحدثون، وبالحب يحاورون، ويقيمون سرادقا للحب في كل قلب، بهم تحيا الأرواح الظامئة للحب، وتستمع إليهم جميع القلوب التي بُعثت من جديد، ترى سمة الإخلاص وبصْمته عند الذين هاجروا بهذه المشاعر ورحلوا، وكذلك عند الذين قبلوهم واحتضنوهم، لن تجد مصلحة أو منفعة شخصية بين مَن يتحدث ومن يصيخ إليه بسمعه، بين من يعرض ما في ذاته من معنى وروح ومَن يتطلع إليه، بين من يمسك بقدح إكسير الخلود ومن أفاق ورجع إلى نفسه، بين من يقدم التأييد والنصرة ومن يؤيَّد وينصَر، كما ليس ثَمَّةَ مدار بحث عما هو خارج رضا الله تعالى، فهذه العلاقات العميقة والنابعة من القلوب تستند كليا إلى قيم إنسانية عالمية، وتنبع من التوقير والاحترام المشترك لهذه القيم.

الصورة الحالية للدنيا ستتغير بفضل هؤلاء الذين نذروا أنفسهم لإقامة صرح القيم الإنسانية وفتحوا قلوبهم للمحبة

لقد بدأنا- منذ عهدنا القريب- نظهر كأننا قد نسينا تماما أننا أمة لها جذور روحية سليمة وقوية، وأننا أنشأنا على مدار التاريخ حضارات متعددة ورفيعة المستوى، وبدأنا نتصرف كأمة لا تملك ماضيا، والأنكى من هذا أننا نتيجة عقدة من الشعور بالنقص، بدأنا ننكر أنفسنا وننكر ماضينا، بل أصبح بعضنا يخجل حتى من هويتنا كأمة لها شخصيتها، وهكذا أصبحنا يوما بعد يوم مبتعدين عن أنفسنا، متلبسين بالقيم الأجنبية، وكم هو محزن أن أُمتنا التي كانت في ماضيها المجيد أمة تفكر وتتحدث معبرة عن نفسها، فشيدت معابد في كل مكان تعكس عقيدتها ومعايير الحسن والجمال، فغدت ذكرى طيبة للتاريخ، فما أفجع أن تهبط هذه الأمة من علياء المجد والشهامة والشهرة إلى حضيض النسيان، فلا صيت لها ولا شهرة ولا توقير.

* مفكر تركي





أبطال النور الآن انقلبوا إلى سحابة غيث وأنشودة فرح وبسمة أمل لتشفي غليل الأرواح الظامئة للمحبة والود والمسامحة

فلا تستحق هذه الأمة ذلك المصير الحزين، وما كان له أن يستمر إلى الأبد، فقد استطاعت مرات ومرات أن تحول حفر الموت ووهداته- بإذن الله- إلى مسالك واسعة للحياة، وحولت الأوضاع التي كانت تبدو كعلامات انقراض وهلاك إلى وسائل تجديد وتطوير، مبدية كفاءة عالية ومطورة في كل مرة وأساليب جديدة للسير نحو مستقبل زاهر رغم أنف بعض أصحاب المصالح الشخصية الذين لا يعرفون سوى منافعهم الذاتية، ورغم أنف المتعصبين من الملاحدة الذين ينكرون القيم الدينية وقيم الأمة، وهي على الدوام تجمع شتات نفسها في كل مرة تتعرض فيها للهزات وتقف على رجليها من جديد، منطلقة إلى العالم أجمع حاملة معها مشاعرها وأفكارها ورسالتها، أصحاب الحمية هؤلاء بعيدون كل البعد عن أي رغبة في الشهرة والصيت، لا يهتمون بالمظاهر الكاذبة، اتخذوا التواضع خلة، والإخلاص خصلة، والوفاء شيمة، أقوياء أمام إغراءات النفس وشهواتها، انقلبوا -بحس التاريخ الذي ورثوه عن أجدادهم- إلى حواريّين مبشرين بقيمنا الملّية والدينية للدنيا كلها، اختاروا ركوب الصعاب على الدعة والراحة قائلين «قد ولجنا طريق الحب، فنحن والهون»، فحققوا لهذا العصر أعلى منارات القيم.

الورود في أرجاء العالم اليوم استمدت نضرتها وحمرتها ورونقها من جهود هؤلاء ذوي الوجوه النيرة، ومن المعاني التي تحملها أرواحهم، والجغرافية الاجتماعية بدأت تُنسج على جمال أفكارهم مثل قماش مطرز، وبدأت الإنسانية تترنم بأنغامهم القديمة التي لا تشيخ ولا تبلى، ومع أن مشاعرهم وأفكارهم النقية تبدو في بدايتها كقطرات صغيرة، فإن الذين يدركون روح الموضوع ومعناه يعلمون بأنها تحمل ماهية بحار واسعة تتماوج بأمواج مختلفة من الهبات الإلهية.

وبسبب طبيعة هذا الأمر فإن أبطال النور هؤلاء وفرسانه اضطروا في بداية الأمر إلى تنوير محيطهم القريب منهم، أما الآن فقد ظهروا بمظهرهم الحقيقي من العمق وقوة الروح وانقلبوا إلى سحابة غيث، وإلى أنشودة فرح، وإلى بسمة أمل انهمرت على كل طرف وجانب لتشفي غليل الأرواح الظامئة للمحبة والقلوب المشتاقة للود والمسامحة وتحيلها إلى جنان ضاحكة مزهرة، يصح القول بأن الأرض اليوم تتهيأ من أقصاها لأقصاها لربيع جديد ولولادة جديدة نتيجة للبذور التي بذرها هؤلاء في كل مكان، وأن الإنسانية بكاملها- بشعور من حدس مسبق- مقبلة على فرحة تلقي نسائم بشارات هذه الولادة وهذا التحول الجديد، ومهما اختلفت الأصوات والأنغام فإن المعنى الذي ينعكس في القلوب ويستقر في الصدور هو المعنى نفسه، أما النسائم التي تهب في أوقات السحر فصوت رقراق من جدول ماء الحياة الموهوب إلى أيوب عليه السلام، وعطر إبراهيمي من عطر يوسف ليعقوب عليهم السلام.

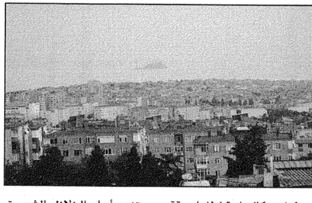
وكما أن هذا عودة منا إلى موقعنا الحقيقي مرة أخرى، فهو أيضا رسالة إحياء بديلة للإنسانية جمعاء، والحقيقة أن الأمم المختلفة التي تعيش أزمات حادة وتتلوى من آلامها في حاجة إلى مثل هذا النسيم، فطوبى للروّاد السعداء الذين حركوا هذه النسائم! وطوبى لمن فتحوا قلوبهم لها!

إننا نؤمن بأن الصورة الحالية للدنيا ستتغير في يوم من الأيام بفضل هؤلاء الأبطال الذين نذروا أنفسهم لإقامة صرح القيم الإنسانية وفتحوا قلوبهم للمحبة، وستتنفّس الإنسانية الصعداء، ولعل الفكر الإنساني في عالم المستقبل سيسطع نورا بهم للمرة الأخيرة، وستتحقق بهم الآمال الإنسانية وأحلام المدن الفاضلة والعديد من آمالنا وأمانينا. أجل! لابدّ أن يأتي ذلك اليوم الذي يتحقق فيه كل هذا، وعنده سيجثو أصحاب القلوب الفارغة والحظوظ النكدة أمام هؤلاء الربانيين طالبين الصفح والغفران ساكبين دموع الندم،

ولكنهم لا يستطيعون أبدا تلافي ما أضاعوا من فرص، وكم يتمنى المرء لو أن هؤلاء- من أصحاب القلوب الفجة والمشاعر الدنيئة والأفكار المتمردة والمظلمة والتصرفات الرعناء والخشنة- رجعوا في مستقبل قريب إلى أنفسهم واتبعوا طريق الحق والإنصاف ولم يلوّثوا غدهم قبل أن يأتي يوم يتلوون فيه من عذاب الضمير.

إن هؤلاء الأبطال الأسطوريين المضحّين تضحية الصحابة الكرام، الساعين للوصول إلى أرجاء الأرض كافة، الذين يهمهم إيصال ماء الحياة إلى الآخرين، الذين لم يلتفتوا إلى مغريات حياتهم الشخصية، النابذين كل مظاهر التباهي والفخر والعجب، الذين يظهر التواضع ونكران الذات في كل حال من أحوالهم، لا يهدأ حماسهم وشوقهم حتى في أحلك الظروف والأوقات على الرغم من جميع السلبيات والعوائق، أصبحوا بهذا الحماس الذي لا يفتر ولا يهمد وبإقبالهم على خدمة الإنسانية بهذه الهمة العالية أنموذجا نادرا في التاريخ من ناحية الشهامة والإخلاص والتضحية، تراهم يهمسون لكل من يلقونه بشيء من أعماق قلوبهم، ويزرعون في كل مكان شتلة ليحولوا كل جانب إلى بساتين خضراء زاهرة، تراهم على الدوام في حيوية ونشاط، وفي حركة دائبة ويعبرون عن أنفسهم بكفاءة عالية يدعون الناس إلى الحياة الأبدية بعزم وإيمان وثبات وبأمل كبير في المستقبل، قد يبدو الطريق الذي يمشون عليه طريقا متعذر السلوك، علما أنهم أدرى به مسبقا. أجل! يعلمون أن الطريق سيتحول في يوم من الأيام إلى طريق وعر وشائك، ويعلمون أن جميع الجسور ستتهدم، لقد أخذوا هذا في حسبانهم منذ البداية، وأدركوا منذ اليوم الأول بأن العفاريت والأبالسة ستظهر أمامهم ليقطعوا الطريق عليهم، وأن أعاصير من العداء والكراهية والحقد ستثار من حولهم. أجل! هم على يقين بأن طريقهم طريق الحق، ولكنهم لم يسقطوا من حسابهم أن عراقيل كبيرة لا تخطر على البال ستظهر أمامهم، وتراهم يعدون كل ما ظهر وكل ما سيظهر من مشقات ضريبة طريق الحق تعالى؛ لذا لا يفقدون من حماسهم شيئا ويستمرون في طريقهم مسرعين لا يلوون على شيء.

وكما أنه ليس بمقدور أحد أن يحرف هؤلاء الدعاة - الذين يعيشون في وحدة العقل والقلب- المستقيمي السلوك عن قيمهم التي آمنوا بها حتى الآن، فليس بمقدور أحد كذلك أن يحول طريقهم الذي جعلوا محوره «الحصول على رضا الله تعالى، وتعريف العالم كله بالخالق تقدست أسماؤه». لقد نذروا كل حياتهم في سبيل هذه القضية ولأداء هذه المهمة وصمدوا كالجبال الشمّ لا يزحزحهم عن هذا الأمر شيء، ويَتَحَدَّونَ الأعاصير والزلازل، والرعود والبروق، واكتشفوا سر استثمار كل موسم من المواسم، فسقَوا وأنبتوا الورود والأزهار، وعلى شفاههم أناشيد أفراحها وحبورها.



تراهم في حركاتهم وسكناتهم كالساعة نظاما ودقة، وتستشف في أحاديثهم وكلامهم استقامة وعواطف جياشة ونضرة، لا تجد اضطرابا في حركاتهم، ولا مرارة في أقوالهم، قلوبهم طاهرة ونقية كقلوب الملائكة، وألسنتهم ترجمان صادق لأعماق قلوبهم؛ لذا غدوا بسلوكهم وتصرفاتهم محط غبطة، وبكلامهم وأحاديثهم مثار عواطف جياشة، لا تجد في عوالم قلوبهم سوى رغبة الحصول على رضا الله تعالى، ولا في كلامهم سوى عشق عميق لله تعالى، وحب للوجود، ومحبة للإنسان، وإشفاقا عليه، ومعاملته بالسماحة والعطف. وعندما يعبِّر هؤلاء بعشقهم العميق عن محبّتهم لله تعالى يستطيعون بسر مفتاح المحبة أن يلينوا الطبائع القاسية حتى تغدو كالشمع ليونة ويفتحوا القلوب الصدئة والعفنة، وبذلك يؤدون حق ما حظوا به من تكريم رباني، فيُحَبّون ويُحِبُّون، لا يهتزون تجاه أقسى الهجمات ولا يتزلزلون، بل يثبتون في أماكنهم كالجبال الشم بعزم يقارب عزم الأنبياء، وعندما ينظرون إلى ما حواليهم ينظرون بنظرة سماوية، لا يسقطون ولا يتهاوون أمام العواصف الهوجاء، ولا يهتزون أمام الزلازل الشديدة، ويفتحون صدورهم للأمواج العاتية وللرياح العاصفة، ولا يبخلون عليها بقبضة من تراب هذه الشواطئ عندما ترتد هذه الأمواج عن شواطئ قلوبهم.

هؤلاء الرجال أصحاب الشهامة مدركون أن قلوبهم متعلقة بأجَلِّ مهمة وأنبلها- تلك هي رضا الله تعالى- وهم عازمون على التصدي لأي شيء للوصول إلى غايتهم، عندما تنظر إليهم كأشخاص تراهم في منتهى التواضع، يحترقون كالشموع لينيروا ما حواليهم، ومع أنهم يظهرون عدم المباهاة، فهم مستعدون في كل آن للتحليق كالطيور في السماء والتسابق مع الربانيين، وحتى عندما يبدون دون حراك في الظاهر، فإنهم بفعاليتهم الداخلية في حيوية مستمرة، وعزم راسخ، وفي حمى من الحركة الدائبة، هم كالبحار تسقي سواحلها بأمواجها، وأحيانا تخفف بأمطارها حرارة أماكن بعيدة عنها، وهم يقدمون ماء الحياة للجميع، للقريب والبعيد، وينفخون روح الحياة في الأجساد التي فقدت معنى الحياة وأصبحت ميتة قبل سنين وأعوام، يقصون لمن حولهم على الدوام بلسان الروح قصص

القلب، ولا يشاركون في أي إشاعة أو نقاش يؤدي إلى زرع أي نوع من أنواع الكره والحقد في المجتمع، يعيشون على الدوام على أمل أن يكونوا نافعين للناس جميعا، ويحسون في أعماق أرواحهم بآلام الإنسانية جراء مشاكلها المختلفة وأزماتها المعنوية، يفتحون صدورهم لكل من يقترب منهم، يستمعون للشكاوى ويئنّون لها، ويبحثون عن أصحاب القلوب المكلومة ويضعون أيديهم في أيديهم لكي يعالجوا آلام البائسين، ويمسحوا الدموع عن أعينهم، وعندما يأتي الوقت المناسب يتصدون لإخماد نيران الفتن وشرارات الفساد، ولا يزرعون غير الأزهار والورود حتى بين الأشواك، وعلى شفاههم أناشيدها وبهجتها.

تتحول أحيانا قسماتهم الوردية- التي تشبه البراعم المتفتحة- إلى حمرة قانية نتيجة ما يجابهونه من آلام وأشجان، وتصل بهم الحال أحيانا إلى درجة يحسون معها أن قلوبهم ستتفطر كمدا وحزنا، وتتحول النغمات التي يترنمون بها إلى ما يشبه الصراخ، وعلى الرغم من كل هذا فإنهم يسيرون نحو أهدافهم راضين، يشيعون حولهم الابتسامات وإن كانت صدورهم تحترق نارا، فتخضر الأماكن التي يمرون بها، وتنقلب إلى بساتين وحدائق خضر كجنان الجنة، والذين يمسكون بأيديهم ويعاونونهم يُبعثون كمن شرب من ماء الحياة، الخدمات التي يقدمونها تكون كاليد البيضاء لموسى عليه السلام تبهر العيون، جهودهم ونشاطهم يفضح حيل جميع السحرة، وتتهاوى وتفلس الأفكار الفرعونية عند كل بلد يحلّون فيه.

يملك هؤلاء غنى في الأفضال والهبات الإلهية النابعة من الإيمان، بحيث أن ما كان يملكه قارون من خزائن وأموال يعد بجانب هذا الغنى وهذه الثروة فُتاتا ومن سقط المتاع، بل يستطيعون بهذه الثروة الإلهية وبهذا الغنى أن يشتروا العوالم، كفة أعمارهم- ربحا ومواهب- مملوءة على الدوام، أما كفة الخسارة عندهم فهي فارغة إلى درجة تدفع الشياطين إلى غضب مجنون.

يعرف هؤلاء جيدا أين يستثمرون رأس مال حياتهم، وكيف يشرون بكل مهارة الحقائق الباقية والخالدة بالأشياء الفانية والزائلة، لا يصرفون أوقاتهم هباء وفي أمور لا تنفع، ولا يستسيغون أبدا التأخر عن أداء الخدمات الإيمانية، همّتهم عالية، إرادتهم صلبة، عزمهم دائم، الإيمان والحركة والنشاط من أهم مميزات قلوبهم ومزايا سلوكهم، لا يخافون أحدا إلا الله، ولا يخشون غيره، يقفون أبدا منتصبي القامة، مرفوعي الرأس، ويمضون مرفوعي الهامة لتنوير العالم بكل تواضع، تراهم على الدوام متواضعين قد خفضوا أنظارهم إلى الأرض.

لو لم يبق فوق سطح المعمورة إنسان حقيقي ولو غطت السحب والدخان الآفاق لثبت هؤلاء في مكانهم بكل رسوخ مرددين «لقد وهبنا الله أقداما وقبضتين لكي نعمل وإيمانا لا يخترقه عدو»

لو لم يبق فوق سطح المعمورة إنسان حقيقي، ولو غطت السحب والدخان الآفاق من جهاتها الأربع، ولو غرقت الطرق والأزقة بسيول من الأوحال، ولو حاصرت الأشواك كل مكان، واستولت أشجار الزقّوم على أماكن الورود والزهور، ولو استولت الغربان ونعيقها على الميادين والساحات، وطغت على تغريد البلابل، وتزاحمت الزنابير حول أقداح العسل، وسادَتْ وحشة الغابات المرعبة طرقنا وأزقتنا، ولم تبق للعلم حرمة ولا توقير، وطردت المعرفة من كل الديار، وأصبحت الإنسانية ضحية للغدر وقلة الوفاء، وزالت الصداقات وانقلب الأصدقاء إلى أعداء، لو حدث كل هذا، لثبت هؤلاء في مكانهم بكل رسوخ دون أن تزل أقدامهم وكل منهم يقول «يجوز أن ينقلب كل شيء رأسا على عقب، ولكن المهم أنني واقف على قدمي بثبات، قد تتحول كل ناحية إلى صحراء جرداء، ولكن المهم أنني أملك نبعا من الدموع، لقد وهبني الله زوجا من الأقدام لكي أمشي، وقبضتين لكي أعمل، وأملك إيمانا هو رأس مالي وقلبا حصينا لا يخترقه العدوّ، هناك فرص تكفي لإعمار العوالم تنتظر استثمارها، وأنا أستطيع- استنادا إلى عون من ربي- أن أقلب العالم بهذه الملكات إلى جنان وارفة الظلال، ومادامت كل بذرة تنبت سنابل عدة، فلِمَ اليأس من المستقبل، ولِمَ هذا الغم والهم؟! لاسيما إن كان الله تعالى يعد بمضاعفة كل خير آلاف الأضعاف في العالم الآخر...الخ». يقولون هذا وهم يسيرون في طريقهم نحو أهدافهم رغم الطرق الخربة والجسور المتهدمة، يسيرون وهم ينشرون الحياة حولهم كالنهر المتدفق، ويطفئون حرقة وغليل وظمأ كل واحد، وهم كالنار تضطرم للحفاظ على الآخرين من البرد والقر، وكالشمعة تحترق وتذوب بعد أن يسيل النور إلى آلاف العيون، أحيانا يترصدون في الكمائن- كأرباب الليل- فيفتحون صدورهم لاستقبال نسائم الرحمة، وأحيانا يئنّون في الأوقات والساعات المباركة ويتأوهون ويتوجهون لنيل عناية إلهية فائقة.

هذا الطريق الذي يمشون عليه هو الطريق الذي سلكه ويسلكه أرباب القلوب؛ لذا لا تجد أحدا يضيع فيه، أو لا يصل إلى مبتغاه.

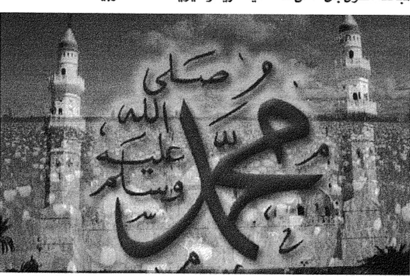
ترى هؤلاء مترعين بالإيمان والأمل والحماسة على الدوام، كرماء إلى درجة التضحية بما يملكون في سبيل الحق تعالى، يقضون أعمارهم في حمى البذل رجاء نيلهم عمّا فعلوه هنا أضعافا مضاعفة من الثواب، فقد وقر في أنفسهم أنه لا توجد هناك مرتبة أرفع ولا أسمى من مرتبة من ينذر حياته في صيانة الدين ورعايته وتمثيله في أرجاء المعمورة بمستوى لائق ورفيع، وهم يعدون الوصول إلى هذه المرتبة الغاية الوحيدة لحياتهم، وأن حكمة وجودهم في هذه الحياة هي تحقيق هذا الهدف ليس إلا، يتنفسون على الدوام هذه المشاعر والأحاسيس، فيجتمعون لتخطيط أفكارهم، ويعمقون اجتماعاتهم بربطها في سبيل الله، حتى إن سكّان الملأ الأعلى يباركونها ويهنّئون أصحابها ويدعون لهم بالنجاح والتوفيق.

خاطرة

مآثر الإسلام

جاك صبري شماس

لكل أمة من أمم الأرض خصوصية تنفرد بها، وتتميز عن الآخرين وهكذا كانت الأمة العربية التي انفردت بحرف الضاد وأصبحت درة فريدة بين لغات العالم، وقد تجلى ذلك في القرآن الكريم ﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيا...﴾ (يوسف:٢) وليس من باب المبالغة القول بأن ما من لغة غنية ثرية وحيوية كاللغة العربية.



ولعلنا لا نخطئ الظن بأن أول صيحة في العالم كله تجلت في قول الخليفة عمر بن الخطاب متجاوزاً كل المفكرين الأجانب في أهم جانب إنساني على الإطلاق يدعو إلى التحرير من الرق والعبودية بقوله «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً» إن القارئ يعرف أن الحديث عن مآثر العروبة والإسلام يحتاج إلى كثير من المجلدات، ونحن هنا في هذه المقالة ننشر الدرر النفيسة المتسمة بالنبل والسمو والرفعة والإنسانية والخلق والآداب، وهذه السمات كانت محوراً مهماً لثقافة عربية اتضحت، لتشكل عادات وأعراف وتقاليد هذه الأمة، التي استهلها القرآن الكريم في عدد من سوره مبرزاً الجانب الإنساني الرفيع المتوج بالمحبة والنخوة والعدل والإباء، وروح التسامح التي برزت جلية وهي تكرم عيسى بن مريم وأمه العذراء، ولا يمكن لأي مسيحي عربي يملك أبجدية الوعي تجاهل هذه الحقيقة الناصعة كما في قوله تعالى ﴿إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾ (النساء:١٧١).

إن الإسلام فتح نوافذ المحبة للبشرية حاملاً مشاعل الطهر والعفاف، وكان لابد للمسيحيين العرب من أن يتأثروا بالثقافة العربية الإسلامية في عاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم، وأن يتقاسموا السراء والضراء مع أشقائهم العرب المسلمين.

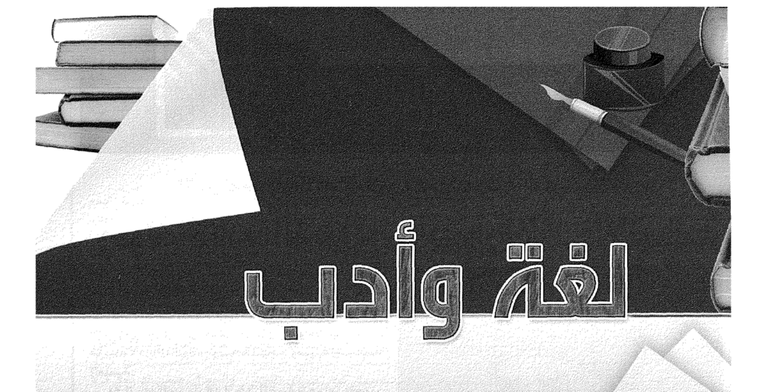
والقرآن الكريم أولى السيدة مريم منزلة خاصة، ولا توجد سورة من سور القرآن الكريم تحمل اسم أنثى إلا السيدة مريم، وجاء في قوله تعالى ﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين﴾ (آل عمران: ٤٥).

وهل هناك أسمى وأنبل من قول الرسول ﷺ «من ظلم معاهداً أو انتقصه حقاً أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس منه، فأنا حجيجه يوم القيامة» (حسنه الألباني)، وهل هناك شيء يوازي هذا النبل ورحابة هذا الصدر الطاهر الذي يفيض محبة وإخاء وإنسانية وتسامحاً ويعكس بجلاء جوهر الدين الإسلامي إذ تتوالى الأحاديث وما أرقاها وأصفاها وأعذبها في قول الرسول ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» (رواه مسلم)

ومن يستطيع أن ينسى ذاك المشهد الإنساني حين وقف الرسول ﷺ احتراماً لجنازة ميت فقال له الصحابة: لماذا تقوم إنه يهودي؟ فأجاب الرسول ﷺ «أليست نفساً» (متفق عليه).

إن ما أذكره هو غيض من فيض لأن أنهار المحبة والتسامح والأخوة مازالت تسيل ماء عذباً في فم الإنسانية، ومما يثلج صدري أن أختتم هذه المقالة بقولي:

إني مسيحي أُجلُّ (محمداً)
وأجل ضاداً مهده الإسلام
أودعت روحي في هيام (محمد)
دانت له الأعراب والأعجام
كحّلت شعري بالعروبة والهوى
ولأجل (طه) تفخر الأقلام
وأجل أصحاب الرسول وأهله
حيث الصحابة صفوة ومقام



دائرة الأدب الإسلامي

لقد شاءت إرادة الله أن تكون لدينه كلمة في كل شأن من شؤون الحياة وتدبير من تدابيرها، معلماً وموجهاً، مقوماً ومصححاً، مشجعاً ومحذراً، منمياً ومستأصلاً، محللاً ومحرماً، فما وافق منهجه الذي ارتضاه للخلق والذي يصلح به أمرهم حض عليه وأثاب، وما سوى ذلك نهى عنه واستتاب. ولما كان الأدب مقود حياة الأمم، أو هكذا ينبغي أن يكون، كان لابد للإسلام أن تكون له كلمة فيه، ولا يعني ذلك أن يفرض عليه القيود والأغلال، إنما يلجم ما شرد منه وشذ، ويهذب ما قد يتجاوز منه الحد، غير أن ذلك لم يرق لكثير ممن تعلقوا بأستار الأدب، فراحوا يجردونه عن ماهيته الإسلامية في كل ساحة وميدان، كما لو كانت سبة أو وسمة عار فوق جبينه، وذلك بدعوى أن الأدب إنما هو أدب، لا يرتبط بلون ولا جنس ولا دين، وهم بذلك قد أساءوا فهم كنه «الأدب الإسلامي»، بل أساءوا فهم الدين كله، وساروا في طريق لا ينتهي إلا بعزله عن الحياة.

ولعلنا نرفع غمامة، أو نجلي صورة، هي في أصلها بينة، إذا قلنا إن الأدب الإسلامي ليس مقتصراً على سرد سيرة، أو ترسيخ مبدأ إسلامي، أو ترويج فكرة، أو بيان منهج، وإن كانت هذه ضمن الغايات، بل إن دائرة الأدب الإسلامي تتسع لتشمل كل أدب محافظ، يهذب ويربي... ويؤدي دور الأدب الحق خير أداء، وهو، بطبيعة الحال، يلفظ كل ما يهيج الغرائز ويشعلها، فلا يمكن لمريد إصلاح أن يسمي ذلك أدبا أو يحض عليه.

كما أن الأدب الإسلامي قديم النشأة، وليس وليد العصر الحديث كما يدعي البعض، فلقد ولد في فجر الإسلام ونما وترعرع في ضحاه، وهو اليوم يافع في نهاره إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وقد تشكلت معالمه وخصائصه مذ بواكيره الأولى، وإن تأخر تدوينها، فلقد كانت واضحة جلية في أذهان الأدباء والمتأدبين والمتلقين على حد سواء.

الأمين العام لرابطة الأدب الإسلامي د. حسن الأمراني لـ «الوعي الإسلامي»:

رسالة الأديب الدعوة إلى الصورة المثلى للإنسانية

فاروق الدسوقي

أكد د. حسن الأمراني الأمين العام لرابطة الأدب الإسلامي العالمية أن خطب الرسول ﷺ وأحاديثه جاءت مؤصلة لأدب الدعوة، وموضحة لمنهجه، ومبينة لخصائصه العلمية.

وقال: إن الرسول ﷺ اتخذ لنفسه شعراء يواجهون المناوئين للدعوة من أهل الكتاب والمشركين، وقد أبلى الشعراء الذين انتدبهم رسول الله ﷺ بلاء حسنا، وأثنى عليهم الرسول ﷺ ثناء طيبا.

وأوضح د. الأمراني- في حوار مع «الوعي الإسلامي»- أن أدب الدعوة في جوهره أدب رسالي، ورسالة الأديب المسلم هي رسالة الإنسان الكامل، وهي الدعوة إلى الله عز وجل.

وقال: إن أدب الدعوة يتضمن خصائص كان الأنبياء- عليهم السلام- أول من أمر بها، وتحلى بها، منها مراعاة اللين في القول، والرفق في الأمر كله، ولقد كان رسول الله ﷺ أشد رفقا على قومه في دعوتهم إلى كلمة التوحيد.. وإليكم نص الحوار:

لا نقبل أدباً يطعن في مقومات الأمة أو فناً يعمل على تدميرها بدعوى الحرية

■ **بداية هل لنا نتعرف على أهمية أدب الدعوة؟**

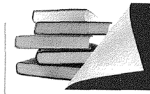
– ينبغي أن ندرك أنه حين نتحدث عن أدب الدعوة يجب أن نستحضر الصورة المثلى لهذا الأدب، وهذه الصورة- في شقيها الخلقي والجمالي- تتمثل في أدب رسول الله ﷺ أولا، ثم في ذلك الأدب الذي صدر عن الصحابة رضوان الله عليهم وسمعه رسول الله ﷺ وأقره، وأثاب عليه، فهذا هو الأدب الذي يجب أن نأخذ به في تحديد المنطلقات والمقاصد، معرضين عن أقوال السفهاء.

ولاشك في أن أدب الدعوة في جوهره أدب رسالي، ورسالة الأديب المسلم هي رسالة الإنسان الكامل، وهي الدعوة إلى الله عز وجل، لقوله تعالى ﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين﴾ (فصلت: ٣٣)، ولقد جلّى القرآن الكريم، وجلت سيرة رسول الله ﷺ أدب الدعوة بهذا المفهوم الشامل.

■ **وما خصائص أدب الدعوة؟**

– أدب الدعوة يتضمن خصائص كان أول من أمر بها، وتحلى بها وعاشها هم الأنبياء، ومن تلك الخصائص مراعاة مقام المخاطبين، ومراعاة خصائص الخطاب نفسه، تبعا لذلك.

ومن خصائص أدب الدعوة أيضا مراعاة اللين في القول، والرفق في الأمر كله، ولقد كان رسول الله ﷺ أشد رفقا بقومه في دعوتهم إلى كلمة التوحيد، هذا على كثرة ما لقي منهم من الأذى المادي والمعنوي، وكان القرآن الكريم يثني على خلق رسول الله ﷺ، وقد خاطب الله



تعالى نبيه الكريم فقال ﴿فاصفح الصفح الجميل﴾ (الحجر: ٨٥) وقال عز وجل ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (الزخرف: ٨٩) وقال تعالى أيضا ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (الشورى: ٤٣) كما أمر الله تعالى رسوله الكريم ﷺ بالجمال في الهجر أيضا، فقال عز من قائل ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً﴾ (المزمل: ١٠).

وإذا عدنا للوراء، فسنجد أن قيم الجاهلية كانت ترى العنف دليل القوة، والعدوان رمز الغلبة، وقد سجل الشعراء ذلك في أشعارهم، حتى كان شعارا لهم قول حكيمهم زهير بن أبي سلمى «ومن لا يظلم الناس يظلم...» وكان قد شاع على ألسنة العرب «انصر أخاك ظالما أو مظلوما»، ولكن رسول الله ﷺ هذب الأخلاق، وشذب القيم، ووجه تلك النصوص توجيها جديدا، حين سئل: ننصره مظلوما، فكيف ننصره ظالما؟ فقال عليه السلام: «... تكفه عن الظلم فذلك نصرك إياه» (الترمذي).

■ **فهمت من حديثكم أن المسلم عليه ألا يرضى الدنية في دينه، سواء كانت قولا أو فعلا، وأنه لا يجوز السكوت على الباطل؟**

- هذا حق، لأن السكوت على الباطل شبيه بالإقرار به، ولهذا كله نشأ إلى جانب الأدب بمعناه الخلقي، أدب بمعناه الجمالي، نشأ قول فني رفيع يخالف القول الذي كان شائعا في الجاهلية.. وكان الذي أصّل هذا الأدب كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ، فالقرآن الكريم كما هو معروف معجزة بيانية أولا، ولذلك كان يزلزل المشركين حين يسمعونه، وكانت هذه المعجزة القرآنية البيانية تحمل من تهيأت قلوبهم من المشركين للهداية إلى الإسلام، وتزيد الذين ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون رجسا إلى رجسهم وضلالة إلى ضلالتهم.

ولقد كان من دواعي تصحيح مسيرة الأدب في العهد الأول ما شهدته الساحة من أحداث جعلت المشركين يجندون أنفسهم، ويجردون ألسنة شعرائهم للنيل من الإسلام ومن المسلمين، فكان أن تصدى الشعراء المؤمنون، بإذن من رسول الله ﷺ لتلك الحملات وردوها على أعقابها وخلفوا لنا أدبا غزيرا ورفيعا من أدب الدعوة.

وكانت قصيدة حسان بن ثابت بحق ممثلة للقصيدة الإسلامية الأولى، ولولا ذلك لما نال تلك المنزلة التي نالها عند رسول الله ﷺ.

■ **البعض ينظر إلى أدب الدعوة على أنه أدب خطب ومواعظ، ويهاجمونه بالوسائل والسبل كافة، فكيف تنظرون إلى هؤلاء؟**

- لاشك أن أمتنا تشهد انسلاخا وعدوانا من دعاة الأدب الرقيع، وبذلك يصير لزاما على حراس الكلمة المؤمنة أن يتصدوا لتلك الحملات بأدب رفيع هو أدب الدعوة، كما تصدى الجيل الأول من الشعراء على عهد رسول الله ﷺ.

ولا يصرفنا عن أداء الرسالة ما يردده أهل الباطل من زخرف القول، وما يدَّعونه من حياد الفن، وتحرره من قيود العقيدة، فكثير من الناس يقدمون أدبا سخيفا وفنا مدمرا للأخلاق ومدمرا للشعور، فإذا اعترض عليهم معترض قالوا: وما شأن الدين بالأدب؟ الأدب يتحرر من كل شيء.. كلا!

الأدب له منهاج واضح، وله أسس مكينة، ولا يمكن أن يُقبل أدب يطعن في مقومات هذه الأمة، ولا يمكن أن يقبل فن يعمل على تدمير هذه الأمة من الداخل، بدعوى الحرية، وليس هناك من نظام في العالم إطلاقا يمكن أن يسمح بشيء يتجاوز مقدساته. فلكل أمة قيمها ومقدساتها.

إن الأدب في يد هؤلاء سلاح آثم، ولأدب الدعوة مسلكان: الهدم والبناء، وهما متلازمان، فأما الهدم فيراد به هدم قيم الباطل، والتصدي لجحافله والرد على مفتريات المرجفين، وأما البناء فهو رفع أعمدة قيم الحق والخير والجمال، ولا يكون ذلك كله ذا أثر إلا إذا جمع الأدب بين عنصريه في انسجام تام، وتناسق كامل، هذان العنصران هما الحق والجمال، فنحن قد نجد قولا يراد أن يسمى أدبا، وفيه حق، ولكنه لا يلجأ إلى الأدوات الجمالية فيفقد تأثيره، كما أننا قد نجد أدبا جميلا، ولكنه أدب يدعو إلى الباطل، فهو من زخرف القول، ولذلك فهو أدب مرفوض.

هذا الأدب الذي هو من زخرف القول كما سماه القرآن الكريم يسعى به أصحابه إلى صرف الناس عن الحق، وتزيين الغواية، فيفتن الناس، كما فتن العجل الذهبي الذي أخرجه السامري بني إسرائيل، فالتفنن في صنعة العجل لا يجعل منه حقا، فهو باطل وإن فتن الناس بجمال صنعته.

وأدب الدعوة يعتمد عنصري الهدم والبناء، انه أدب المواجهة والتحدي، كما أنه أدب الاستعلاء على شهوات النفس والدنيا، وله أن يتخذ من الأشكال الفنية، ويطوع من الأجناس الأدبية ما هو كفيل بتحقيق الغايات وإدراك المقاصد.

معاجم مصطلحات الاقتصاد الإسلامي المعاصرة

د. خالد فهمي

كان لهيمنة الاقتصاد الغربي الذي حرك وسار في خلفية حملات الغزو للبلدان الإسلامية في العصر الحديث أثر كبير في سيادة قضاياه وتطبيقاته، وهو جزء مهم لازم في إطار قراءة بعض أوجه الاضطراب والخراب الذي أصاب البنية الاجتماعية في البلدان الإسلامية.

وهو ما قاد كثيرا من أعلام الثقافة الإسلامية إلى أن يروا في غلبة النموذج الاقتصادي الغربي وجها من وجوه التبعية، وأن الحركة نحو الاستقلال الحضاري تبدأ من بيان مواز للاختلاف بين الاقتصاد الإسلامي وغيره، وأن يروا في صنع معجم لمصطلحات الاقتصاد الإسلامي خطوة لابد منها في «السبيل إلى وضع لبنة في صرح الاستقلال الحضاري لأمتنا، عندما يصنع وييسر للعقل العربي والمسلم سبل إدراك ما لحضارتنا من خصوصية في المعاني والمضامين والمفاهيم في حقل الاقتصاد، فيسهم بذلك في تحرير العقل الاقتصادي من إسار التبعية وأسر التغريب»(١).

وهذه الرؤية ليست رؤية فردية دعا إليها إحساس مبهم بالخطر بل كان إحساسا مجمعا عليه، يدل على ذلك توصيات المؤتمر العالمي الأول للاقتصاد الإسلامي المنعقد في مكة المكرمة في ٢١-١٣٩٦/٢/٢٦هـ = ٢١-١٩٧٦/٢/٢٦م الذي حرص على بيان أنه من المهم ترسيخ مفاهيم الإسلام الاقتصادية التي ترى أن الكون كله لله وأن المال مال الله وأن الإنسان مستخلف على ما تحته من نعم الله. وأن واحدا من سبل ترسيخ هذه المفاهيم «وضع معجم لمصطلحات الاقتصاد الإسلامي بمختلف اللغات» (٢).

الإسهام المعاصر في خدمة مصطلحية الاقتصاد الإسلامي

برز في هذا السياق ثلاثة معاجم هي كما يلي (مرتبة وفق تاريخ صدورها):

١- قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية د. محمد عمارة، طبعة دار الشروق، القاهرة - بيروت، سنة ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م في ٦٣٦ص مع فهارس للمصطلحات.

٢- معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء، د. نزيه حماد، طبعة المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن - فيرجينيا، سنة ١٤١٤هـ= ١٩٩٣م في ٣٠٨ص مع تقديم د. طه جابر العلواني مع فهارس للمصطلحات والمراجع.

٣- مصطلحات الفقه المالي المعاصر: معاملات السوق، بتحرير وإشراف يوسف كمال محمد، طبعة المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، سنة ١٤١٨هـ= ١٩٩٨م في ٢٨٥ص، مع كشافات موضوعية، وفهارس هجائية وتقديم.

أهداف معاجم مصطلحات الاقتصاد الإسلامي المعاصرة

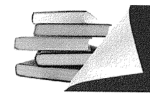
يدرك من يفحص مادة هذه المعاجم الاقتصادية أنها ظهرت لتحقيق عدد معين من الأهداف المعرفية والعملية والحضارية، وهو ما ظهر من ثلاثة الأسماء الذين صنعوها، فهم جميعا أبناء بررة للفكرة الإسلامية، وأبناء بررة للاقتصاد الإسلامي.

وفيما يلي رصد لمجموعة من الأهداف التي حرصت هذه المعاجم على الوفاء بها، هي على الإجمال:

أ- العناية بإظهار فارق ما بين طغيان البعد المادي على الحياة المعاصرة الذي ترسخه مفاهيم الاقتصاد الوضعي وبين النظر إلى المال باعتباره مال الله الذي استخلف عبيده في إدارته، وهذه العناية محاولة للانتصاف للاقتصاد الإسلامي ودعوة للتحول إليه في التطبيقات المعاصرة.

ب- إعادة تقديم مفاهيم الاقتصاد الإسلامي عبر مصطلحاته للجماهير المعاصرة بعد أن غيبتها أنظمة كثيرة تبنت نظريات اقتصادية غير إسلامية حتى غدت مبادئ الاقتصاد الإسلامي تعاني الغربة في الأوطان المسلمة، ذلك أن المعاجم «في منظور إسلامية المعرفة تعتبر من الأدوات الأساسية المساعدة في بناء النسق المفاهيمي في العلوم التي تؤلف في مجالها» على تعبير د. طه جابر العلواني في تقديمه لمعجم المصطلحات الاقتصادية للدكتور نزيه حماد (ص ١٦).

ج- إعادة بناء الجسور بين العلوم المعاصرة وامتداداتها التراثية بعد عمر من القطيعة المعرفية أو شبهها التي حاول الغزو الغربي صنعها في تاريخ الأمة الإسلامية المعاصرة عندما حرص في أنظمته التعليمية وأنظمته الحاكمة التنفيذية على فصل الأمة عن تاريخها المعرفي بخصائصها المائزة وهو ما نجح



في كثير من المواطن في تحقيقه حتى غدا القول بحاجتنا إلى إعادة الكشف عن هويتنا أمرا صحيحا إلى أبعد الحدود.

د- تقديم نماذج عملية يمكن احتذاؤها والنسج على منوالها في كثير من الميادين المعرفية التي عانت من مثل ما عانى منه الاقتصاد الإسلامي من التغريب والتشويه.

هـ- كسر حالة التبعية الحضارية في الميدان الاقتصادي عن طريق بيان استقلال النظرية الاقتصادية الإسلامية.

و- إعادة تقديم المفاهيم الاقتصادية الإسلامية في صورة عصرية تيسر الإفادة من الأدبيات الاقتصادية الإسلامية التراثية، وهو واحد من أهم أهداف المعجمية الإسلامية المختصة المعاصرة في الميادين المختلفة.

ز- المساعدة في تقديم تصور مترابط للحقول التي تشكل ميدان علم الاقتصاد عند المسلمين بحيث تترابط هذه الحقول بفلسفة الإسلام الكبرى في تعبيد الكون لله، وبيان أن الإنسان مستخلف في أرض الله سبحانه، وأن المال من ضمن ما لله سبحانه في الكون وأن الإنسان مستخلف في هذا المال، وعليه أن يديره وفق الضوابط التي شرعها الله سبحانه.

ح- المساعدة - على المدى الطويل - في بناء مكنز

معجم مصطلحات الاقتصاد الإسلامي السبيل لوضع لبنة في صرح الإستقلال الحضاري لأمتنا والتحرر من التبعية والتغريب الإقتصادي

لمصطلحات الاقتصاد الإسلامي ولاسيما بعد تقديم معاجم ترتيب مداخلها ومصطلحاتها وفق منهج موضوع دلالي، وليس هجائيا على ما سوف نرى في معجم د.يوسف كمال رحمه الله تعالى.

ولا يصح هنا الاستشهاد بالجزء الذي تضمنه مكنز الفيصل (١٤١٥هـ= ١٩٩٤م) عن مصطلحات الاقتصاد الإسلامي، حيث ضم ثلاثمئة مصطلح فقط، وهو عدد قليل جدا عما يتوقع أن يضمه مكنز لمصطلحات الاقتصاد الإسلامي، على ما يقرر د.هانئ محيي الدين عطية (٣).

ط- المساعدة في دراسة شمول الشريعة الإسلامية عن طريق فحص المصطلحات الرحالة المنتقلة إلى الاقتصاد الإسلامي من حقول معرفية مختلفة عقدية وعبادية وأخلاقية واجتماعية وغيرها، لتضافر الأدلة على استحالة نجاح العلمانية الشاملة أو الجزئية في البلدان الإسلامية.

ك- تقديم المفاهيم الاقتصادية المعاصرة في ضوء المعرفة الاقتصادية الإسلامية، لبيان حجم المخاطر القائمة والمتوقعة ومحاصرتها، من جانب، والإفادة من الجديد واستثماره إن أمكن بعد فحص عدم معارضته لأصول النظر الاقتصادي الإسلامي من جانب آخر.

ل- إيجاد مصطلحات جديدة لمفاهيم اقتصادية إسلامية تراثية تعين على طرح المفاهيم هذه في صورة عصرية واضحة من جانب، والتغلب على الفجوات المعجمية لما يظهر من مفاهيم اقتصادية معاصرة بوضع مصطلحات ملائمة تعين على تأمل أمرها من شكل المصطلح الخارجي، ثم الحكم عليه برده أو قبوله.

م- المساعدة في بناء تراكم معرفي أو قاعدة علمية تعين على إعادة تقديم الاقتصاد الإسلامي وتيسر عملية تعلمه بين المشتغلين به تعلما وتعلما.

فهذه مجموعة من الأهداف الأساسية التي تسعى مجموعة المعاجم هذه إلى تحقيقها.

منهجية ترتيب المصطلحات في معاجم مصطلحات الاقتصاد الإسلامي المعاصرة

وقد حكمت هذه الأهداف السابقة منهجية ترتيب المصطلحات في معاجم مصطلحات الاقتصاد الإسلامي المعاصرة، فظهر منهجان حكما هذا الترتيب هما:

أ- منهج الترتيب الألفبائي الهجائي غير التجريدي.

ب- منهج الترتيب الموضوعي.

وقد جاء على المنهج الألفبائي معجمان هما:

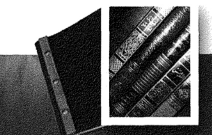
١- قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، د.محمد عمارة.

٢- معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء، د.نزيه حماد.

وقد كان الوعي بأهمية هذا المنهج حاضرا في هذين المعجمين، حيث حرصا على توفير التيسير للمستعملين انطلاقا من وعي معجمي يرعى ما يسمى في المعجمية المعاصرة بمنظور المستعمل، ويرعى من جانب آخر مهم جدا خلقا إسلاميا يتمثل في التيسير على الخلق، واستثمار تطبيقاته في هذا الميدان.

وقد ظهر هذا الوعي بفوائد هذا المنهج الألفبائي غير التجريدي في بعض ما قدم به بين يدي بعض المعاجم التي طبقته، يقول د.محمد عمارة في مقدمة معجمه (ص٢١) «فلقد آثرنا ترتيب مواده على النحو الذي ييسر الاستفادة منه والانتفاع به لأوسع جمهرة من الباحثين والقراء».

ثم يعود فيقرر (ص٢٢) «ولعل في هذا التيسير ما يعين على أن ينهض هذا القاموس بالرسالة الفكرية والحضارية التي ابتغيناها من وراء وضعه إن شاء الله».



لغة وأدب

أما الاتجاه الثاني (ب) فقد رتبت المصطلحات فيه ترتيبا راعى بناء نظرية اقتصادية إسلامية بمجموعة المصطلحات التي تصرفت وهو منهج قديم في المعجمية العربية، سمي أحيانا باسم معاجم المعاني وأحيانا باسم معاجم الموضوعات.

وقد رتبت المصطلحات وفق حقول أو موضوعات أربعة كما يلي:

١- مصطلحات الخلافة (المشكلة الاقتصادية): النعم = الموارد/ والحاجات.

٢- مصطلحات الإعمار (الإنتاج): أقسام المال/ العروض.

٣- مصطلحات الرزق (توزيع الدخل).

٤- مصطلحات السوق (نظرية القيمة).

وقيمة هذا المنهج أنه يعطي المستعمل صورة هيكلية للنظام الاقتصادي تظهر الصلة العضوية بين المصطلحات المختلفة.

ولم يُضَح المعجم بالتزام هذا المنهج في الترتيب بالمبدأ العام الحاكم في المعجمية الإسلامية المختصة المعاصرة وهو ما سميناه بمبدأ التيسير على الخلق، حيث حرص صانع المعجم ومحرره د. يوسف كمال رحمه الله على أن يذيله بفهرس للمصطلحات مرتبة على الترتيب الهجائي غير التجريدي.

وقد حرصت المعاجم الثلاثة مَشغلة مقالنا هذا على استعمال طريقة شائعة مفيدة في تعريف المصطلحات، تسمى في أدبيات علم المعجم باسم طريقة التعريف المحكم، أي تعريف المصطلح بذكر السمات الدلالية المميزة له، والقسمات الفارقة بينه وبين غيره، مع العناية في أحيان كثيرة بجانب ذلك باستعمال طريقة الشرح بالأمثلة مع العناية ببعض المعلومات الموسوعية التي تعين على أداء هذه المعاجم أهدافها.

ومن الأمثلة التي تجلي ذلك:

يقول د. محمد عمارة في تعريف مصطلح «الاحتكار» ص ٣٣ «الاحتكار: لغة: الجمع والإمساك والاحتباس، والحكرة: اسم للاحتكار، والاحتكار شرعا: اشتراء قوت البشر والبهائم وحبسه انتظارا لغلاء سعره. ولقد اختلف في المدة التي إذا بلغها الاحتكار استوجب المحتكر عقاب الاحتكار الدنيوي، فقيل: إنها أربعون يوما، وقيل: هي شهر، وقيل هي أكثر من سنة. أما الإثم الأخروي فغير متوقف على مدة بعينها إذ تكفي فيه نية الاحتكار.

ففي هذا التعريف حرص الشارح على بيان ما يلي:

١- السمات الدلالية المائزة التي تبين عين الاحتكار بما في ذلك المدة المعتبرة التي يصير فيها حابس الطعام محتكرا.

٢- المعنى اللغوي في مفتتح التعريف للإعانة على إدراك المعنى الاصطلاحي بعدما تخصص من المعنى اللغوي العام.

وقد قام أصحاب معاجم مصطلحات الاقتصاد الإسلامي على توثيق مادة معاجمهم فرجعوا إلى عدد كبير من المصادر الأصيلة التي توزعت على أربعة أنواع هي:

١- معاجم مصطلحات تراثية (كالتعريفات للجرجاني ومفاتيح العلوم للخوارزمي، والمصباح المنير للفيومي وتحرير التنبيه للنووي والتوقيف للمناوي...الخ).

٢- المصنفات الفقهية المختلفة تراثية وغير تراثية موزعة على المذاهب الفقهية المتعددة بما فيها الموسوعات وأعمال المؤتمرات الفقهية... الخ.

٣- المعاجم العامة اللغوية القديمة والحديثة.

حاجة الاقتصاد الإسلامي إلى معاجم جديدة وإلى تطوير معاجمه الموجودة

والحق يقتضي أن نقرر أن الاقتصاد الإسلامي بما يواجهه من تحديات في حاجة إلى معاجم تعنى بمصطلحاته تعريفا وشرحا وتمثيلا وفي حاجة إلى تطوير ما هو موجود منها بزيادة مداخله ومراجعة مادته، وتحديثها، وخدمته بما هو مستقر في المعجمية المعاصرة، لتيسير استعمالها.

وقد كان لغياب عدد من المصادر التراثية المعنية بالمصطلح الاقتصادي الإسلامي أثره في غياب عدد كبير من هذه المعاجم المعاصرة، وفيما يلي أمثلة لها:

■ الاستيفاء، أخل به عمارة، وهو العلم بقوانين يعرف بها ضبط مداخل أموال الديوان وإخراجاتها لكيفيات المحاسبات وكمياتها.

■ التلجئة، أخل به عمارة، وهو تسليم الضعيف ضيعته إلى قوي ليحامي عليها.

■ الحشري، أخل به عمارة ونزيه حماد، وهو ميراث من لا وارث له.

■ العريضة، أخل به عمارة ونزيه حماد، وهو شبيه بالتأريخ.

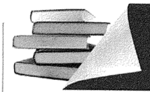
وهذه أمثلة أردنا من وراء إيرادها بيان الحاجة الماسة إلى استمرار التطوير والتحديث من جانب والحاجة إلى إيجاد معاجم جديدة ترعى مطالب المصطلح الاقتصادي الإسلامي، لتبرهن على وضاءة وجه طالما غبرته رياح الهيمنة الغربية المخاصمة لديننا وأمتنا وأوطاننا.

المراجع

١- قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، د. محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة وبيروت ١٤١٣هـ= ١٩٩٣م (ص ١٧)

٢- انظر هذه التوصيات في: النظام الاقتصادي في الإسلام: مبادئه وأهدافه د. أحمد العسال ود. فتحي أحمد عبدالكريم، مكتبة وهبة ١٤٢١هـ= ٢٠٠١م (ص ١٦٧-١٦٨)

٣- نحو منهج لتنظيم المصطلح الشرعي: مدخل معرفي معلوماتي، طبعة المعهد العالمي للفكر الإسلامي، بالقاهرة سنة ١٤١٧هـ= ١٩٩٧م (ص ١٧٠).

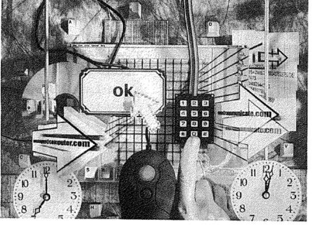


في الألفية الجديدة..

هل أضحى الكتاب الإلكتروني ضرورة تربوية؟

صلاح حسن رشيد

في ظل شيوع ظاهرة «الدروس الخصوصية» بات «من الصعب تأليف كتاب مدرسي تتوافر فيه الشروط التربوية والعلمية اللازمة، بحيث يستجيب للاحتياجات المختلفة لتلاميذ الفصل الواحد، ويراعي خلفياتهم البيئية والثقافية والاجتماعية، ويتناسب مع الفروق الفردية بينهم» على حد قول د.علي القاسمي خبير التربية والتعليم في بحثه «دعوة لإلغاء الكتاب المدرسي» الذي ألقاه في مؤتمر مجمع اللغة العربية (الخالدين) بالقاهرة أخيرا، حيث أكد أن «الكتاب المدرسي هو نموذج من نماذج التعليم في العالم القديم، فلم يعد قادرا على مواجهة تحديات العالم المعلوماتي الجديد... إن الفرق بين الكتاب المدرسي والتعلم الإلكتروني هو فرق بين رؤية ماضوية قديمة، وبين رؤية مستقبلية مُسلحة بالعلم والتكنولوجيا»! فما الحل إذن في هذه القضية الشائكة التي اكتوى بنيرانها صغارُنا التلاميذ في المراحل الابتدائية والإعدادية (المتوسطة) والثانوية؟



الحوار التقني الفاعل

يجيب التربوي علي القاسمي قائلا «لقد وفرت تقنيات الاتصال والمعلومات الحديثة وسائل بديلة للكتاب المدرسي، في مقدمتها: التعلم الإلكتروني الذي يستثمر إمكانات الإنترنت الهائلة التي تتيح للتلميذ التوسع في المادة العلمية، والاطلاع على المراجع المختلفة، وتبادل الرأي والحوار مع أساتذته، ومع مستعملي الإنترنت».

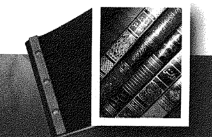
وبعملية مسحية شاملة للكتب المدرسية المعنية بتعليم اللغة العربية في المدارس الثانوية العربية قام بها د.القاسمي، لم يجد كتاباً واحداً تتوافر فيه الشروط والمواصفات المتعلقة بالأنشطة والتدريبات لتنمية المهارات اللغوية بصورة متوازنة من خلال الاستماع والقراءة والإملاء والتعبير، وتشجيع الانفتاح على الآخر والاحتفاء بالتعدد، وأهم القضايا المناسبة لعمر التلميذ.

مزايا الكتاب الإلكتروني

ولأن عصر الإنترنت التعليمي صار هو الأساس والقاعدة، والتعليم عن بُعد هو المنطلق للنهضة.. لخّص د.القاسمي مزايا الكتاب الإلكتروني لتلاميذ المرحلة الابتدائية والإعدادية بقوله «يتسم التعلم الإلكتروني بالشمولية، فالشبكة تشتمل على ملايين الموضوعات التي يعجز الكتاب المطبوع عن احتوائها، وسهولة تحديث مواقع الكتاب الإلكتروني يومياً، بعكس الكتاب المدرسي المتسم بالقدم، وعدم مواكبة التطورات العلمية المتلاحقة، وترابط المعلومات على الشبكة العنكبوتية، والتدرج العمري لهم، ومناسبة ذلك لميولهم وقدراتهم الاستعابية، كما أن الكتاب الإلكتروني يضم الآراء المتباينة حول القضية الواحدة، في حين أن الكتاب المدرسي يحمل وجهة نظر واحدة».

ومن حسنات استخدام الإنترنت في العملية التعليمية بالمدارس «إتاحة الشبكة للتلميذ التعلّم التفاعلي، بحيث يستطيع التحاور مع معلمه أو زميله وهو في منزله، باستخدام برنامج «سكايب» أو ما يماثله من البرامج الحاسوبية، وتضر أيضا الكتب المدرسية بالبيئة، حيث تتسبب عملية طباعتها في قطع أعداد كبيرة من الأشجار لصناعة الورق، بعكس الإنترنت الذي لا يضر بالبيئة!».

وفي النهاية يرى د.القاسمي أن التعليم الإلكتروني «يطور من أداء الطالب الإيجابي، عن طريق المشاركة في العملية التعليمية خطوة خطوة، في حين أن أداءه التعليمي الحالي سلبي»!



قواعد منهجية لتأسيس ملامح مدرسية في الأدب الإسلامي

(٢-٢)

د. محمد إقبال عروي

تناول الجزء الأول من هذه الدراسة مجموعة من المبادئ التي يراها الكاتب ضرورة منهجية للانتقال بنظرية الأدب الإسلامي من الارتجال والتعميم والأحكام الانطباعية إلى مستوى التناول المنهجي المساوق لمقاصد عمارة الحياة في جماليتها الفنية، من مثل: التنوع والاختلاف سنة كونية واجتماعية، وتقوية بناء الأدب الإسلامي يستدعي التمثل لا التقليد، والوصاية على الأدباء موقف سلبي قائم على توهم الخوف على مصير الأدب الإسلامي، والأصل في الأشكال الإباحة، واحتضان الإسلام للشكل الفني القديم تمثل فني وليس دينا متبعا. وفي هذا الجزء الثاني من الدراسة عرض لبقية المبادئ.

الاحتكام إلى ثوابت فنية في سياق تشكل الظاهرة الأدبية الإسلامية جناية في حق الظاهرة نفسها

يميل بعض رواد الأدب الإسلامي إلى الشروع في التأصيل لخصائص الأدب الإسلامي، ومنهم من عمل، وتحت تأثير منطق قياسي مخالف لجوهر العلة، باعتبارها من الشروط العلمية والمنهجية اللازمة للقيام بالقياس، على إسقاط خصائص التصور الإسلامي على خصائص الأدب الإسلامي.

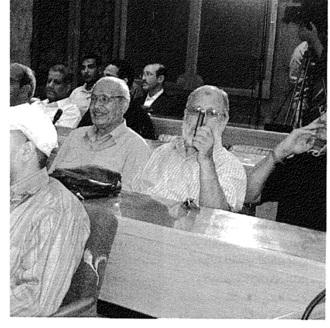
ومعلوم أن عملية استخلاص الخصائص محتاجة إلى عمل استقرائي كبير، مهما كان حجمه فلن يكون إلا استقراء ناقصا، إذ الاستقراء الكامل مستحيل بين يدي ظاهرة أدبية تتخلق حينا بعد حين، وتتشكل عقدا بعد آخر، مما يحتم تأجيل أي اعتقاد بأن خصائص الأدب الإسلامي قد كملت، دلاليا وفنيا، وعلى الأجيال الجديدة أن تبدع على وزان ما حققه جيل الرواد.

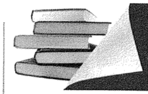
إن هذا الإجراء يعد قتلا لنمو الأدب الإسلامي، فمعلوم أن ظاهرة الأدب الإسلامي الحديث مازالت فتية في الزمان والمكان، ومهما اعتبرنا بداياتها الأولى، فلن تتجاوز ٦٠ سنة، ومن ثم، فالأرجح أن يتم تأجيل «سك» خصائص أدبية ودلالية وفنية لظاهرة هي ما تزال في طور النمو والتشكل.

ومما يزيد الوضع تأزما أن بعض الرواد من أهل النقد في ساحة الأدب الإسلامي، حين يستخلصون خصيصة ما، فإنهم يردون، بموجبها، خصائص أخرى قد تبدو لهم مخالفة لما استخلصوه من خصائص، فيقع إشكال لا مخرج ولا ملجأ منه إلا التخلق بأخلاق الرصد المتأني، وتأجيل عمليات التقعيد والتوصيف الجازم، والصبر على الظاهرة الأدبية الإسلامية، في امتدادها الدلالي والفني والجغرافي.

القيم الفنية والدلالية في الأدب الإسلامي متنوعة ومتعددة كتنوع المذاهب الفقهية

هناك ملاحظة يتعين الالتفات إليها جيدا، بين يدي التأصيل لأصول الأدب الإسلامي وقواعده ومبادئه، فكثيرا ما يميل المؤصلون إلى التعامل مع القواعد في ثبوتية وحسم، رغبة منهم في أن تعرف حركة الأدب الإسلامي أكبر قدر من الوحدة والانسجام، وفي ألا يكون الاختلاف





بداخلها شبهة يتمسك بها «الخصوم» و«المعارضون» بين يدي تقويضهم لأركان نظرية الأدب الإسلامي.

والغريب أن بين أيدينا درسا حكيما من تراث الفقه الإسلامي، فمعلوم أن العبادات جاءت لتنظم علاقة الإنسان بربه سبحانه وتعالى، والتنظيم يعني الانضباط والامتثال، مما يعطي الشرعية للتنميط والتوحد، ومع ذلك فإن الاختلاف والتنوع الموجود في ساحة الفقه الإسلامي بخصوص تلك العبادات حقيقة مجمع عليها، وهو يكشف مجموعة من الأمور، أهمها أنه يستحيل «قولبة» أفعال الناس في نمط واحد

كثيرا ما يميل المؤصلون إلى التعامل مع القواعد في ثبوتية وحسم رغبة منهم في أن تعرف حركة الأدب الإسلامي أكبر قدر من الوحدة والانسجام

صارم، فالصلاة، وهي أظهر أركان الإسلام، تعرف عمليا في تفاصيلها الأدائية تنوعا واختلافا بين الفقهاء وفق المذهب الفقهي لكل واحد منهم، وكل يعمل برأيه، ولا أحد يطعن في الآخر أو يضعف مذهبه.

وإذا كان هذا يحدث مع الصلاة، مع أنها رمز الانضباط والأداء الصارم، فكيف بالإبداع الأدبي والفني، وهو المرتكز على أركان الذوق والإحساس والوجدان، وهي أركان تتعدد وتتنوع وتختلف بتعدد بني آدم وتنوعهم واختلافهم.

وهذا يفرض استخلاص القاعدة المدرسية الآتية «القيم الفنية والدلالية في منظور الأدب الإسلامي متنوعة ومتعددة».

والتنصيص على التعدد قيد للتحرز من كل أحادية، أما التنوع فهو قيد للتحرز من كل نزوع نحو التنميط والاستنساخ، وفتح الطريق، في المقابل، في وجه الثراء الذي تزخر به الحياة الفنية والأدبية، مما يتيح فرصا غنية تحتاج من إنسان الإسلام أن تكون له الإرادة والقدرة والرغبة، إضافة إلى الوعي المقاصدي في اقتناصها وتوظيفها واستيعابها لصالح الارتقاء بأدب القيم وقيم الأدب على حد سواء، وولوج عوالم العالمية تحقيقا لا تمنيا أو شعارا.

خطأ الاجتهاد الفني مقبول، وهو أهون من خطأ التقليد والمحاكاة لأنماط فنية معينة

في ميدان الأدب الإسلامي هامش الاجتهاد أفسح، لأن الاشتغال، أصلا، إنما يتم في فضاء إنساني يكفيه أنه يستروح القيم والتوجيهات من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعطاء الحضارة الإسلامية، لكن ليس لتكبيل طاقاته وطموحاته، بل لشحذها وتقويتها وضخ دماء جديدة فيها.

ولأن تعرف ساحة الأدب الإسلامي حركات إبداعية واتجاهات تجديدية، مهما كانت الأخطاء، خير من أن تعرف جمودا قاتلا، وثباتا يرتد بها إلى المواقع الخلفية، فتظل الساحة فارغة لاتجاهات أخرى تأسر العقول والمشاعر، وتستأثر بالأقلام والمواهب، وتزداد هيمنتها إذ عرفت كيف تتسلل إلى عقول الناس.

إن الشعار الذي يتعين رفعه في هذا المقام، هو: «يأيها الأدباء.. اجتهدوا.. وابتكروا، فإن اجتهادكم موفور الجزاء حتى في حال الخطأ».

العبرة بعموم المبدأ القائم على التنوع والاختلاف لا بخصوص إخفاق التجارب الفردية.

إذ يعتقد العديد من رواد الأدب الإسلامي أن مختلف التجارب التي انطلقت لتؤسس لنفسها طريقا خاصا في ساحة الإبداع آلت إلى الجمود أو الفشل، ولم تبق إلا طريق الأخذ بالنمط الشعري الذي عرف منذ بداية عصر النهضة على يد أحمد شوقي وحافظ إبراهيم وعلال الفاسي وغيرهم من رواد شعر النهضة

العربية. والحقيقة أن هذا الملحظ، رغم صحته في بعض الجوانب، إلا أنه لا يقوم حجة لدفع كل اجتهاد أو تجريمه، فأن تفشل هذه التجربة الفردية أو تلك، فهذا واقع لا يرتفع، لكن ليس من الحكمة في شيء أن يتخذ وصلة وذريعة إلى رفض أي تنوع أو اختلاف أو تجديد، فالعبرة بعموم التنوع والاختلاف والتجديد لا بخصوص إخفاق تجربة هنا أو هناك.

حاكمية تغير أشكال الخطاب الأدبي بتغير أحوال المتلقين

ظن العديد من الاتجاهات الأدبية أنه لابد من فرض نمط معين في الإبداع الأدبي يكون محط إعجاب وتقدير من قبل المؤسسات الرسمية والإيديولوجيات السائدة، وقد غاب عنها أن عنصر اختلاف المتلقين يفرض اختلافا في أنماط الابداع وأساليبه، وقد صار المتلقي عنصرا فاعلا في النظرية النقدية المعاصرة، يسهم في بناء معنى النص، ويوجه الذوق الأدبي، ويفرض على المبدع أن ينصت، بعمق، إلى حاجياته وطموحه ورؤيته، وهذا كله يؤدي إلى تطوير الأنماط الإبداعية والأساليب الفنية.

لقد كان يظن أن الحاكم والمؤثر في الإبداع هو نفسية الأديب أو رؤيته، وقد آن الآوان لإدراك أن المتلقي يمارس دورا في الإبداع، طبيعة ودلالة، وهذا يعني أن النظرية الأدبية المحتفية بدور المتلقي إنما هي نظرية في مشروعية الاختلاف والتغيير والتطوير والتجديد.



يأيها الأدباء.. اجتهدوا.. وابتكروا فإن اجتهادكم موفور الجزاء حتى في حال الخطأ

عالمية الإسلام نقض لمفاهيم الاستقلالية الفنوية وعقلية الأقلية المستضعفة

فشعار العالمية يمثل تحديا معرفيا وفنيا في وجه دعاة الأدب الإسلامي، لأنه شعار يستدعي القدرة على استيعاب مختلف الأشكال الأدبية وتبنيها والحرص على استثمارها لمخاطبة «العالمين»، ولكن.. كيف يمكن أن يتحقق ذلك، والأدب الإسلامي لم يستطع، لحد الساعة وقد مر على حركته المعاصرة أزيد من نصف قرن، أن يقنع حتى المنضوين تحت شعاره بفعالية مقولاته النقدية المتعلقة بالإبداع والاتباع والأصالة والمعاصرة وحدود مشروعية التجديد والموقف «الشرعي» من الأجناس الأدبية وأشكالها، فضلا عن أن يقنع ما يصنفون عادة تحت لواء «العلمانية» و«الحداثة».

إن العالمية، التي جعلتها رابطة الأدب الإسلامي العالمية أحد أهدافها، تتحول إلى وهم وجداني إن لم يدرك أصحاب نظرية الأدب الإسلامي العوامل الفاعلة في تلك العالمية والموجهة لها والضامنة لتحققها والمحافظة على ديمومتها وامتدادها، فليس الأمر متروكا لعوامل غيبية خارقة تحقق العالمية الإسلامية، بل الأمر كله جد واجتهاد وتجديد واقتحام، وقد آن الأوان ليتحرر الإبداع الإسلامي من كوابح ذاتية وعوائق نفسية اكتسبت هيمنتها من سوء تقدير للوضع، وخوف، غير مسوغ، على الخطاب الأدبي الإسلامي من التمييع والتسيب.

إن الثقة في الذات، وإدراك فريضة الوقت، والتسلح بالشروط العلمية والفنية اللازمة هي مفاتيح العالمية المنشودة.

وهذا يستدعي مراجعات منهجية شاملة ومتواصلة لأبجديات التفكير الأدبي الإسلامي، مراجعة تمتد من طبيعة الأدب الإسلامي نفسه لتشمل علاقة هذا الأدب بغيره من الآداب والحضارات والتقاليد الفنية والأعراف الجمالية ومناطق الثبات والتجديد. فهل تشرع مؤسسات الأدب الإسلامي ومنابره وبرامجه في إنجاز هذه المهام التي تعود بالنفع على إنسان الإسلام وحضارة الإنسان؟

ومن المؤسف القول إن ثقافة التحذير من الاقتحام والمشاركة، وغرس قيم الحيطة والحذر والانكفاء على الذات، في سياق هيمنة مفاهيم سلبية عن غربة الدين، تسوق، حتما، إلى فكر العزلة وإبداع العزلة وإنسان العزلة، ولن تكون أي «طوبى» لهذا الفكر وإبداعه وإنسانه.



رسالة الشعر

د. عبدالمنعم حسن

قد يُظن أن دور الشعر مقصور على الترف، يتغنى به.. يصور الحب والغزل.. يصف الحسن والشكل.. واللقاء والفراق وغير ذلك، فإذا ما أدى الشعر دور النصح والإرشاد والتوجيه رموه بأنه تحول إلى الخطابة.. وما ضره أن يكون خطاباً موجهاً، وصيحة داعية؟ دار بخاطري ذلك.. فكانت هذه القصيدة

وقالوا الشعر قد أضحى عجيبا
وغُيّر وجهه، فبدا غريباً

لقد جافى طباع الشعر حتى
وجدناه وقد هجر الحبيبا

وقد ترك التلاقي والتداني
وقد هجر التغزل والنسيبا

وقالوا عن قصيدته نراها
تبدت خطبة، وغدا خطيباً

وما أسمى إذا ما الشعر أضحى
نداء الحق صداحاً طروباً!

يؤذن للعلا في كل صوب
لعل أذانه يلقى مجيبا

وما ضر القصيدة حين تغدو
خطاباً داعياً حلوا رطيبا

ترنّم بالفضائل والمعالي
وجاب بشدوه الأفق الرحيبا

يغرد، صادقاً لله يدعو
وقد ملأ المسالك والدروبا

فللشعر الصدوق صدى يدوي
يهز بوقعه الشادي قلوباً

وحين ترى القصائد داعيات
ترى الحب الطهور شذى وطيباً

وتلقى الطهر فاض بكل قول
فيأبى أن يسيء وأن يعيبا

فلا يهجو، ولا يهذي بفحش
ولا تلقاه في أمر كذوباً

نعم .. خُطَباً قصيد الحق يبدو
وتلقى وقعه صوتاً نجيباً

يحلق في السما بدراً بعيداً
ونلقى ضوءه فينا قريبا

فغرّدْ يا قصيد الحق واخطب
ستلقانا ضميراً مستجيباً

نظرية الحرب في الإسلام.. هل تحرض على العنف؟

أهمية هذا الكتاب «نظرية الحرب في الإسلام» تكمن في موضوعه، تهمة العنف، التي لطالما ألصقت بالإسلام، وقد التزم فيه الإمام محمد أبو زهرة الصدق مع النفس في معالجة هذه الشبهة، حيث كان باحثا عن الحقيقة، لا مجرد «رفا» يداري الثقوب! إذ لم يكن مستعدا لأن يدافع بالباطل عن أخطاء ارتكبت في التاريخ الإسلامي، مفرقا بجلاء بين مبادئ الدين وتصرفات الأتباع، ومقررا بوضوح أنه ليس كل ما يفعله ملوك الإسلام إسلاميا، فمنهم من كان يتسربل باسم الإسلام وكل همه بسط سلطانه، ومنهم من كان ينتمي إلى شعوب اشتهرت بالغلظة مثل التتار، فلما حاربوا في ظل الإسلام غلبت عليهم طبائعهم، المهم أن يكون المبدأ واضحا، إذا كان بعض قواد المسلمين في الزمن الغابر قد انحرفوا عن تعاليمه العالية فهذا ليس من الإسلام في شيء، ومهما كانت وحشية القرون الوسطى، أو غلظة أعداء المسلمين التي كانت تدفع قواد الجيوش الاسلامية إلى مجاراتهم فذاك ليس مبررا لمخالفة تعاليم الرسول ﷺ، فأعمالهم ليست حاكمة على القواعد الدينية المقررة.



د. أيمن الجندي

إن رسولنا هو نبي الرحمة بنص القرآن ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (الأنبياء:١٠٧)، ولقوله ﷺ «الراحمون يرحمهم الله، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» (صححه الألباني)، «لا تنزع الرحمة إلا من شقي» (حسنه الألباني) ولكن، أولا ما هو تعريف الرحمة؟ هل هي الرحمة مع الجناة الذين يفزعون الآمنين؟!، أم أن الرحمة الحقيقية أن تمنع الظلم وتغلظ على المعتدين، ﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون﴾ (البقرة: ١٧٩) فإذا اعتدى الشر وجب على أهل الخير أن يدفعوه ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم، واتقوا الله، واعلموا أن الله مع المتقين﴾ (البقرة:١٩٤)،

والسلام هو أصل العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين بنص القرآن ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله﴾ (الأنفال:٦١)، ووقائع السيرة النبوية تؤكد أن رسول الله ﷺ لم يرفع سيفا على مخالفيه إلا بعد أن وقع منهم الاعتداء، فمكث بين كفار قريش ثلاث عشرة سنة يدعوهم إلى التوحيد ونبذ الأوثان، ما ترك بابا من أبواب الدعوة بالموعظة الحسنة إلا دخله ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ (النحل:١٢٥)، وما اتجه الرسول إلى حربهم إلا بعد التعذيب والمصادرة ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا، وإن الله على نصرهم لقدير. الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله﴾ (الحج:٣٩-٤٠)، وكان القتال مقصورا على قريش لا يعدوهم حتى تضافر العرب جميعهم على المسلمين في غزوة الأحزاب فكان لا بد من قتالهم كافة ﴿وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة﴾ (التوبة:٣٦)، ولم يستبح

دماء اليهود بل سالمهم وجعل له ما لهم وعليه ما عليهم، ولم يفكر في نقض حلفهم حتى حدثت خيانتهم في غزوة الأحزاب بما يهدد وجود المسلمين من الأساس.

ولم يبدأ قتال الفرس إلا بعد أن اختار كسرى من قومه من يأتيه برأس النبي عليه الصلاة والسلام، ولم يقاتل الروم بوصفهم نصارى بل حاربهم لكونهم معتدين على المؤمنين الذين دخلوا الإسلام من أهل الشام، وكان على أتم وفاق مع نصارى العرب الذين جاء القرآن بالثناء عليهم ﴿ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنو الذين قالوا إنا نصارى﴾ (المائدة:٨٢).

وبهذا الاستقراء التاريخي نجد النبي الكريم ﷺ ما حارب أحدا لم يعتد عليه أو يدبر الأمر ضده أو لم يتآمر على الإسلام مع أعدائه، وقرر أنه من سالم المسلمين لا يحل لهم أن يقاتلوه، ومن اعتدى عليهم لا يحل لهم أن يتركوه.

حرية الاعتقاد

والثابت أن حرية الاعتقاد في الإسلام مكفولة، فالحرب لا تجوز لفرض الإسلام دينا على المخالفين، والقتل للكفر ليس بجائز في شريعة الإسلام ﴿لا إكراه في الدين، قد تبين الرشد من الغي﴾ (البقرة:٢٥٦)، هذه من المبادئ غير القابلة للنسخ، ولقد منع الرسول رجلا يريد أن يكره ابنه على الإسلام، وحينما جاءت امرأة عجوز إلى عمر بن الخطاب في حاجة لها، دعاها للإسلام فأبت وانصرفت، فخشي أن يكون في قوله -وهو أمير المؤمنين- إكراه، فاتجه إلى ربه ضارعا: اللهم قد أرشدت، ولم أكره.

المهم أن تكفل حرية الاعتقاد، ويزال الحجز بين الدعوة والمستضعفين، بعدها من شاء آمن، ومن شاء كفر.

فإذا وقع الاعتداء فالصبر خير، والقرآن لم يأمر بالقتال عند أول اعتداء ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾ (النحل:١٢٦).

فإذا كانت الحرب فلا بد من الإعلان قبل الهجوم، لأنهم ببساطة لا يريدون الاستيلاء على أرض أو التحكم في مصير ناس، بل أن يأمنوا جانبهم، بالعهد يعقدونه أو بالإسلام يعتنقونه، فإن لم يقبلوا واحدا من الأمرين كانت نية الاعتداء واضحة فلا بد أن يقوا أنفسهم منه، ومن عجائب التاريخ الإسلامي أن عمر بن عبدالعزيز أمر جيش المسلمين بالانسحاب من سمرقند بعد أن استولوا عليها لأنهم لم يؤذنوهم بالحرب، ويخيروهم بين الصلح والإسلام والقتال، ولعلها المرة الأولى في التاريخ أن يتخلى المنتصر عن أرضه من غير قوة تخرجه بل استجابة لداعي العدالة، ثم يعرض عليهم من جديد الصلح أو الإسلام أو الحرب فيختاروا العافية والحق والسلام، والدخول في الإسلام أفواجا.

فإذا وقع القتال والتحمت الجيوش فإن ضوابط القتال كثيرة، جوهرها أن الحرب للمقاتلين لا للشعوب، إذ كان الشعب المحارب قبل الإسلام يستبيح من الشعب الآخر كل الحرمات، في الميدان وخارج الميدان، أثناء المعركة وبعدها، واستمر الحال هكذا حتى جاء محمد ﷺ بحروبه، فأعلن بلسان الفعال، لا بلسان المقال وحده، أن القتل في الحروب لا يتجاوز الميدان، وأن الحرب ليست بين الشعوب.

من جملة الضوابط

١ - منع قتل الشيوخ والنساء والأطفال والعمال ورجال الدين منعا مطلقا.

٢ - منع التخريب والهدم والإتلاف لأن الأساس في القتال هو رد الاعتداء وليس الانتقام.

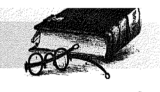
٣ - منع التمثيل بالجثث منعا مطلقا، وحتى جثث أعدائه في غزوة بدر أمر بوضعها في القليب حماية لها من الذئاب والسباع، وعندما مثلوا بجثة عمه حمزة في أحد لم يفكر في أن يمثل بأحد من قتلاهم.

٤ - إن قعدت قوة المجروح به عن المقاومة لا يسوغ قتله بل يبقى ويؤسر، لأن القصد من القتال هو منع الاعتداء.

٥ - المعاملة الكريمة للأسرى، فحينما كان الأعداء يقتلون الشيوخ والضعفاء، ويعذبون أسرى المسلمين بالجوع والعطش لم يبح لهم الصنيع نفسه، وبالغ الإسلام في إكرام الأسرى حتى اعتبره من أكرم البر، فكانوا يكرمونهم ولا يجيعونهم، وقد سجل التاريخ لصلاح الدين الأيوبي أنه أطلق جيشا ضخما من أسرى الفرنج حينما لم يجد لهم طعاما، فيما قتل قائد الفرنجة جماعة من المسلمين استسلموا له بشرط عدم قتلهم، والمعاملة بالمثل مبدأ موجود في الإسلام، ولكن بضوابطه.. إذا انتهك جيش الأعداء الأعراض فإن جيش المسلمين لا يباح له المثل، وإذا عذبوا الجرحى لا يباح للمسلمين المثل.

٦ - ومن عجب العجاب أن الإسلام يحفظ لرعايا الدولة المقاتلة الموجودين في بلاد المسلمين أمنهم وأموالهم ماداموا دخلوها مستأمنين، فإذا ماتوا انتقلت الأموال إلى ورثتهم (في الدولة المعادية!).

٧ - والأعجب أنه لا يستحب كثرة القتل بين الأعداء، وقد امتدح عمر بن الخطاب قتال عمرو بن العاص في مصر حين قال «تعجبني حرب بن العاص، إنها حرب رفيقة سهلة» وكان ذلك تأسيا بسنة النبي ﷺ الذي كان يسير على سياسة التأليف حتى في القتال، هي إذن حرب رفيقة تتسم بالتأليف والمحافظة على الأعداء، وأحب إلى محمد ﷺ أن يأتوه بهم سالمين قد عمر الإيمان قلوبهم، فإذا انتهى القتال لم يبق إلا المعاملة بالعدل، وقد أمر الإسلام بالعدل مع الأعداء كالعدل مع الأولياء ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا﴾ (المائدة:٨)، وحينما دخل النبي مكة صاح أحد قواده: اليوم يوم الملحمة، اليوم أذل الله قريشا، فعزله النبي ﷺ وقال «اليوم يوم المرحمة، اليوم أعز الله قريشا». وجمعهم الرسول وقال لهم - وهم الذين قاتلوه وآذوه- «ما تظنون أني فاعل بكم؟ فقالوا في ذلة المغلوب: خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم، فقال لهم أقول لكم ما قاله أخي يوسف «لا تثريب عليكم اليوم، يغفر الله لكم، اذهبوا فأنتم الطلقاء».



إصدارات

إعداد: مصطفى عاشور

■ «كونية الإسلام.. رؤية للوجود والمعرفة والآخر» للكاتب الصحافي صلاح سالم، والصادر عن مكتبة الشروق الدولية في طبعته الأولى عام ٢٠٠٨م في ٦١٠ صفحة، وهو كتاب يتناول فلسفة الإسلام ورؤيته للوجود والعلاقة مع الآخر، ورؤيته للمعرفة التي تتأسس على نقاء التوحيد، ويؤكد الكاتب أن «كونية» الإسلام طابع أصيل في عقيدته، وبنيوي في شريعته، فالإسلام يقيم بنيانه على المبادئ الكلية للعقل الإنساني، ويتوجه إلى البشر جميعا، كما يسعى لإنشاء صورة متكاملة للحياة، وشمول الإسلام هو ضرورة وجودية لا غاية سياسية.

■ «نحو تجديد الخطاب الديني: تأسيس البنية الحوارية وحق الاختلاف» للكاتب المغربي سعيد الكرواني، والصادر عن وزارة الأوقاف المغربية في طبعته الأولى ٢٠٠٧، في ٣٢٤٩ صفحة، وهذا الكتاب حصل على جائزة محمد السادس للفكر والدراسات الإسلامية، ويحرر الكتاب مفهوم الإرهاب في السياق الغربي والإسلامي، وعددا من المصطلحات المتداولة في الوقت الحاضر، والمشروع المنشود للخطاب الإسلامي.

■ «تأملات قرآنية في الإصلاح والنهضة» للدكتور مجدي سعيد، والصادر عن «الحضاري للدراسات المستقبلية» في القاهرة في ٢٠٠٩ في طبعته الأولى في ١٢٠ صفحة، ويتناول خواطر حول عدد من الآيات والسور القرآنية التي تتناول قضية الإصلاح سواء للفرد أو المجتمع أو الدولة، وما أشار إليه القرآن الكريم من سنة التدافع بين البشر والحضارات، وهو ما يولد الاستمرار للحياة والحضارة.

■ «الإمام محمد عبده: مائة عام على رحيله» تحرير د.إبراهيم البيومي غانم ود.صلاح الدين الجوهري، والصادر عن دار الكتاب اللبناني بالتعاون مع مكتبة الإسكندرية، في طبعته الأولى ٢٠٠٩م في ٩٨٦ صفحة، ويتناول أعمال الندوة التي نظمتها مكتبة الإسكندرية عام ٢٠٠٥ وتناولت موضوعات شتى عن حياة وآثار الأستاذ الإمام وتلاميذه وتأثيره في الحياة السياسية والفكرية والتعليمية سواء في مصر أو في العالم العربي والإسلامي، وكذلك جهوده في التجديد الفقهي والفكري والإصلاحي.

الكتاب.. ذلك المظلوم

أصبح للأنشطة الإنسانية أيام عالمية يحتفل بها العالم تشجيعا لها، فهناك يوم الرياضة العالمي، ويوم المرأة العالمي، ويوم الطفل، وقد اختارت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة يوم ٢٣ ابريل من كل عام ليكون اليوم العالمي للكتاب وحقوق النشر، وبدأ هذا الاختيار سنة ١٩٩٥م، ويرجع اختيار ذلك اليوم تحديدا إلى أنه يصادف مولد وموت عدد من الكتاب والمبدعين مثل «وليم شكسبير»، ولاشك أن الكتاب يعد أهم حامل للثقافة والفكر في تاريخ البشرية حتى الآن.

والحضارة الإسلامية كانت تعطي الكتاب أهمية كبرى، فكانت المكتبات العربية عامرة في بغداد والقاهرة ودمشق وحلب ومراكش والأندلس وغالبية الحواضر الإسلامية، بل كانت بعض الكتب توزن بالذهب ويعطى وزنها لمؤلفيها، وعرفت الحضارة الإسلامية الكثير من المهن المرتبطة بالكتاب منها ما يتعلق بالتجليد، والنسخ، والتذهيب، وطبع أول كتاب في العالم العربي سنة ١٧٠٦م، لكن العربية عرفت طريقها للطباعة قبل ذلك التاريخ بما يقارب القرنين، حيث طبع أول كتاب باللغة العربية سنة ١٥١٤م في إيطاليا حيث كانت العلوم العربية في الفلسفة والمنطق والطب ذات أهمية كبرى في مرحلة البناء والتأسيس للفكر والحضارة الغربية.

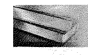
وعرفت حركة النشر في العالم العربي نهضة في القرن ١٨م تواكبت مع حركة تعليمية في عدد من البلدان العربية، وحركة في إنشاء المدارس والجامعات في مصر ولبنان، وكان ذلك يستدعي وجود وانتشار الكتاب المطبوع، وتوج ذلك حاكم مصر محمد علي باشا بإنشاء مطبعة بولاق سنة ١٨٢٢م التي استطاعت أن تنشر خلال ما يقرب من عشرين عاما حوالي ٢٤٠ كتابا في مختلف الفنون والعلوم، ثم توالى إنشاء المكتبات التي اعتنت بالكتاب وحرصت على إصداره وإخراجه بصورة تليق به وقتها، ومع نهاية القرن ١٩م كان ما نشر في مصر فقط من الكتب حوالي ١٠ آلاف كتاب في الدين والأدب والرياضيات والعلوم الطبيعية والفلسفة.

ويشهد الكتاب العربي- حاليا- أزمة مركبة ومعقدة ومتشابكة سواء على المستوى الاقتصادي أو التعليمي أو السياسي، وهو ما انعكس في الكتاب باعتباره وعاء الثقافة، فوجدنا أن أعلى نسب من المبيعات في الكتب في الساحة العربية ما ارتبط بالخرافات والسحر والتنجيم والفضائح، والكتب التي لا تبني فكرا ولا تحصن عقلا.

وتشير المعلومات والأرقام التي أوردتها بعض التقارير أن واقع الكتاب في العالم العربي يعاني من أزمة كبيرة، فأرقام تقرير التنمية الإنسانية لعام ٢٠٠٣م تؤكد أن المعرفة هي الفريضة الغائبة في العالم العربي، ومن الأرقام التي أوردها التقرير والتي تثير الفزع والقلق أن متوسط نصيب الفرد من القراءة سنويا لا يتعدى ١٠ دقائق، وأن نسبة توزيع الصحف هي ٥٣ صحيفة لكل ألف شخص، في حين أن الرقم في الدول المتقدمة هو ٢٨٥، وأن متوسط الكتب المترجمة في السنة هو كتاب واحد فقط لكل مليون نسمة، كما أن حجم المشاركة العربية في إنتاج الكتاب في العالم تقل عن ١ في المائة، مقارنة بأوروبا التي تساهم بحوالي ٥٣ في المائة من الكتب في العالم.

كما أن الكتاب في الغرب قد يحقق لصاحبه ثروة كبيرة، ومثال ذلك سلسلة روايات «هاري بوتر» للكاتبة البريطانية «رولينغ» التي باعت حوالي ٢٧٠ مليون نسخة، وحققت من ورائها ثروة تزيد على البليون دولار، وفقا لما ذكرته مجلة «فوربيس»، وترجمت إلى حوالي ٦٢ لغة، وهو ما جعل سعر الكلمة الواحدة فيها يصل إلى ٢٤٥٠ دولار.

ويلاحظ في العالم العربي وجود تراجع ملحوظ في دور الدولة في مساندة الكتاب ودعم الثقافة مقارنة بفترة الخمسينيات والستينيات- حيث كانت الدولة تقف بقوة ملحوظة وراء صناعة الكتاب- باستثناء وقوف الكويت وراء السلسلة الشهيرة «عالم المعرفة».



الأمن الثقافي

يعرف أدمون هريو الثقافة بأنها «الشيء الذي يتبقى بعد أن ننسى كل شيء»، والأمن الثقافي من المفاهيم التي نشأت في بداية السبعينيات في منطقتنا العربية، وهذا المفهوم في عمقه يؤكد على وجود حاجة إستراتيجية لتوفير قدر من الأمن أمام حالة الانكشاف الثقافي للخارج، وأمام رغبة الآخر في التدجين والاستئصال الثقافي أو القيام بعملية تمييع مفاهيمي وذاتي وثقافي للعرب والمسلمين، وبالتالي تصبح الحاجة ملحة إلى تحقيق قدر من الأمن الثقافي يحمي الثقافة ومقومات الهوية ومكونات الذات الحضارية، بل نمط الحياة الذي يعبر عن الثقافة، لأن غياب قدر معتبر من التحصن الثقافي يجعل الذات ينتقل مركزها إلى الآخر، وهو ما يقود تدريجيا إلى حالة من الاستتباع واللحاق الثقافي بالآخر، ويجعل الذات أو بالأحرى بقايا الذات تتحول إلى آخر، فتجد قدرا من التنصل من التراث والماضي، واعتبار الاستناد إلى التاريخ في مسيرة الحياة والتفاعل مع المستقبل وصناعته نوعا من نبش القبور ومحاولة بائسة لإحياء الموتى، وفي المقابل فالأمن الثقافي لا يعني بحال من الأحوال الانغلاق على الذات وعدم رؤية الآخرين والتحوصل داخل مقولات الهوية الدفاعية، والإحساس الدائم بوجود مؤامرة، واعتبار أن العلاقة مع الآخر هي علاقة صراعية، ومباراة صفرية أي خسارة فيها تعني أنها مكسب للآخر.

فالأمن الثقافي يجب أن يدرك على أنه حالة طبيعية تتسم بنوع من العقلانية والرشاد، وأن دائرته التي يتحرك فيها هي دائرة الوجود والوعي والتفاعل البناء والخلاق مع الآخر، وبالتالي فالأمن الثقافي يحتاج إلى رؤية وحركة سياسية تفعّل وجوده وحضوره في المجال العام، لكن الجرعة السياسية من الضروري ألا تفرض بطريقة حمائية ووصائية تفقد الثقافة قدرتها على التفاعل والتواصل والتلاقح، بل المواجهة أيضا.

ولاشك أن كل ثقافة تخلق أدوات أمنها وحمايتها في كل المستويات، كما أن التطور الذي يحدث في الثقافة يتأثر بعوامل عدة، منها طبيعة الثقافة وما تتسم به من درجة انفتاح وتحصن ومناعة ذاتية أمام محاولات الاستلاب، ومدى قشريتها أو تعمقها في نفوس أبنائها، ومدى تجسدها في سلوكيات يومية وفي فلكلور وفن وعمارة...الخ، كذلك الجماعة أو الطبقة أو السلطة التي تحمل تلك الثقافة، وفي التجربة الإسلامية فإن الأمة بمجموعها مطالبة بأن تكون حاملة لثقافتها ومجسدة لها، وهو ما يمنحها قدرا هائلا من الإمكانات في الحفاظ على ثقافتها بحالة من الخصوصية المنفتحة، بخلاف ثقافات أخرى كان من يحملها طبقة من رجال الدين أو ذوي الثروات أو طبقة حزبية، يضاف إلى ذلك سرعة استقبال الجماهير، فكلما استقبلت الجماهير الثقافة بسرعة وتمثلت تعاليمها كان ذلك أدعى لتوفير بيئة حمائية للثقافة تغنيها عن أي أدوات سياسية وسلطوية أو عنفية.

وهنا يجب التأكيد على أن مشاريع التنمية تحتاج دائما إلى قدر من الأمن الثقافي، فاستنفاد الموارد الطبيعية بطريقة عبثية وفي مظاهر ومنتجات استهلاكية يكشف عن غياب ثقافة ترغب في تحقيق تنمية مستدامة، ولذا نجد في تلك المجتمعات من يغذي الثقافة الاستهلاكية ويشجعها ويغير معيار التقدم من القدرة على الإنتاج ومواكبة العصر لتصبح إنسانيتك بقدر ما تستهلك ونوعية ما تستهلك، وهو ما يخلق حالة من الانفصال بين الثروة والقيمة، ويجعل القيم تتحرك في إطار من المادية الاستهلاكية.

التراث والإنسان

التراث كلمة واسعة الدلالة، وكما يؤكد د.علي جمعه في كتابه «الطريق إلى التراث الإسلامي» فإن الموروث عبارة عن مكونين: نتاج فكري، وواقع تاريخي، وقد لعب القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة- كمصدرين للمعرفة للمسلمين- دورا في تجلية ذلك التراث، حيث إن غالبية العلوم التي نشأت في الحضارة الإسلامية كانت خادمة لهما أو مستخرجة منهما ما يقوي الإطار المرجعي للمسلمين، ويخلق معيارا للتقويم، فالمسلم عندما قرأ النص راح يبحث عن وسائل لفهمه، فظهرت بعض العلوم مثل البلاغة والنحو والصرف، وهذا الإبداع كان من باب خدمة النص، فالنص كان محركا للعلوم والآداب والفنون، وعندما أخذ العقل المسلم يبتعد عن النص، ويقتصر تفاعله مع ما أنتجه السابقون من علوم حول النص لخدمته وفهمه أخذت حالة من الجمود تصيب العقلية المسلمة، ولم يكن السابقون يطلقون على موروث سابقيهم كلمة تراث فقد كانوا ينظرون إلى هذا الموروث باعتباره ممتدا فيهم، وهو الامتداد الجاري عبر اللغة والمفاهيم والتصورات العامة، ومن هنا توالت حلقات تاريخنا الثقافي والعلمي لزمن طويل حتى جاءت الحملة الفرنسية، ومن بعدها احتلال الأوروبيين لأرجاء العالم العربي والإسلامي، فكانت عملية الانقطاع عن التواصل- على مستوى الوعي العام- بحيث صارت أجيالنا الحالية، بفعل عمليات التغريب الدائمة، تنظر إلى الآثار الباقية عن الأجيال الخالية، باعتبارها أمرًا مستقلاً عنا، يكاد يبدو وكأنه يخص غيرنا!

ولقد استخدم البيروني تعبير «الآثار الباقية عن القرون الخالية» كعنوان لأحد أهم كتبه، لكن البيروني لم يقصد بذلك ما تركه سابقوه من أهل الحضارة العربية الإسلامية، وإنما كان يستعرض تراث فارس والهند والأمم الأخرى السابقة على حضارتنا العربية الإسلامية والمختلفة عنها.

والواقع أن الغرض من النظر إلى الماضي والموروث هو محاولة استقراء ما فيه من معان يمكن إعادة صياغتها بمضامين وأشكال فعالة، حتى يوجد اتساق بين العقيدة والسلوك، وبين الرؤية والنظام السائد، والحضارة يصيبها العقم عندما يتقدم البنيان على الإنسان، وتصاب بالمشكلات عندما ينعزل إنسانها المالك للنموذج المعرفي عن مشكلات الواقع وينفصل عن الغيب الذي يلهمه القوة والبصيرة، فيغيب الاتساق بين الداخل والخارج في الإنسان، وبين مظهر الحضارة وبين جوهرها.

عبادة السيد نوح nooh22@hotmail.com

رحلة «حراء»

على سفوح التلال الخضراء، وأمام بحر مرمرة الساحر يعتقد البعض أن إسطنبول عاصمة تركيا باعتبارها أهم مركز تجاري وبشري في البلاد، فالقصور والقلاع القديمة المنتشرة في كل مكان والمساجد العتيقة التي بنيت في عهد الفتوحات الإسلامية تثبت أنها رأس المال الفكري والثقافي لتركيا.

بدعوة كريمة من مجلة «حراء» التركية الناطقة باللغة العربية زارت «الوعي الإسلامي» هذه المدينة الخلابة لمدة خمسة أيام، وكانت مترسخة لدينا صورة ذهنية سلبية عن تركيا العلمانية، فكانت المفاجأة مذهلة، والوقائع تقلع القلوب اندهاشا وتعجبا لما بصرته العيون من تركيا العثمانية.. تركيا الخلافة.. تركيا الفاتح.. تركيا السلاطين.

فلم نسمع عن أناس وهبوا أنفسهم وأموالهم منذ أربعين عاما لله وينكرون ذواتهم ولا يعترفون بذلك.. أناس اتخذوا العمل منهاجا لخدمة الإنسانية.. أناس آثروا البذل والعطاء عن التنظير والشخصانية والتغني بالشعارات، ولم نكن نعرف مؤسس أكبر تجمع إسلامي في تركيا (محمد فتح الله كولن) أمد الله في عمره ونفع به وجعله زخرا للإسلام والمسلمين، بالرغم من اهتمامنا بشؤون المسلمين في الخارج.

رجال في سن الشباب، وتجار شعارهم البذل، وعلامة ملهم.. ثالوث النهضة الفكرية والثقافية والعلمية في تركيا الجريحة منذ سقوط الخلافة على يد أتاتورك أوائل القرن الماضي، فما رأيناه حقا يجعلنا نتيقن أن الخلافة ستعود من بلاد الأناضول مرة أخرى بإذن الله بالرغم من سيطرة صناديد العلمانية المتمصلحون على المقدرات الرئيسة في البلد، ذلك أنهم استلهموا من السيرة النبوية كيفية تغيير الواقع المزري بالتدريج من خلال التربية والبناء والتعليم بعيدا عن السياسة ورفع الشعارات الإسلامية والتغني بالصور الخارجية والمظاهر دونما النظر لحجم الإنتاج العملي.

وعلى الرغم من إيمان هؤلاء بأن المبادئ الإسلامية ثابتة لا تتغير كما أنزلت في القرآن، فإنهم على قناعة أنها لا بد أن تتكيف مع ظروف كل عصر، وأن يتم تفسيرها من جديد لملاءمة ذلك العصر، كما يرون أن توافر العلوم الحديثة هو السبيل لفهم الذات الإلهية بالعقل عن طريق البحث في المخلوقات، ويقولون إن المجتمع لا يمكن أن يتغير إلا إذا تغير الفرد، والسبيل إلى ذلك هو العلم، لذا فشعار كولن في ذلك هو «ابنوا مدارس جديدة بدلا من المساجد».

وترى هذه المجموعة الربانية أن العمل مفتاح «الشفرة» للتغيير الإيجابي، فيقول كولن في كتاب «أركان الدين الإسلامي»: «سوف نُثاب بالنجاح على جَلدنا وصبرنا، وسنعاقب على كَسلنا بقلة ذات اليد».

كرم الضيافة وحرارة الاستقبال كانا موجودين منذ أن وطئت أقدامنا تركيا، حتى إننا أحرجنا من التمادي في الضيافة، خاصة من المربي مصطفى أوزجان، ورئيس تحرير «حراء» نوزاد صواش، بالإضافة إلى جمال تُرك مدير أكاديمية العلوم.

بدأنا الرحلة بزيارة مجلة «حراء» التي تتبع أكاديمية «قايناق للعلوم» التي أتاحت لنا الفرصة للتعرف على ثمرة مباركة ذات رسالة إسلامية ترتفع فوق القواطع والفواصل، وتخاطب كل المسلمين وتعتني بالعلوم الطبيعية والإنسانية والاجتماعية، وراقنا أنها قرآنية الصبغة، عَصْريَّة الصياغة، جامعة بين الأصالة والمعاصرة بمنهجية وسطية تجاهد في سبيل التكامل، بعيدا عن الإفراط والتفريط.

وقد بهرتنا إحدى مدارس «الفاتح» بجمعها ما بين حداثة البنيان والإبداع التربوي والتعليمي بأسلوب فريد من نوعه، قلما تجده في مجتمعاتنا العربية، ما يدفعنا إلى التفكير في مراجعة منظومتنا التعليمية مرة أخرى، فأوائل الثانوية دائما من هذه المدارس، حتى باتت معلما ثقافيا وتعليميا تتهافت عليه الأسر التركية لتعليم أبنائها من مختلف الأطياف، مع الأخذ في الاعتبار أنه يوجد على شاكلة هذه المدارس أكثر من ١٠٠٠ مدرسة موزعة في محافظات البلد المختلفة، وفي دول البلقان.

وتعرفنا على «وقف الصحافيين والكتاب» الذي أنشئ عام ١٩٩٤ ليقدم تجربة جديدة في جمع النخبة السياسية والثقافية والدينية من مختلف المشارب والأطياف على طاولة الحوار، لمناقشة القضايا الحساسة والخطيرة للوصول إلى رؤى توافقية.

كذلك تعرفنا على مؤسسة صحافية عملاقة تعتبر الأولى في الصحافة اليومية هناك، تسمى «زمان»، بالإضافة إلى أخواتها مثل وكالة «جيهان» للأنباء ومجلة «إكسيون» الإخبارية، فالجدية في العمل والتضحية في البذل والإدارة الحديثة والبسيطة والالتزام أبرز معالم هذا الصرح العجيب!

إن أبرز ما يمكن أن نستفيده من هذه التجربة الرائعة هو الجدية والتضحية في العمل، وضرورة توافر الكوادر المؤهلة علميا وروحانيا، والعمل المؤسسي المنظم، وتقديم ثقافة العمل على التنظير.. لتؤكد تركيا مرة أخرى للعالم أنها عائدة بقوة لإحياء روح الإسلام في ربوع الإنسانية.. والله ولي التوفيق.

ندوات ومؤتمرات

سلوى طلعت

شهدت الساحة العربية والإسلامية نشاطا ثقافيا وسياسيا ملحوظا من خلال المؤتمرات والاحتفاليات التي أكدت كلها على ثوابت هذه الأمة، وإظهار هويتها، والسير بها في النهج الوسطي حيث لا إفراط ولا تفريط، وقد أردنا أن نلقي الضوء على بعض منها.

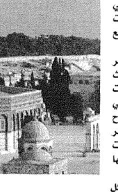
المؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري

نظمت جامعة الملك سعود ممثلة في كرسي الأمير نايف بن عبد العزيز لدراسات الأمن الفكري - في يومي الأحد والاثنين ٢٣ و٢٤ جمادى الأولى ١٤٣٠هـ الموافق ١٧ و١٨ مايو ٢٠٠٩م - المؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري، تحت عنوان: «الأمن الفكري.. المفاهيم والتحديات»، حضره أكثر من ٨٥ أكاديميا ومتخصصا وباحثا في مجال الأمن الفكري بمفهومه الشامل، وناقش ٦٦ بحثا على مدى إحدى عشرة جلسة.

وقد ناقشت جلسات المؤتمر الأوراق البحثية التي تناولت المحاور التي تخدم الهدف العام للمؤتمر، ومن هذه الأوراق: الأمن الفكري بين المفهوم والتطورات والإشكاليات، ومفهوم الأمن الفكري بين المحددات العلمية والإشكاليات المنهجية المعاصرة، ومكونات مفهوم الأمن الفكري وأصوله، والأمن الفكري وأسسه في السنة النبوية المطهرة، والأمن الفكري في ضوء متغيرات العولمة، وموقع الأمن الفكري في أنظمة الدولة، ودور حرية التعبير في حماية الفكر والتفكير وتعزيز الحصانة الذاتية في الأمن الفكري.

وقد تقدم الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس بورقة طالب فيها بـ «ضرورة إنشاء هيئة عليا تعنى بإعداد الخطط والإستراتيجيات الشاملة التي تحفظ الأمن الفكري للمجتمع، وترصد كل المستجدات التي تهدد كيان الأمة، إلى جانب تشكيل مجالس تنسيقية بين القطاعات الحكومية والأهلية في هذا الإطار».

المؤتمر الشعبي العالمي لنصرة فلسطين

شهدت مدينة اسطنبول التركية يومي الجمعة والسبت ٢٨ و٢٩ من جمادى الأولى ١٤٣٠هـ الموافق ٢٢ و٢٣ مايو ٢٠٠٩م افتتاح المؤتمر الشعبي العالمي لنصرة فلسطين بحضور مئات الشخصيات وممثلي مؤسسات المجتمع المدني.

وقد اشتمل برنامج المؤتمر على عشر حلقات بحث وعمل متخصصة، وثلاث ندوات عامة تحدثت فيها شخصيات بارزة متخصصة على المستوى الإسلامي والعالمي، إضافة إلى جلسة للافتتاح وأخرى للختام شارك فيها عدد آخر من المتحدثين، كما كانت هناك كلمات رمزية تعبر عن قارات العالم وتضامنها مع فلسطين.

ودعا العلامة القرضاوي إلى جمع كل من يناصر القضية الفلسطينية في العالم من الشرق والغرب، وقال: «وهذا هو الذي يقوم به هذا المؤتمر في حشد الجهود وتعبئة القوى المختلفة، وكلها تصب في نصرة الحق في هذه القضية»، وقد تحدث عن التهديدات الصهيونية المتزايدة بحق مدينة القدس ومقدساتها، وأكد أن المطلوب هو «نصرة دائمة لفلسطين» حتى لا تكون هناك هبات متقطعة وغير متواصلة، مؤكدًا أن نصرة فلسطين «ليست تبرعًا ولا تطوعًا، بل هي فرض عين علينا»، ودعا إلى شد أزر المقاومة وحماية ظهرها.

ودعا البيان الختامي لأعمال المؤتمر إلى أهمية الانتقال إلى التواصل الفعلي المستمر مع فلسطين وشعبها، وترجم ذلك من خلال ورش العمل التي وضعت لبنة التنسيق والتكامل بين شتى المؤسسات والمنظمات، وحددت مجموعة من المشروعات والمبادرات العملية لنصرة فلسطين.

المؤتمر الدولي الرابع عشر والاستثنائي للدراسات الموريسكية الأندلسية

نظمت مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات واللجنة العالمية للدراسات الموريسكية بتونس على مدار ثلاثة أيام من ٢٠-٢٢ مايو ٢٠٠٩م مؤتمرا دوليا استثنائيا بمناسبة الذكرى المئوية الرابعة على طرد الموريسكيين من بلادهم الأندلس (١٦٠٩-٢٠٠٩).

ودار هذا المؤتمر حول محورين أساسيين هما:

أولا: الانعكاسات الإنسانية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لطرد الموريسكيين الأندلسيين (١٦٠٩-٢٠٠٩)

أ - عمليات الطرد القسرية واللاإنسانية وملابساتها الرهيبة.

ب - الوزن الديمغرافي والاقتصادي للموريسكيين الأندلسيين بالنسبة لإسبانيا وتداعيات الطرد.

ت - الإسهامات المهنية والحضارية للموريسكيين في بلدان الاستقبال.

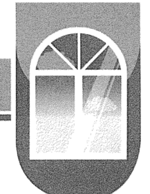
ثانيًا: استخلاص الدروس من مأساة طرد الموريسكيين الأندلسيين

أ- قطع الصلة تمامًا مع محاكم التفتيش القديمة والحديثة.

ب- تنمية قيم التسامح والتعايش والاعتراف بالآخر.

ج- مواجهة الأزمات الإنسانية مستقبلاً، وتبني منظومة جديدة من الأنسنة والتعايش والشراكة الحضارية.

وقال المشاركون في البيان الختامي: إنهم «مقرون العزم على تناول ملف الطرد ومواصلة السعي لدى السلطات الإسبانية العليا للإقرار بتلك المأساة»، واعتبروا أن مبادرة «تحالف الحضارات والثقافات» التي تديرها إسبانيا بالشراكة مع تركيا تتنافى مع رفض السلطات الإسبانية المطلق الإقرار بحصول مأساة الطرد الجماعي والاعتذار عنها.





حينما تجتمع الأبوة مع النبوة

أسماء سلام

من كمال نعم الله سبحانه وتعالى أن جعل الأنبياء بشرا مثلنا لهم من القلوب والمشاعر وحب الزوجة والأبناء واشتهاء الذرية والحب الشديد لهم، بل الخوف عليهم ما يجعلهم قدوة لنا في الحرص على الأسرة ومكوناتها، وذلك مصداقا لقوله تعالى ﴿ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب﴾ (الرعد: ٣٨).



حب الأبناء من الفطرة التى فطر الله الناس عليها؛ فالأبناء نعمة وزينة في الحياة الدنيا وذخر في الآخرة كما قال الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا﴾ (الكهف: ٤٦) فهي هبة من الله سبحانه وتعالى حيث قال في كتابه العزيز ﴿لله مُلْكُ السموات والأرض يخلق ما يشاء يهبُ لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاءُ الذكور. أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير﴾ (الشورى:٤٩-٥٠) ومن المعلوم من هذه الآية الكريمة أن الذرية مظهر من مظاهر المنح والمنع والعطاء من الله سبحانه وتعالى للبشر وحين يمنح الله سبحانه وتعالى فهذا المنح لابد أن يعقبه شكر على عطاء الله وعند المنع لابد أن يلازم المنع الدعاء والصبر، والمنع والعطاء في الذرية كان أحد الجوانب الإنسانية في حياة الانبياء التى عايشوها وظهرت مشاعرهم وأحاسيسهم في هذا الشأن، فكانوا آباء يتحملون أعباء أبنائهم ومشقة دعوتهم.

يقول الشيخ الشعراوي في تفسيره «إن أهل الأنبياء ليسوا من جاءوا من نسلهم، إنما أهل الأنبياء هم من جاءوا على منهجهم، إذن فنسبة الأبناء للآباء من الأنبياء نسبة عمل لا نسبة دم ولا نسبة عن زواج أو إنجاب، وعاطفة الأبوة عاطفة محمودة، والحق سبحانه يشحن بها قلب الأب على قدْر حاجة البنوة، ولو لم تكن تلك العاطفة موجودة، لما تحمل أي أب أو أي أم متاعب تربية الأبناء».

نداء الرحمة

قال تعالى ﴿ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين﴾ (هود: ٤٢).

السماء تسقط أمطارا غزيرة حتى أصبح الموج كالجبال العظيمة ونوح عليه السلام بنفسية الوالد الملهوف على ابنه في أحلك اللحظات خوفا عليه يناديه يا بنى اركب معنا طلبا لنجاته وأمنه فرد الولد المغرور الذي لا يرى أبعد من تحت قدميه ﴿قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين﴾ (هود: ٤٣).

وكانت الفرصة الأخيرة للنجاة فحال الموج بين الوالد والولد فأصبح الولد من الغارقين.

وبعد الهدوء استوت السفينة على الجودي فلم تكن نفس الوالد الحاني قد هدأت بعد، فقد حاول ثانية محاولة الأب المشفق الحريص على نجاة ابنه قائلا ﴿رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين﴾ (هود: ٤٥).

يقول صاحب التحرير والتنوير «إن نداء نوح عليه السلام هذا كان بعد استواء السفينة على الجودي، نداء دعاه إليه

داعي الشفقة فأراد به نفع ابنه في الآخرة بعد اليأس من نجاته في الدنيا، فنجاة الأبناء في الدنيا والآخرة مطلب لأب واع باستمرار الحياة في الآخرة بعد الدنيا».

طلب الذرية لابد أن تصحبه أهداف تقيم الدين وتحافظ على حدوده

هبة منتظرة وفرحة مرجوة

إبراهيم خليل الله خرج مهاجرا من بلده، هاجراً الوطن والأهل ذاهبا إلى الله ﴿وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين﴾ (الصافات: ٩٩)

وبعد الهجرة يجد إبراهيم عليه السلام نفسه تتوق للذرية فيدعو ربه أن يرزقه غلاما صالحا يكون مؤمنا حقا وبداية لأهل وأسرة مؤمنة عوضا عن أهله الذين تركهم في بلده ﴿ربِ هبْ لِي مِن الصالِحِين﴾ (الصافات: ١٠٠).

وكان الدعاء بالذرية من إبراهيم عليه السلام دعاء مخصصا أن تكون ذرية صالحة، وهكذا يجب أن يكون حال كل مسلم يدعو الله عز وجل بالذرية، فعليه أن يقرنها بأن تكون صالحة، فكم من آباء تمنوا أنهم ما رزقوا بالأبناء من سوء أخلاقهم، فمن أجل الإصلاح والإعمار تطلب الذرية الصالحة، والله سبحانه مجيب الدعاء، يستجيب دعاء الداعي إذا دعاه ﴿فبشرناه بغلام حليم﴾ (الصافات: ١٠١).

قال صاحب الكشاف في البشرى: إن البشارة انطوت على ثلاثة: على أن الولد غلام ذكر، وأنه يبلغ أوان الحلم، وأنه يكون حليما. فهذا إبراهيم عليه السلام يرزق بالغلام الحليم، فيا لها من فرحة وسعادة بشرى بغلام متصف بصفات يحبها الأب إنها نعمة عظيمة من الله، وتزداد فرحة الوالد بولده حينما يشتد عوده ويبلغ السعي مع والده ويشاركه فتزداد فرحة إبراهيم عليه السلام بغلامه الحليم، حقا لقد تحققت الفرحة وزادت السعادة بإسماعيل. والآباء عادة ما يحبون أن يفدوا أولادهم من المصائب فهم فلذات الأكباد وفرحة الروح والفؤاد. ومع الفرحة العارمة بمجيء إسماعيل واكتمال السعادة ببلوغ إسماعيل السعي يأتي الاختبار العظيم.. اختبار العاطفة واختبار الطاعة والاستسلام برؤيا إبراهيم بذبح إسماعيل، فكان التسليم لأمر الله ولو كان تلميحا وليس تصريحا، كانت استجابة من شيخ كبير رزق بغلام حليم في غربة عن الأوطان، فلم يشأ إبراهيم أن يباغت إسماعيل بتحقيق أمر الله دون مشاركة من الابن الصالح ﴿فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾ (الصافات: ١٠٢).

وعند التسليم والاستسلام من الأب المحب لابنه، والطاعة من الابن الصالح ظهرت نتيجة الاختبار فجاء النداء لإبراهيم وإسماعيل بالفداء العظيم لعظمة الاختبار والنتيجة، فهي رحمة الله بعباده، فماذا يسفر الذبح والدم بعد الطاعة والاستسلام دون تهاون أو تأخير أو تضجر، ومع رحمة الأب بابنه وعاطفته العارمة إلا إن هذه العاطفة والرحمة هي أقل من رحمة الله بعباده، فهو الرحمن الرحيم، رحمن الدنيا والآخرة، فكان من عظيم نعم الله علينا أن جعل رحمته مائة ضعف من رحمة الآباء، ومهما كانت رحمة الأب بابنه فرحمة الله أعظم ومهما كان لطف الآباء بأبنائهم فلطف الله أكبر ﴿وفديناه بذبح عظيم. وتركنا عليه في الآخرين. سلام على إبراهيم. كذلك نجزي المحسنين. إنه من عبادنا المؤمنين﴾ (الصافات: ١٠٧-١١١).

وامتن الله على إبراهيم لا بإسماعيل فقط بل بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب أيضاً، وفوق ذلك قال ﴿كلا هدينا﴾ (الأنعام: ٨٤) أي أنهما كانا من أهل الهداية.

ميراث النبوة

رحمة الله بعباده الصالحين وبأنبيائه عليهم السلام عظيمة وقد تجلت في إحدى صورها في القصص القرآني، وكانت من رحمة الله سبحانه وتعالى استجابة دعاء نبي الله زكريا الرجل الكبير الذي ليس له ولد وانقطعت عنه أسباب الإنجاب فلم يجد إلا الله فناداه نداء خفيا ﴿ذكر رحمة ربك عبده زكريا. إذ نادى ربه نداء خفيا﴾ (مريم: ٢-٣).

قال بعض المفسرين: إنما أخفى دعاءه لئلا ينسب في طلب الولد إلى الرعونة لكبره.

وقال آخرون: إنما أخفاه لأنه أحب إلى الله. كما قال قتادة في هذه الآية ﴿إذ نادى ربه نداء خفيا﴾: إن الله يعلم القلب التقي ويسمع الصوت الخفي.

وقال بعض السلف: قام من الليل، عليه السلام، وقد نام أصحابه، فجعل يهتف بربه يقول خفية: يا رب، يا رب، يا رب، فقال الله: لبيك، لبيك، لبيك.

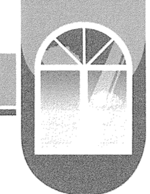
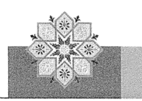
فجاء نموذج نبي الله زكريا في اللجوء إلى الله والتضرع إليه حتى ولو انقطعت الأسباب الأرضية ﴿قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا. وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرًا فهب لي من لدنك وليا﴾ (مريم: ٤-٥).

ومن المعلوم أن طلب زكريا للذرية لتثبيت منهج الله في الأرض.

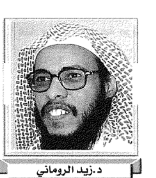
فقد قال رسول الله ﷺ كما في ابن كثير «رحم الله أخي زكريا ما كان عليه من ورثة ماله حين يقول: فهب لي من لدنك وليا، يرثني ويرث من آل يعقوب».

ويقول الشيخ سيد طنطاوي: زكريا يجتهد في الدعاء بأن يرزقه الله الولد، لا من أجل شهوة دنيوية، وإنما من أجل مصلحة الدين والخوف من تضييعه وتبديله والحرص على من يرثه في علمه ونبوته، ويكون مرضياً عنده (عز وجل).

وهكذا يتعلم الآباء أن طلب الذرية لابد أن تصحبه أهداف تقيم الدين وتحافظ على حدوده، فكم من مولود لا يعلم أبواه معنى لوجوده ولا يفطن الوليد لغاية حياته، يقول السعدي: ومن رحمة الله بعبده، أن يرزقه ولدا صالحا، جامعا لمكارم الأخلاق ومحامد الشيم.

الداعيات وتحطيم القدرات



د.زيد الروماني

إن للمرأة دوراً عظيما ووظيفة جليلة في ممارسة العمل الدعوي، بمختلف صوره وأشكاله، وذلك بما تمتاز به من قدرات وامكانات وسمات شخصية ونفسية وعاطفية.

وأهم ما تتميز به المرأة ويمكن استثماره في العمل الدعوي هو قدرتها العاطفية وسرعة استجابتها، فقد أثبتت البحوث العلمية والملاحظات الفردية أن القدرة العاطفية هي السمة الأساسية التي تتسم بها المرأة.

ويمكن توظيف واستثمار هذه السمة في مجال العمل الدعوي بين بنات جنسها، لقدرتها على التأثير والإقناع واستثارة ميولهن وعواطفهن.

ونذكر في هذا المقام بفخر واعتزاز ما قامت به أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها من دور دعوي وتحفيز ومساندة لرسول الله ﷺ، فهي، بحق، تعد الداعية الأولى في الإسلام، ولاغرو فهي أول من أسلم من النساء. وأمهات المؤمنين ونساء الصحابة التابعين نماذج رائعة للداعيات في مختلف العصور والدهور.

ونظراً لما تواجهه بعض الداعيات من مشكلات وعقبات أثناء عملهن الدعوي، فإننا نقدم إليهن هذه النصيحة ليكون لهن في رسول الله ﷺ القدوة الحسنة والأسوة الصالحة، فقد مورست سياسات تحطيم القدرات تجاهه ﷺ، من خلال الغمز واللمز والتهكم والاتهام والتحقير والأذى والملاحقة والتشهير والحصار والتجويع، ألم يوضع سلا الجزور على ظهره الشريف؟ ألم يقل له عمه تباً لك، ألهذا جمعتنا؟ ألم يوضع في طريقه الشوك؟ ألم يحاصر هو وأصحابه في الشعب؟، وهكذا كان أصحابه، فقد عانوا من تحطيم القدرات، تعذيباً وتكذيباً وتشهيراً وتحقيراً وإحباطاً وإهانة.

ولكن رسول الله ﷺ وأصحابه صبروا وكانت نيتهم خالصة لوجهه الكريم، وكان هدف الدعوة الى دين الله بالتي هي أحسن وتحمل الأذى في سبيل ذلك الغاية والمقصد.

ولقد ورد في الحديث «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، أعظم أجراً من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم» (صححه الألباني).

والنصوص الهادية والدلائل البينة والعلامات المميزة لمسيرة العمل الدعوي كثيرة، منها على سبيل المثال قوله تعالى ﴿ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾ (الأنفال:٣٠) وقوله ﴿ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله﴾ (فاطر:٤٣) وقوله ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً﴾ (الإسراء:٨١) ذلك أن الحق أحق أن يتبع.

ثم لتتذكر الداعيات مَنْ كان سبباً في إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه إنما هي أخته، الداعية المباركة التي تحملت الصفعة والكلام الغليظ والتهديد من أخيها ودعت إلى دين الله بالتي هي أحسن، فكانت سبباً بحمد الله لإسلام عمر الفاروق رضي الله عنه.

ومن هنا فإنني أقترح إنشاء جمعية تحمل اسم جمعية الدعوة النسائية (الدور النسائية، مدارس تحفيظ القرآن، المكاتب التعاونية، الجاليات، مكاتب الدعوة، جمعيات البر، جمعيات تحفيظ القرآن، الندوة العالمية للشباب الإسلامي)، وذلك من أجل تحفيز همم الداعيات وتبادل الخبرات والمساهمة الفاعلة.

وهنا أمر مهم ينبغي التنبه والتنبيه إليه، ويتمثل في أهمية وضرورة مراعاة خصوصية كل أسرة في المجتمع من حيث تقبل بعض أولياء الأمور مشاركة ابنته أو زوجته أو أخته في العمل الدعوي، إذ لدى بعض الأسر والمجتمعات عادات وطباع وسلوكيات وتقاليد وثقافة قد تمنعهم من المشاركة والمساهمة الفاعلة، ويبقى دورنا في تبيان الأسس الصحيحة والأهداف الرشيدة والآثار الحميدة لأولئك بالتي هي أحسن، ودعوتهم شخصيا للاطلاع عن كثب على الأنشطة الدعوية النسائية، وتزويدهم بالخطابات الخاصة وشكرهم وتحفيزهم لمزيد من المساهمة والمشاركة.

أما أبرز الوسائل والآليات المعينة للداعية على الاستمرار في دعوتها بنجاح فأهمها:



١- وضـع الـهـدف وسـلامـة النـيـة والإخلاص.

٢١- تحديد البرنامج الدعوي والتخطيط له بإحكام.

٣- العمل تحت مظلة رسمية.

٤- الاهتمام بفقه الأولويات.

٥- القيام بالواجبات الأسرية والدعوة الأسرية.

٦- التفقه وزيادة الوعي والفهم وتطوير الذات.

٧- الالتحاق ببعض البرامج التدريبية الدعوية.

٨- حضور بعض المحاضرات والملتقيات النسائية.

٩- المشاركة الفاعلة بين الزوجين في مجالات العمل الدعوي.

١٠- التقويم المستمر لبرامج المرأة وعملها الدعوي.

ختاماً أقول: إننا في مؤسساتنا ومحاضننا الدعوية أولى بتشجيع وتحفيز المرأة الداعية على العمل الدعوي وتوفير ما تحتاج إليه من دعم مادي ومعنوي، وإطلاق قدراتها وطاقاتها الفكرية والاجتماعية والإبداعية، مع توفير المناخ العفيف للمرأة الداعية.

إن العمل الدعوي النسائي في بلادنا يحتاج إلى جهود وقدرات وطاقات الجميع.



بيوت الثلج

رباب ربيع

الأصل أن الحياة الزوجية تسير على وتيرة واحدة، وبين هذا وذاك فترات عصيبة تمر بالحياة الزوجية، لكن يبقى الملل «فيروسا» يضرب الحياة الزوجية بعنف، وقد يصيبها في مقتل إن لم يتم علاجه بشكل صحيح، فالملل الزوجي آفة تتعرض لها العلاقة الزوجية، خاصة في ظل طول الفترة التي يرتبط فيها الطرفان، والمحصلة النهائية للواقع الأسري هي الإحساس بالملل الذي يقود إلى التعاسة الزوجية، وفي الحقيقة ليست المشكلة في الإحساس بذلك الملل الزوجي، فهذا من طبيعة الحياة، وإنما تبقى الإشكالية في عدم قدرة البعض على التغلب على هذا الملل الذي يضرب أواصر الحياة الزوجية؛ فيصل بها إلى هاوية الطلاق الصامت غالبا، بل الطلاق الصريح أحيانا.

الطريق إلى بيوت الثلج

الاعتياد والرتابة قد يقتلان الشوق إلى الزوجة في نفس الزوج، والذكي هو الساعي إلى التجديد والتغيير حتى لا تضعف العلاقات بمرور الأيام، ويبدأ الشعور بأنه فقط يؤدي واجبا لابد من أدائه، وهنا لابد من التوقف وتدبر أهمية عدم المبالغة في الحديث عن الملل في العلاقة الحميمة، فالحياة الزوجية يمكن أن تزدهر وتتجدد، ولا بأس بفترات من الملل المؤقت والعابر، أما إذا زاد الملل وأوشك أن يصبح ظاهرة، فلا مفرّ من التغيير في كل شيء حتى لا تصير بيوتنا بيوتا من ثلج. (من كتاب أسرار الزواج الناجح، نجلاء محفوظ).

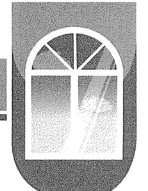
أين نحن من هذا الرقي؟

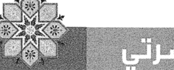
يقول الداعية جاسم المطوع: إنّ رسالةَ الإسلام هي رسالة حب، والمتتبع للآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحث المسلم على إشاعة الحب واستمراره كثيرة جدًا، ألا نذكر نبينا محمدا ﷺ حينما عاش مع السيدة خديجة- رضي الله عنها- خمسة وعشرين عامًا كلها محبة وسعادة، فلما ماتت لم ينسَ هذه السنوات واستمرَّ يذكرها بالخير ويهدي أصحابها الهدايا ويتابع أخبار صديقاتها حبًا ووفاءً لها، وفي ذلك دليل على أنّ الحب يمكن أن يستمر إلى ما بعد الخمسين، على الرغم من أن بعض الدراسات الغربية ومنها دراسة العالم الكيميائي «روبسون» أكدت أن كيمياء المخ المسيطرة على عملية الحب تظل تولد شحنات لمدة ثلاث سنوات فقط، فتعريف الحب عندنا يختلف عن تعريفه عند الغربيين، فمن قيمنا المرتبطة بالحب الإخلاص والوفاء والتضحية، بل إنَّ الأصل في الحب أن يكون في الله ولله حتى ولو كان بين الزوجين، وهذا مفهوم راق من مفاهيم الحب، ولهذا أوصانا حبيبنا محمد ﷺ بأن نرتبط بـ «الحبيبة» عندما قال «تزوجوا الولود الودود، فإني مكاثرٌ بكم الأمم يوم القيامة» (سنن أبي داود)، وذكر صفة الودود (أي الحبيبة) التي تشعُ الحب إلى حبيبها.

أفكار جديدة للتغيير

- اجعلي بيتك كل يوم كأنه بيت جديد فغيري وبدلي وانشري فيه البهجة والسرور، وداعبي الزوج ومازحيه عند عودته من عمله، وحبذا لو ذكرتِه بمزاح ولطف بتلك المواقف المضحكة التي مرت بكما في حياتكما، وقد قالوا: إذا أردت أن تنال حُب من أمامك فحدثه عما يحب لا عما تحب.
- كوني ذكية ولبقة وماهرة في إدارة الحوار بينك وبين زوجك، وليكن كل الحوار عنه وله، وعما يحب ويعشق وينجذب إليه.
- ما أجمل أن تدلليه وتلاطفيه كما كنت في سابق العهد.

يحكى أن زوجا يبلغ من العمر ٦٠ عاماً وزوجته تبلغ ٥٥ عاماً فكرا يوماً في التجديد في حياتهما الزوجية، فقال الزوج لزوجته: تعالي نتقابل اليوم في الحديقة في الساعة الحادية عشرة مساء.





أثر النعوت السلبية في شخصية الطفل

كمال عبدالمنعم

يرتكب بعض الآباء والأمهات خطأ فادحاً عندما يسهل لديهم وصف أبنائهم بأوصاف لا تليق بأي إنسان فضلاً عن أن تليق بأبنائهم، هذه الأوصاف وتلك النعوت السلبية تتزامن غالباً مع صدور سلوك غير مرغوب فيه، أو اخفاق في مهمة ما، أو عصيان لأمر من الأوامر التي تصدر لهؤلاء الأبناء.

لك أن تعلم أيها الأب الكريم وأيتها الأم الفاضلة أن الإبن- رغم نبوغة وذكائه- ربما يقتنع بأن فيه هذه الصفات السلبية التي اعتادت أذناه سماعها، وعندها يتحول من الأحسن إلى الأسوأ، ومن الذكاء والفطنة إلى الغباء والبلادة، وغير ذلك، ولعل أكثر الأوصاف والنعوت التي نسمعها من الآباء والمربين والمعلمين وصفهم الأبناء والدارسين بأنهم أغبياء، فتجد هذه الكلمات دارجة على الألسنة، بل وينادى بها الأبناء، وكلها ألفاظ لا تليق بأن ينادى بها إنسان، فهي من ناحية تحطم الأبناء بوصفهم أنهم كذا وكذا مما لايعقل من المخلوقات، ومن ناحية أخرى - وهي الأهم- تعد مخالفة شرعية يقع فيها من يرتكبونها، فالله تعالى كرم الإنسان وفضله على كثير من خلقه بهذا العقل الذي يميز به، فكيف ينعت بهذه النعوت، قال الله تعالى ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾ (الإسراء:٧٠).

إن كل بشر سواء كان صغيراً أو كبيراً، عالماً أو متعلماً، معرض للخطأ والنسيان، والنجاح والفشل، والتوفيق والإخفاق، والإحسان والإساءة، فهي طبيعته وفطرته، ولا يعصم من الخطأ إلا الأنبياء، فكيف أسم ابني بهذه السمة؟ بل وأجعلها بديلاً لاسمه في كل نداء له؟ لا شك أن هذا خطأ فادح، ومخالفة كبيرة.

إن أبناءنا - خاصة في سن الطفولة- منتظر أن يصدر من بعضهم السلوك غير المقبول، فإذا أردنا أن نقومهم فلا نعيرهم به، أو نلقبهم به، فمثلا، قد يأخذ الابن حاجة زميله في المدرسة بقصد حب تملكها لا بدافع السرقة، فإذا اكتشف الأب أو الأم أن الابن فعل هذا الفعل، تنهال عليه الشتائم، وتلقى عليه التهم بأنه لص يسرق حاجة غيره، ويلقب بأنه «حرامي» ينادى عليه بهذا الوصف في غدوه ورواحه، وكلما أخطأ خطأ، أو عصى أمراً، فهل هذا من التربية في شيء؟

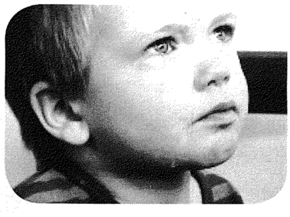
إننا إذا أردنا أن نقوم سلوكاً مثل فلنجلس معه وبهدوء نسأله عن سبب أخذه لحاجة غيره، فربما يستعملها بإذن صاحبها أو نسيها في حقيبته، وربما أعطاها له زميله في الفصل، وربما أحبها وأراد أن يتملكها فلم يجد وسيلة إلا هذه الوسيلة، وبعد أن نتعرف على سبب أخذه لهذا الشيء، نعرفه بأن هذا سلوك لا يليق، وأن الله يراه ومطلع عليه، وأن أخذه لحاجة غيره أمر يبغضه الله ورسوله، وأن عقاب من يفعل ذلك أليم، ثم ننصحه بأن يفصح عن رغباته في تملك مايريد، وتحقيق ما يمكن تحقيقه له من رغبات، وصرفه بالحسنى عن رغباته التي لا يمكن تحقيقها.

كذلك إذا فشل مرة في اختبار مادة دراسية ما فلا نتهمه بالغباء والفشل، وأنه كذا وكذا، لأن نجاح الطالب أو فشله في مادة ما يتوقف على عوامل كثيرة، ربما لا يكون للطالب دخل في كثير منها، فلا يصح أن أجعل من فشله عنوانا له في كل أموره، أعيره به، وأصفه به بين أقرانه، وأحكيه للزوار من الأصدقاء والجيران، وكل هذا يربي لدى الطفل عقدة من هذه المادة، وربما من التعليم كله، فأكون قد جنيت عليه بدلاً من الوقوف بجواره.

إن من الواجب على الوالدين المربين ان يقتربوا من الأبناء، ويتعرفوا على أساليب تقصيرهم الدراسي، ويحاولوا حل المشكلات التي تحول دون تحصيلهم لتلك المادة وغيرها من المواد، وهذا خير من الاكتفاء بالنعوت السلبية والاتهامات المتكررة التي - لاشك- سيكون مردودها سيئاً على هؤلاء الأبناء حاضرا ومستقبلا.

وإذا كذب الابن مرة فيجب نصحه وتحذيره من عاقبة الكذب، وتبغيض هذا الفعل إليه، حتى لا يعود إليه مرة اخرى، وليكن شعارك أيها المربي الفاضل «يابني» هذه الكلمة التي لها فعل السحر في قلوب الأبناء، فقد استعملها نبي الله إبراهيم حينما أراد أن ينفذ أمر ربه له بذبح ابنه إسماعيل فقال له ﴿يابني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى﴾، فكان الرد من الابن البار ﴿قال يا أبت أفعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾ (الصافات: ١٠٢)، واستعملها لقمان عليه السلام حينما أراد النصح والتوجيه لابنه قائلا ﴿يابني لا تشرك بالله... يا بني إنها إن تك مثقال حبه... يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾ (لقمان: ١٣-١٩).

فحذار أيها الآباء والمربون من النعوت السلبية للأبناء، لأنها لا تقوم سلوكاً ولا تربي شخصية سوية.



حديث القرآن عن الزواج



وصفي عاشور أبوزيد

تحتل الأم مكانة مهمة وأساسية في التربية باعتبارها الدائرة الأولى من دوائر التنشئة الاجتماعية، وهي التي تغرس لدى الطفل المعايير التي يحكم من خلالها على ما يتلقاه فيما بعد من سائر المؤسسات في المجتمع، فهو حينما يغدو إلى المدرسة ينظر إلى أستاذه نظرةً من خلال ما تلقاه في البيت من تربية، وهو يختار زملاءه في المدرسة من خلال ما نشأته عليه أسرته، ويقيِّم ما يسمع وما يرى من مواقف تقابله في الحياة، من خلال ما غرسته لديه الأسرة، وهنا يكمن دور الأسرة وأهميتها وخطرها في الميدان التربوي.

وقد وجدت في القرآن مذاقا خاصا وطعما حلوا ومعاني متفردة حين تحدث عن الزواج، ذلك الرباط الوثيق والميثاق الغليظ، وتلك العلاقة العجيبة.. فكيف تحدث القرآن عنها؟

١- الزواج آية من آيات الله تستحق التفكر، قال تعالى ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة...﴾ (الروم: ٢١)، فهل هناك أسمى من أن يجعل الله الزواج آية من آياته تستحق التفكر والتدبر والتأمل لما فيها من عجائب وغرائب يلحظها كل سليم الفطرة عميق الفكر بعيد النظر؟! أما أصحاب الفطر المطموسة المنكوسة فليسوا من ذلك في شيء؛ ولهذا ختمت الآية بقوله تعالى ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾.

٢- الزوجة مخلوقة من نفس الزوج، كما في آية سورة الروم السابقة ﴿من أنفسكم﴾ وكما في قوله تعالى ﴿يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها...﴾ (النساء: ١) وقوله ﴿وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة...﴾ (الأنعام: ٩٨) فانظر إلى دلالة: ﴿منها﴾ فهي توحي بأن الزوجة جزء من الزوج، والزوج جزء من الزوجة، فكأن الأصل أن هذه العلاقة غير قابلة للانفصال إلا إذا انفصل الجزء عن الكل، أو انبتر العضو من البدن، وهو ما لا يتصور إلا بمرض خبيث، نسأل الله العافية.

وأيضا فيها دلالة أخرى، وهي أن المرأة من طينة الرجل، فيها ما فيه من ضعف ونقص وخطأ، فلا ينبغي أن يفترض فيها الكمال، والأمر كذلك بالنسبة له، إنهما من الطينة نفسها.

٣- الزواج سكن للزوجين، كما في قوله تعالى ﴿... وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾ (الأعراف: ١٨٩) وقوله ﴿خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها﴾ (الروم: ٢١) وجعل هذا من آيات الله تعالى، وهذا محسوس ومشاهد في الحياة العملية للأزواج الأسوياء.

وفي كون الزواج سكنا للطرفين يجعل كلا منهما متمسكا بهذا السكن، وهل يفرط في السكن عاقل أو سوي؟! إضافة إلى ما في بنية الكلمة ﴿لتسكنوا﴾ من راحة وروح واطمئنان وهدوء تسكبها في النفس حروف الهمس في الكلمة.

٤- المودة والرحمة بين الزوجين فعل إلهي، قال تعالى ﴿وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ (الروم: ٢١) وما دلالة هذا؟

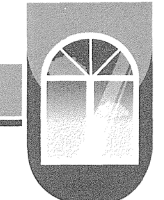
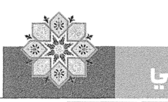
إن من دلالاته أن الله تعالى يريد لهذه العلاقة أن تقوم، وأن تستمر: سكنا للزوج، وسكنا للزوجة، ورحمة ومودة متبادلة، ومراعاة للحقوق، وتحقيقا للوفاء.

٥- الزوج لباس للزوجة والزوجة لباس للزوج، قال تعالى ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾ (البقرة: ١٨٧) هل في هذا التعبير من جمال أو فوائد؟! الجواب: نعم، بلا شك، فهو تعبير يوحي بأن كلا منهما حريص على الآخر كما يحرص المرء على لباسه، ولنا أن نسأل هنا: ما وظيفة اللباس؟ إذا تدبرنا وجدنا أن وظيفته تتلخص في ثلاثة أمور: الحماية، والستر، وإبراز الحسن. فكأن القرآن يريد أن يقول لنا: إن الرجل حماية لزوجته من الرياح الهوج، ومن أتربة الحياة، وزعازع الدهر، وأنواء الزمان، وكذلك المرأة حماية لزوجها في أسراره وماله وأولاده وعرضه وشرفه، وإن كلا منهما يجب أن يكون سترا على الآخر، فلا يبرز عيوبه إلا على سبيل الإصلاح والتجويد والتحسين، لا من باب التشهير والتجريح والإساءة، فإن هذا يتعارض مع هذا التعبير اللطيف.

٦- الزوجات حرث للأزواج، قال تعالى ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم...﴾ (البقرة: ٢٢٣) فكلمة الحرث تجعل الزواج رمزا للنماء والبركة لا وسيلة للفقر كما يصوره المفلسون، وهو معنى صرح به القرآن، واستخدام القرآن لكلمة الحرث تعبيرا عن الزواج استخدام بديع غير مسبوق، يجعل الخير المتوقع من الزواج كالخير المنتظر من الأرض التي لا قوام للحياة إلا بما تخرجه من زرع.

٧- الزواج ميثاق غليظ، قال تعالى ﴿وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا، وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا﴾ (النساء: ٢٠-٢١).

ولم أجد في الإسلام عقدا سمي ميثاقا، ثم وصفته النصوص بأنه غليظ سوى ميثاق الزواج، وكان كافيا أن يصف القرآن عقد الزواج بأنه ميثاق وعهد، فالميثاق كلمة فيها من القوة والتشابك ما يحول بينها وبين التفكك أو التحلل.

المسنون والتكيف الاجتماعي

لينة أحمد جليط

أوجب الإسلام على الأولاد بر الوالدين والإحسان إليهم ورسخه في نفوس المجتمع، فكبار السن هم آباؤنا وأجدادنا، وقد حرص الإسلام على تكريمهم واحترامهم والعناية بهم، والتركيز على ذلك يساعد في الوقاية من بعض المشاكل النفسية للكبير. ولاشك أن رعاية المسنين مسؤولية مشتركة بين أفراد المجتمع، والإنسان في مرحلة الشيخوخة بين الضعف والوهن والعناية به مظهر من مظاهر التكافل الاجتماعي في الإسلام. قال تعالى ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريما. واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾ (الإسراء: ٢٣- ٢٤) وفي الثقافة الإسلامية أعطى الإسلام نماذج لقدرة المسنين على العطاء ولم يربط ذلك بسن معينة، فلقد أشار القرآن الكريم إلى أنبياء تقدمت بهم السن كإبراهيم وزكريا ونوح عليهم السلام، وأشار التاريخ لعدد من الصحابة الذين ظلوا في حالة عطاء حتى آخر لحظة أمثال أنس بن مالك وأسماء بنت أبي بكر وغيرهما، ومما يؤثر في نفوسنا جميعا اعتماد بعض الأسر على المؤسسات الاجتماعية لرعاية المسنين من أفراد الأسرة، وقد يكون هذا البديل مفيدا لبعضهم إلا انه مؤلم للغاية بالنسبة للمسنين الذين ما زالوا يتمتعون بقدرات عقلية عالية مع أن كل ما يحتاج إليه المسنون هو فقط دليل حب من أولادهم واهتمام وإخلاص، فبين دار العجزة والدفء الأسري مسافات تحزن المسن، فهل هذه الدار المكافأة المنتظرة بعد رحلة الشقاء وفناء العمر؟

وقد نصت المادة (٢٥) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على أنه «لكل إنسان الحق في مستوى معيشي ملائم لصحته ورفاهية أسرته، بما في ذلك المأكل والملبس والمسكن، والرعاية الطبية والخدمات الاجتماعية الضرورية، والحق في الأمان عندما يتقدم به السن» وتأكيدا على تغير النظرة للمسنين وما شابها من مفاهيم مغلوطة، من تلازم الإقعاد والمرض والاعتماد على الغير ومن تقدم العمر وعدم قدرة المسنين على التعلم أو العمل وظهور مفاهيم جديدة تؤكد على النظرة الإيجابية لهم وإلى قدرة المسنين على المشاركة النشطة في مجتمع من شتى الأعمار وأنهم شركاء في التنمية ومساهمون نشطاء فيها ومستفيدون منها، وأنه ينبغي النظر للشيخوخة على أنها ليست حالة من المرض والعجز وإنما هي حالة من الصحة واللياقة، ولأن الكائن البشري ينمو جسميا ونفسيا وعقليا عبر مراحل مختلفة لكل منها ما يميزها عن غيرها، كانت أوجه ومجالات الرعاية الاجتماعية متنوعة الأشكال والأساليب تبعا لخصائص كل مرحلة، فهناك الرعاية الاجتماعية المقدمة لفئة الشباب، وهناك الرعاية الاجتماعية المقدمة للأسرة، وهناك الرعاية الاجتماعية المقدمة لكبار السن.



وقد كان من حكمة الخالق سبحانه وتعالى أن جعل الإنسان يمر بمراحل متعددة، فيبدأ وليدا ضعيفا ثم شابا قويا وأخيرا شيخا ضعيفا قال تعالى ﴿الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير﴾ (الروم: ٥٤).

ولابد من معرفة أهم جوانب حياة المسن ومميزاتها، فالحياة النفسية للمسن كما يراها د.محمد أيمن محمد خير عرقسوسي استشاري ورئيس قسم الصحة النفسية هي:

١- قد تمتد فترة الشيخوخة عشرات السنين ولذلك أثره في حياة الفرد ومن حوله من معارف وأصدقاء وأهل، فقد روي أن رجلا قال: «يا رسول الله ﷺ أي الناس

خير؟ قال: من طال عمره وحسن عمله. قال: فأي الناس شر؟ قال: من طال عمره وساء عمله» (رواه الترمذي).

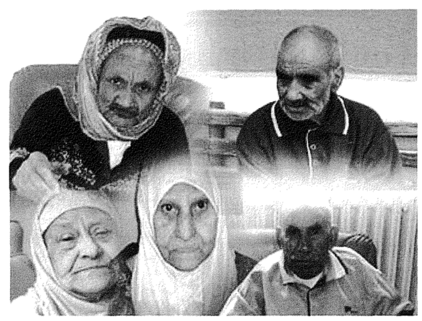
٢- يعاني المسن من ضعف جسمي عام في الإحساس والعضلات والعظام والنشاط الجسمي الداخلي (هضمي وبولي ودموي وجلدي) وضعف عام في النظر، وبدء ظهور الترهلات وأعراض الشيخوخة هذه تظهر على كل إنسان.

٣- نضوج علمي وغزارة وثراء فكري، حيث إن أكابر العلماء خير إنتاجهم الفكري في هذه المرحلة (ما بعد الستين) ويكون لدى المسن أيضا ثراء شخصي بالخبرة الذاتية مع الآخرين حيث يفهم الحياة فهما واقعيا ويدرك الحياة بعيدا عن الخيال وبواقعية عملية، حيث إن سن الستين الذي حددته الحكومات والمؤسسات ليكون سنا للشيخوخة أو سنا للمعاش هو في واقع الحياة وخبراتها يختلف عن ذلك، إذ هناك أشياء كثيرة تؤثر في سن الشخص فنجد بعض الناس ربما يكون مسنا وهو لم يتجاوز ٣٥ سنة وهناك البعض الآخر يعيش حياة منتجة وبناءة بعد مجاوزة المائة عام، ففي بعض الأماكن لا يحدد الشخص عمره بالسنين التي عاشها بل بما أنجزه من أعمال.

٤- معاناة صحية في تناوب مع المتاعب المرضية، ويتطلب ذلك عناية صحية متواصلة ودقيقة.

٥- صلابة نفسية واجتماعية في الاتجاهات، يصعب معها التكيف والتوافق النفسي للمسن مع مستجدات الحياة وما تتطلبه من علاقات وأنماط سلوكية جديدة مع عدة أجيال مما يجعله يعاني من صعوبات التوافق الضروري للحياة الهادئة. قال تعالى (ومن نعمره ننكسه في الخلق أفلا يعقلون((يس: ٦٨).

٦- يرى المسن نفسه إما متخوفا من الوصول للشيخوخة أو منكرا لها ولا يعطي لها بالا في تصرفاته، وكلما تقدم به السن ازداد شعوره بالعجز، ويحدث ذلك في المجتمعات الغربية حيث يرى المسن نفسه قد وصل لمرحلة سلبية في حياته، وذلك نتيجة لطبيعة العلاقات الاجتماعية المفككة.



وإذا كانت هذه هي ميزات المسنين فإن لديهم بعض المشكلات التي يجب مراعاتها، والمشكلات نفسها متنوعة منها البسيط العابر أو الطارئ الذي يزول بالعلاج.

■ والمشكلات يمكن أن تكون انفعالية ووجدانية كالشعور بالفشل أو الإحباط مما يؤدي إلى أن تغلب على هؤلاء روح التشاؤم، وقد يصل ببعضهم إلى الشك بأقرب المقربين إليهم، ويكون سلوكهم متسماً بالشك والحذر والحساسية والتأثر الانفعالي.

■ وهناك مشكلات ذهنية فكرية، وذلك نتيجة لضعف الحواس وضعف الانتباه وعدم القدرة على التركيز، مما يضعف المدركات بالإضافة إلى ضيق الاهتمام وإلى ضعف الذاكرة وتشتتها وسرعة النسيان مما يجعل الفرد يتمركز بشكل محوري في تفكيره حول شيء مما يبدو شبيها بالوسوسة أو الهلوسة، قال تعالى ﴿... ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ...﴾ (الحج: ٥).

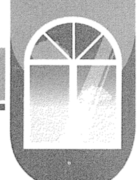
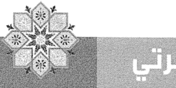
■ وأما المشكلات الصحية فإن أمراض الشيخوخة تعتبر أكثر خطورة؛ لضعف مقاومة الجسم لدى المسن وشدة تأثره وضعفه مما يقلل فرص إجراء جراحات ضرورية لصحته.

■ وهناك مشكلات اقتصادية يعاني منها المسنون لنقص مواردهم المالية، ولضعف الأداء لديهم، أو للتقاعد، أو لترك العمل، وهذا في حد ذاته مشكلة نفسية واجتماعية وصحية واقتصادية بأبعادها المؤثرة والمتأثرة.

■ وأما المشكلات الاجتماعية فإن ازدياد العمر يقلل من الأصدقاء بسبب تفرقهم إما بالبعد أو الوفاة أو السفر، وكذلك الأولاد لانشغالهم بشؤون الحياة، وأما شريك الحياة فقد يُتوفى، وبالتالي يظل المسن يعاني من الوحدة وآثارها النفسية، وهناك عدد غير قليل من المسنين يعاني من الصلابة الاجتماعية لصعوبة تكيفه وتبنيه لأنماط جديدة في السلوك والتفكير.

ولكل هذه المشكلات طرق للوقاية والعلاج، وهو ما سبق إليه الإسلام بوضع الإجراءات الوقائية من مشكلات الشيخوخة وأولاها بالاهتمام ما قاله رسول الله ﷺ «اغتنم خمساً قبل خمس حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك» (البيهقي).

ومما سبق يتضح أهمية التعاون بين الأسرة والمجتمع وأجهزة الإعلام، فرعاية المسن وحمايته مسؤولية اجتماعية مشتركة.

عندما يكون الزواج من أجل راتب الزوجة!

سميرة بنصديق



جعل الله الزواج سكنا ومودة ورحمة، يستظل بظلاله الرجل والمرأة وفق عقد شرعي يجمع بينهما من أجل إنشاء أسرة تستجيب لتعاليم الإسلام السمحة وتوجهاته السامية من أجل المساهمة في الحفاظ على قوام المجتمع الإسلامي الذي تشكل الأسرة المسلمة لبناته وعناصر لحمته.

ومما لاشك فيه أن الشروط المطلوبة في الزواج الإسلامي الفاضل والخصائص التي ذكرها القرآن والسنة النبوية لا تلتفت إلى الموارد المادية التي تكفل التمويل الكافي لمتطلبات الأسرة وحاجياتها إلا في حدود الحديث عن قوامة الرجل الذي يدخل في إطارها قدرة الزوج على الإنفاق، لكن هذه الأيام وفي ظل الأزمة الاقتصادية التي غشت جميع دول العالم ومن ضمنها الدول الإسلامية وفي ظل الغلاء الفاحش الذي أصاب كل الموارد والمنتجات الضرورية أصبح الشبان ينظرون إلى الزواج بريبة وتوجس وكأنه عقبة كؤود لا يمكن تجاوزها إلا برفقة زوجة موظفة تقاسمه بفضل راتبها مصاعب الحياة الزوجية وضروراتها.

وهكذا يبدو انحراف بعض المقبلين على الزواج حيث راحوا يبحثون عن زوجات أبرز ما يتميزن به كونهن موظفات، فتغدو بذلك الحياة الأسرية حياة مادية مؤسسة على طمع الزوج في راتب الزوجة وقائمة على المصلحة الدنيوية، حيث يتحول عقد الزواج الذي يفترض أن يكون مبنيا على المودة والرحمة والمحبة إلى عقد تجاري مبني على مصالح مادية، وأذكر في هذا السياق أنه طلب مني مرة التوسط لأحد الأشخاص من أجل البحث عن أستاذة جامعية حيث تم التأكيد على وظيفتها بالجامعة دون غيرها من الشروط والمواصفات.

وإذا كان الرسول ﷺ قد أكد في الحديث النبوي الشريف أن المرأة تنكح لأربع لحسبها ومالها ودينها وجمالها فقد حض وحث على اختيار ذات الدين ولم ينصح بذات المال، لأن تدين المرأة وصلاحها هو أساس نجاح الأسرة وبركتها، أما مال المرأة أو وظيفتها فقد يكون أحيانا وبالا على مستقبل الأسرة وسببا في تفككها وحدوث مشاكل، خاصة عندما ينظر الزوج إلى زوجته الموظفة وكأنها بقرة حلوب تدر على الأسرة موردا ماليا ذا بال دون أن يكون للزوجة أحيانا أدنى حق في مالها الذي اكتسبته يداها ناسيا أو متناسيا أن قوامة الرجل في بيته تفرض عليه الإنفاق على زوجته ولا تسمح له بالاستعانة براتبها إلا في حدود رضاها وأريحيتها.

وإذا كان بعض الفقهاء قد اختلفوا في مسألة عمل المرأة خارج بيتها وحصولها على راتب مادي مقابل تفريطها النسبي في رعاية المنزل والأبناء، فإن الذين يرون أن الأمر يترتب عليه مساهمتها المادية في نفقات الأسرة لا يميلون إلى اشتراط وإلزام الزوج زوجته بدفع قسط من راتبها، لأن موافقته لها بالخروج للعمل هي في مقام الهبة منه، إلا أن تكون موافقة مشروطة.

وإذا كنا لا نناقش مسألة عمل المرأة سواء حصل قبل الزواج أو بعده فإن الذي يلزم التأكيد عليه أن الحياة الأسرية ليست شركة تجارية يتم التفاوض من خلالها بين الزوجين بشأن الموارد المالية لكل منهما أو مجالا لأن يشترط الزوج كون زوجته موظفة.

إن الإنسان السوي الذي يقبل على الزواج ينبغي أن لا يستسيغ الخلط بين مفهوم وظيفة البيت للمرأة ومفهوم وظيفتها خارج البيت، إذ يعلم الجميع أن البيت هو الحرم الذي تصنع فيه فضائل الحياة كلها، فإذا ما تسلطت المقاييس والنزعات المادية على هذا الحرم تضاءلت مهمته وقد تنتهي أحيانا عندما تكون وظيفة الزوجة سببا في ضياع الأبناء وتعرضهم للخلل الاجتماعي.

ختاما يكفي أن ننظر من حولنا إلى أزواج تزوجوا من أجل وظائف زوجاتهم وبنية الاستفادة من رواتبهن هل استطاعوا بلوغ آمالهم؟ أم أنهم نكسوا في ظل مشاكل ونزاعات أسرية لا تكاد تنتهي يكون سببها التنازع المستمر بشأن راتب المرأة؟

معًا لحياة أفضل

بإشراف: د.سعاد البشر - استشارية تربوية نفسية

نتواصل معًا لمناقشة القواسم المشتركة في حياتنا الاجتماعية على البريد الالكتروني suad119@hotmail.com

١- سيدة في الخمسين من عمرها، تعيش حياة سعيدة مستقرة مع أبنائها وبناتها وزوجها، لها حياة وظيفية ناجحة، كونت خلال سنوات عملها مبلغا من المال ليكون لها ولأسرتها سندا في المستقبل ولمواجهة أي ظرف طارئ، كبر الأبناء وتزوجت البنات وذهب الأولاد بحثا عن عمل ودراسة، فانشغل الكل عنها وبقيت وحيدة، عانت الوحدة والفراغ، وفقدت بعدها زوجها فأصبحت وحيدة حزينة لا أنيس ولا رفيق، وبعد انقضاء فترة العدة قامت تتردد على جارتها الصغيرة التي تقارب ابنتها بالعمر فأحبتها كثيرا وأصبحت لها كالأم وكان زوجها مثالا للأخلاق الرفيعة، فكان يتعامل معها بكل احترام وتقدير، وأطفالهم كانوا يسعدون بقدومها وكأنها جدتهم، بدأت تستعيد حيويتها ونشاطاتها وأحست بأن الحياة دبت في عروقها مرة أخرى، وبعد فترة، طلب منها زوج جارتها مبلغا من المال بعد أن عرف الكثير عن أسرارها وعلاقتها شبه المقطوعة بأبنائها، وفعلا أقرضته ما يقارب ٢٠ ألف دولار، على أن يدخل في تجارة وتكون هي شريكة معه، غير أن كل ذلك تم من دون توثيق أو كتاب رسمي، مرت الأيام والشهور وبدأ زوج الجارة يتهرب من مقابلة هذه السيدة حتى لا تفتح معه موضوع التجارة والمال الذي أقرضته، أحست هذه السيدة المسكينة بأنها استغلت وأن هذه العائلة لم تكن تحبها ولم تفتح بيتها لها إلا لنقودها، تقول: أخاف أن اكرر طلبي لزوج جارتي فأخسر هذه العائلة التي تعلقت بها كثيرا، وفي نفس الوقت اشعر بالاستغلال ودنو الذات بسبب عدم قدرتي على المواجهة.

الإجابة: طبيعي أنك تشعرين بالضياع والضيق، خصوصا أن الأمر لا يعلم به أحد، واعلمي بأن شعور الفرد بالظلم أو سوء الاستغلال من الآخرين أقسى على النفس من أي شيء آخر، أنت حاولت تعويض حياتك السابقة بعد ابتعاد الأبناء وفقدان الزوج بهذه العائلة التي وجدت نفسك معهم، وبعد فترة وجيزة حصل ما حصل من اقتراض للمال ثم الشعور بالخيانة وبان هذا الجار لن يعيد المبلغ، إضافة إلى انك لا تريدين فقدان صلة التواصل بينك وبينهم خوفا من «الزعل» أو من البقاء لوحدك والعودة للعزلة التي كنت فيها سابقا، ولكن الصراع الذي داخلك يقتلك، غير أننا مسلمون ويجب علينا اتباع ما أنزل علينا في القرآن، حاولي أن تستعيدي قواك ونشاطك وتتفاءلي بالخير. ثانيا، أعيدي الصلة بأبنائك وبادري بذلك، وتأكدي أن الخير سيأتي وان الله سيكون معك. ثالثا، استضيفي جارك في بيتك بعد أن تقومي بكتابة نسخة من كتاب الدين بالمبلغ والتوقيع كما جاء بالآية السابقة، وقولي له: أنا أقرضتك مبلغا لتقوم بتجارة رابحة نستفيد منها وحددت انت فترة زمنية ولم أر شيئا، فأنا اليوم أشكرك على كل شيء، ولأنني احبك وأقدرك فأرجو منك أن توقع على هذه الورقة، كذلك قولي له: أنا أريد فض الشراكة وأريد استرجاع نقودي وسوف أعطيك مهلة ستة شهور إضافية وأريد منك أن تعيد نقودي ولو بالأقساط، فإن وقع على الورقة فهو بذلك سيزيد من ثقتك فيه وسيطمئنك، وإن رفض فحاولي معه مرة أخرى وبطريقة أكثر حزما ورفقا في الوقت نفسه، وإن شاء الله بعدها ستنزاح عنك هموم الظلم والاستغلال.

ثم بعد ذلك قنني زيارتك لهم ولا تقطعيهم، واسألي الله أن يعينك، وعليك بالدعاء ولعل الله يحدث بعد ذلك أمرا.

٢- آنسة في الخامسة والعشرين من عمرها، غير محجبة ولكنها ملتزمة بالصلاة والصيام كما أنها تذهب للعمرة كثيرا، تعاني من كثرة الوضوء وتقول: أنا أريد أن يكون وضوئي متميزا وصحيحا مائة بالمائة، كما أتمنى أن يقبله الله مني، وهذا الخوف من عدم قبول وضوئي يجعلني أكون دقيقة جدا وهذا الأمر يأخذ مني وقتا طويلا يستغرق تقريبا أكثر من ساعتين لكل صلاة مما جعلني أحاول الاحتفاظ بوضوئي لأكثر من صلاة فلم أعد أشرب أو آكل شيئا ففقدت وزنا كثيرا، تقول: دكتورة أنا تعبانة جدا، أنا أكرر الوضوء وأحيانا أخرج من الحمام وأعود لأنني أعتقد أنني نسيت أن أغسل رأسي، فكيف أعمل؟

الإجابة: تعاني هذه الآنسة من اضطراب الوسواس القهري في الوضوء فقط، واعتقادها أن وضوءها لن يقبل إن لم يكن صحيحا سبب لها هاجس الاستطالة وقضاء وقت طويل حتى تتم العمل على أكمل وجه، على الرغم من أنها تعلم بأنها لو غسلت كل عضو مرة واحده لأجزأ ذلك عنها.

ما تم معها محاولة إقناعها بأن قبول ورفض الوضوء ليس مهمتها ولكنه بيد الله، فالعبد يعمل ما تعلمه وما وصل إليه من الكتاب والسنة والباقي على الله، وأن الدين يسر وليس عسرا، وقد طلبت منها الآتي: إحضار ساعة منبه وتحديد وقت الوضوء ومن ثم تقليل الوقت شيئا فشيئا إلى أن يصبح كل الوقت الذي تستغرقه في الوضوء دقيقتين فقط، وأن عليها أن تغسل العضو مرة واحدة ذهابا وإيابا وليس تكرارا، وأن عليها عدم الرجوع للوراء مهما حصل، وقد قلت لها: إن خرجت من الحمام وشعرت بأنك لم تغسلي رأسك فلا تعودي أبدا، فأنت بحاجة لعدم طاعة الوسوسة ومحاولة بترها، ولكن إن أطعت الفكرة وقمت بالغسل فانك لن تنتهي أبدا، كرري ما قلت لك والتزمي وإن شاء الله سيتغير حالك.

التقدم العلمي وتداعياته السلبية على صحة الإنسان

د.محيي الدين عبدالحليم

أسفرت الإنجازات العلمية التي تحققت أخيراً عن العديد من المخاطر الأخلاقية والاختلالات الاجتماعية والتداعيات السلبية، أي أن النتائج التي أفرزتها هذه الانجازات لم تقتصر على النتائج التي حققتها، ولكن تأثيراتها اصبحت تلعب دورا فاعلا في تشكيل مجمل الحياة المعاصرة، وتسهم في بناء حضارة إنسانية مختلفة، وهذا يعني أنه لابد من وضع حد لتلافي الانفلات في مجال البحوث العلمية، والالتزام بمواثيق الشرف وقوانين السماء للوقوف في وجه هؤلاء الذين ينادون بتمجيد العقل الإنساني، فهو المرجع الأساسي لتنظيم السلوك والأخلاق، فهو الذي ابتكر الانتصارات العلمية، وهؤلاء يتنكرون لأية أفكار من صنع الله، فيرتكبون بذلك الفواحش وينتهكون الحرمات.

وقد ظهر في العقدين الأخيرين مصطلح «التلوث الإلكتروني» إنعكاساً لما يشهده العالم بفعل الثورة العلمية الحديثة لاسيما في حقل المعلومات والاتصالات، والهواتف النقالة وأجهزة الميكروويف الى الحد الذي جعل من مكونات هذه الأجهزة مصدراً مؤكداً للأخطار، وهذه الأجهزة يتم انتاجها بصورة يومية وبكميات خيالية، حيث تتحول بعد ذلك الى نفايات الكترونية تضر بالبيئة وبصحة الإنسان، ويكفي أن نعرف أن عدد الحواسيب الشخصية التي يتم انتاجها قد تجاوز المليون ونصف المليون حاسوب، وكذلك أجهزة الفاكس أو الهواتف التي لم يتم دفنها في مطامير النفايات العادية.

كما يتم استخدام المواد السامة في صناعة الإلكترونيات مما يضر بصحة المقيمين بالقرب من مراكز صناعتها وكذلك العاملين فيها، ولايزال استخدام مادة الرصاص ومواد أخرى غير نظيفة قائماً في مجال صناعة الحاسبات، كما يتم استخدام الكروم المعروف بتأثيره السام، اضافة الى استخدام النحاس والنيكل والزرنيخ والانتيمون والمنجنيز في عملية التصنيع، وقد تبين أن الحاسوب يتألف من نحو ١٠٠٠ مادة مختلفة، حيث تحتوي شريحة الذاكرة وحدها على أكثر من ٣٥٠ مادة لها تأثيرات سامة قد تؤدي الى الإصابة بالسرطان.

وقد كشفت البيانات الاحصائية ان الدول الصناعية الكبرى تتخلص من هذه النفايات الالكترونية بتصديرها لدول العالم الثالث بثمن بخس بدعوي مساعدتها في التنمية، لأن قوانين الدول الصناعية المتقدمة تمنع التخلص العشوائي منها أو تركها حتى لا تحدث أضراراً بيئية، وبهذا تحولت دول العالم الثالث الى مقبرة للفضلات الالكترونية، مما دفع الحكومة الهندية الى اصدار قرار يحظر استخدام هذه الفضلات.

وقد كشفت إحدى الجامعات الأميركية في احصائية لها مؤخراً أن الشركات الأميركية تتخلص من حوالي ٥٠ مليون جهاز حاسوب قديم سنوياً عن طريق تصديرها الى دول آسيوية، وما يزيد من خطورة هذه الظاهرة عدم وجود قوانين تحمي العاملين في هذا المجال من النفايات النووية التي تظهر آثارها على المدى البعيد، ففي دراسة أجرتها «شبكة بازل» ظهر أن ما لا يقل عن مائة ألف حاسوب تدخل شهرياً ميناء لاجوس النيجيري، وأجهزة أخرى لا تعمل تحولت إلى قمامة إلكترونية.

وتشير نتائج الأبحاث الجارية في مجال الموجات الكهرومغناطيسية الى التأثير السيء لهذه الأبحاث على صحة الإنسان وخاصة ما يتعلق منها بعمل مخ الانسان وأداء الجهاز العصبي، حيث كشف عدد من الدراسات التي أجريت على الإنسان عن وجود آثار ضارة على معدلات ضربات القلب، كما كشفت هذه الدراسات كذلك عن التأثيرات الخطيرة على صحة الإنسان والناجمة عن أشعة الميكروويف والتي تظهر أعراضها في صورة صداع وأرق وقلق نفسي وعدم قدرة على التركيز وشعور بالإعياء، كما ثبت أن التعرض لأشعة الميكروويف تؤدي إلى إصابة العين بالمياه البيضاء (كتراكت) إذا تعرضت لهذه الأشعة بكثافة عالية، ونبهت بعض الأبحاث الى مخاطر إصابة الحمض النووي أو الدماغ أو العصب السمعي بالسرطان.

وهكذا تؤكد لنا الأبحاث العلمية الحديثة خطورة الإكثار من استخدام أجهزة الاتصالات اللاسلكية



والموجات الكهرومغناطيسية الناجمة عن الأجهزة الإلكترونية والكهربائية المنتشرة في الأحياء السكنية، وهذا يعني أن صناعة التقنيات الإلكترونية والكهربائية الحديثة بعيدة كل البعد عن الصورة النظيفة التي تحاول أن ترسمها لنا، مما يتطلب ضرورة اتخاذ التدابير اللازمة لإيجاد حلول تضع حدا لهذه الأخطار التي تجلبها هذه الأجهزة ونفاياتها وإشعاعاتها علينا، وهذا يوضح أهمية الدور الذي يجب أن تضطلع به الأجهزة التعليمية والثقافية والإعلامية والاجتماعية لتوعية المواطنين في الوطن العربي بهذه المخاطر للعمل على تجنب الأضرار الناجمة عنها، لأن المرء عدو لما يجهله.

وقد أفادت الدراسة التي أجرتها الدكتورة حنان فتحي من جامعة القاهرة أن استجابة الفرد لأضرار التكنولوجيا الحديثة تزداد مع تزايد تعرضه للإشعاعات الكهرومغناطيسية، وتتسبب في الاختلال الوظيفي والتركيبي لخلايا الجسم الحي مما قد يترتب على ذلك استحداث أورام سرطانية وتشوهات خلقية وأمراض وراثية تظهر في الأجيال التالية.

وقد حددت اللجان الدولية الحد الأقصى للتعرض للإشعاع الكهرومغناطيسي عند الأطفال في المدارس والنوادي ورياض الأطفال، حيث اوضحت الدراسات العلمية في هذا الصدد أن الاطفال لديهم معدلات امتصاص لتلك الإشاعات بمعدل يفوق الكبار، وفي تقرير لمنظمة الصحة العالمية W. H. O أفاد باحتمال تزايد اللوكيميا عند تعرض الأطفال لمجالات كهرومغناطيسية مما يستوجب الأخذ بمبدأ الوقاية والتجنب الحذر product avoidance، وهو ما يعني اتخاذ اجراءات يمكن تحقيقها بسهولة وبتكلفة منخفضة وذلك درءاً لخطر محقق، والعمل على تقليل المخاطر المفترض وجودها عن طريق توعيته الجماهير للإقلال بقدر الإمكان من استعمال بعض الأجهزة الكهربائية.

وأكدت الدراسة التي أجراها د.حامد رشدي رئيس مؤسسة الطاقة الذرية في مصر أن التأثيرات الحادة للتعرض والتلوث الإشعاعي تظهر في صورة اختلالات وظيفية بأعضاء الجسم المختلفة لولا أن منح الله الإنسان آلية عالية لتلافي الأضرار التي تلحق بخلاياه وأنسجته الحية.

ضرورة توعية الجماهير بمخاطر الاستخدام المفرط للأجهزة الكهرومغناطيسية والكهربائية بعدما كشفت الأبحاث الحديثة آثارها الكارثية على البيئة والإنسان

وقد شهد الإنسان انفجار ثورة صناعية عارمة واكبتها برامج تصنيع ثقيلة وتوسع هائل في التنقيب واستخلاص الخامات الطبيعية، وتنويع مصادر الطاقة، وإطلاق الطاقة النووية من عقالها، وفي استخدام الكيماويات الدوائية لأغراض التشخيص والعلاج دون أن يدري أنه يدمر مكونات البيئة التي تدعم وجوده وحياته، حيث واكبت النهضة التكنولوجية زيادة مطردة في تركيز الملوثات الكيميائية والإشعاعية في محيطه الجوي، وهذه الملوثات يتم تخزينها في أعضاء الجسم الحساسة، والتي قد تؤدي الى الإخلال بالاتزان الطبيعي داخل أنسجة وخلايا الجسم الحي، ومن ثم فإنه في غيبة الضوابط المنظمة للملوثات الإشعاعية والكيميائية يتم التعدي الصارخ على حقوق الإنسان، الأمر الذي يوجب على دولنا العربية الدفاع عن حقوقها التي تكفل تأمين حاضره ومستقبله.

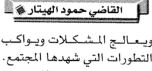
وهكذا نرى أن العالم أصبح يشهد في عصرنا الحاضر العديد من الكوارث التي نجمت عن الاكتشافات العلمية الحديثة، وهذه الكوارث تتفاقم يوماً بعد يوم، ففي الوقت الذي تتفق فيه الدول المختلفة ما يزيد على ألف مليون دولار سنوياً في هذا المجال فإنه يوجد ملايين من الأطفال الجياع الذين تقزمت أجسامهم وتأثرت عقولهم بسوء التغذية ونقص الرعاية الصحية، هذا في الوقت الذي تبلغ فيه تكلفة عشرة أيام من الإنفاق على التسليح الكفاية لإزالة الفقر من على كوكب الأرض.

وهذا يعني أن الثورة الصناعية والتقدم العلمي الحديث قد فرض تداعياته على مختلف أوجه النشاط الإنساني، مما يتطلب ضرورة سن قوانين رادعة وإيجاد حلول عملية لتخفيف النتائج المدمرة والآثار الضارة على صحة الإنسان، وتوعية الجماهير بمخاطر الاستخدام المفرط للأجهزة الكهرومغناطيسية والكهربائية بعد أن كشفت الأبحاث العلمية الآثار الضارة لهذه الأجهزة على البيئة وعلى الإنسان.

وهكذا نرى أن الإنجازات العلمية التي تحققت مؤخراً قد تسببت في العديد من المخاطر الصحية بعد أن تحولت هذه الانجازات الى قوة فاعلة في خلق عالم جديد وبناء حضارة إنسانية مختلفة، كما أسفرت عن تغيير شامل في منظومة المفاهيم والأخلاقيات، ولعل من آثارها الضارة غياب الوازع الديني لحساب المكاسب المادية، واتهام الأديان بأنها أفكار موضوعة لتخدير العقول، والطمس على القلوب، وأنها أفيون الشعوب، وأن الأنبياء قد عملوا على خداع الناس واغرائهم بدخول الجنة، وترهيبهم من دخول النار، وهذا يعني التنكر لأية معتقدات من صنع الله، ويضربون المثل على ذلك بهؤلاء الذين يحملون شعارات دينية ثم ينتهكون الحرمات، ويرتكبون الفواحش، ويكذبون، ويرهبون الناس.

ويدحض العلماء المنصفون هذه الدعاوى، حيث يؤكدون أن منهج مكارم الأخلاق في الدين يتوافق مع فطرة الإنسان، وليس فيه ما يحمل الإنسان فوق طاقته، ولكنه يسعى الى تصحيح الأخطاء وتقويم السلوك، وانطلاقاً من هذا يؤكد هؤلاء العلماء أن الأخلاق والقانون شيء واحد في القرآن الكريم الذي له الفضل في رفع المستوى الأخلاقي والفكر للإنسان على أسس صحيحة، وهو الذي أسس الدين على قواعد النظام الاجتماعي الصحيح، وحرر البشرية من الأوهام والخرافات، كما حرر النفوس من الظلم والقهر والاستبداد، لأن الأصل في الاسلام هو مراعاة مصالح الناس ودفع الضرر عنهم، والحفاظ على البيئة وصون الموارد بالتعامل معها تعاملاً رشيداً لأن تدهور البيئة يشكل تهديداً رئيسياً لأمن الإنسان، ومما يؤسف له أن هؤلاء الذين يدمرون حياة الإنسان غير قادرين على إيجاد آليات منظمة تؤدي إلى التوزان والسيطرة على العوامل الضارة بصحة الإنسان.

مشروع السياسة العامة للإرشاد الإسلامي



القاضي حمود الهيتار *

إن الدعوة الى الله عز وجل من أهم وسائل الاتصال الجماهيري وأقدرها تأثيراً على توجهات الرأي العام من خلال الوعظ والإرشاد وإحياء المبادئ والمفاهيم المشتركة بين أفراد المجتمع، نظرا لما تمتاز به من بساطة في الطرح وملامسة لهموم الناس ومشكلاتهم، وما تحمله طبيعة الدعوة الى الله تعالى في الوعظ والإرشاد من مفردات تتركز حول القضايا العقدية والأخلاقية ومسائل الحلال والحرام والاستقامة في السلوك والعلم والتعامل الإيجابي مع المجتمع، فضلاً عن اتساع مجالاتها وميادينها لتشمل بناء أسس ومقومات شخصية الفرد وهويته ونمط سلوكه ومنظومته القيمية والأخلاقية، بالإضافة الى قضايا التطور والبناء الاقتصادي والاجتماعي وحشد طاقات الأمة نحو البرامج والخطط التنموية والمشاريع الحضارية، ولتتحقق من خلاله أعظم فوائد الإرشاد المتمثلة بنشر تعاليم الإسلام وبناء الاستقرار والسعادة في المجتمع، وتحقيق التعاون والتكافل بين أفراده ومساعدتهم على الاندماج مع بعضهم، وتنمية روح المسؤولية الفردية والجماعية واحترام الأنظمة والقوانين والعمل بها، الأمر الذي يكون له الأثر في صياغة المواقف والتوجهات للمجتمع للوصول الى شريحة واسعة من أبناء المجتمع.

عملية الإرشاد لم تعد قاصرة على التذكير بفضائل الإسلام وآدابه، بل أصبحت مهاماً علمية وعملية تتميز بوضوح أهدافها ونقاء مصادرها وتقوم على أسس علمية تحكمها ضوابط شرعية تستلزم بذل قصارى الجهود لاختيار أقوم المناهج وأفضل الوسائل لتنفيذها مع الالتزام بالنصوص الشرعية والقوانين المستمدة منها والسياسة العامة للدولة وصولاً إلى الأهداف المنشودة في بناء المجتمعات بناء سليماً، ومن هذا المنطلق فإن السياسة العامة للإرشاد تقوم على المرتكزات الآتية:

١- الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن.

٢- تعميق الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

٣- التربية الربانية القائمة على أساس الالتزام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع الأمة، وتعميق شمولية الإسلام لكل جوانب الحياة مع مراعاة فقه تنزيل النص.

٤- ترسيخ الثوابت الدينية والوطنية ومنها:

أ- الإسلام عقيدة وشريعة وسلوكاً.

ب- تجسيد الولاء الإسلامي والوطني باعتبار ذلك واجباً شرعياً ووطنياً يقتضي:

- حب الوطن والدفاع عنه.
- الحفاظ على سيادة الوطن وأمنه واستقلاله ومكتسباته.

٥- تعزيز احترام حقوق الإنسان وحرياته المنصوص عليها في الشريعة الإسلامية والقوانين النافذة.

٦- إحياء رسالة المسجد الايمانية والثقافية والتعليمية والاجتماعية.

٧- الاعتناء بالمرأة والاهتمام بها وإيجاد خطاب دعوي يتناسب معها وتفعيل دورها في الدعوة الى الله، وأن تأخذ مكانتها التي كفلها الإسلام لها.

٨- الاهتمام بالطفولة والشباب تربية وتعليماً.

٩- تشخيص الواقع الاجتماعي والثقافي والسياسي لتحديد أولويات الخطاب الإسلامي ومضامينه ومجالاته بما يلبي حاجة المجتمع الروحية والمعرفية ويعالج المشكلات ويواكب التطورات التي شهدها المجتمع.

١٠- تحصين المجتمع بمختلف فئاته من الدعوات الهدامة والأفكار المنحرفة وترسيخ القيم والأخلاق الفاضلة في حياة أفراد المجتمع.

١١- الالتزام بآداب الدعوة الى الله وحرية الرأي المنصوص عليها في الشريعة الإسلامية والقوانين المستمدة منها.

١٢- الالتزام بمنهج الوسطية الشرعية والاعتدال الواعي وتجنب الغلو والتطرف.

١٣- إبعاد المساجد عن الصراعات الحزبية والمذهبية والقبلية.

١٤- تعميق مبدأ الاخوة الاسلامية وإشاعة روح الألفة والمودة والتكافل والتراحم بين أبناء الأمة على ضوء قواسمها المشتركة.

١٥- الحث على العمل والكسب المشروع وترشيد الانفاق على مستوى الفرد والاسرة والمجتمع.

١٦- علاقة المسلمين مع غيرهم تقوم على العدل والإحسان إليهم اذا لم يقاتلونا في ديننا او يخرجونا من ديارنا.

١٧- الاهتمام بموضوعات الصحة والسكان والنظافة والبيئة.

١٨- الاعتماد على الدراسات العلمية والحقائق الثابتة بعيداً عن الشائعات.

* وزير أوقاف الجمهورية اليمنية

١٩- توسيع نطاق العمل الدعوي والإرشادي وتأمين السبل لتحقيق التواصل المستمر والمؤثر للخطاب الإرشادي في عقل ووجدان المجتمع بمختلف فئاته وشرائحه.

٢٠- تزويد الخطباء بالمعلومات الصحيحة والكتب والمراجع المتخصصة والموثوق بصحتها للاستفاده منها في أداء رسالتهم.

٢١- إنشاء مكتبات متخصصة بالإرشاد في إدارات الأوقاف والإرشاد بالمحافظات والمساجد الكبرى.

٢٢- تعدد وسائل الخطاب الإرشادي بتعدد وسائل الإعلام والاتصال الجماهيري.

٢٣- تأهيل الخطباء والمرشدين من خلال تزويدهم بالمهارات المطلوبة والخبرات النافعة.

٢٤- العناية بفقه الأولويات في الفهم والأولويات في الطرح لدى الداعية.

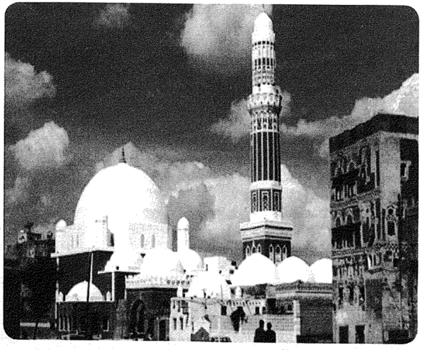
٢٥- تحديث أدوات وأساليب الخطاب الإرشادي وتطويرها وصياغته في إطار ثوابت الإسلام وأصوله مع المواكبة المستمرة لمستجدات العصر وتقنياته وثورة المعلومات ومعطياتها.

٢٦- إحياء حلقات العلم في المساجد لإقامة الدروس العلمية والتربوية والروحية.

٢٧- مواكبة مسيرة التنيمة وخططها وبرامجها في المجالات (التربوية، الصحية، الاجتماعية، الأمنية، العدلية، الخدمية... وغيرها) والهيئات والمجالس والمنظمات المختلفة في سياق استخلاص الدور المناسب وتحقيق الحضور الفاعل والمتميز للخطاب الإرشادي في توعية وحث المجتمع على المشاركة والقيام بالواجب المنوط به في خدمة مصالحه وتحقيق التنمية.

٢٨- تأكيد المشاركة الواسعة للعلماء والخطباء والمرشدين والمؤسسات الإرشادية الأهلية ومختلف الأجهزة والمؤسسات ذات العلاقة.

ضرورة حشد طاقات الأمة نحو البرامج والخطط التنموية والمشاريع الحضارية لبناء الاستقرار في مجتمعاتنا



٢٩- التوظيف الأمثل لدور الإعلام الدعوي وكافة وسائل النشر، وتوصيل مضامين الخطاب الإرشادي وفقاً لخاصية كل وسيلة ودورها وتأثيرها، وانتهاج السبل والأساليب المتطورة لتأمين وسهولة ويسر استيعابها.

٣٠- التأثير على توجهات الرأي العام وتأسيس ثقافة مشتركة بين الأفراد والمجتمع.

٣١- السعي الى حشد طاقات الأمة من أجل تنفيذ البرامج والخطط الاقتصادية والاجتماعية المختلفة.

٣٢- إحياء لغة الحوار ومراعاة آداب الخلاف في المسائل المعتبرة شرعاً.

٣٣- اجتناب المحظورات في الخطاب الإسلامي ومنها:

أ- المساس بالثوابت الإسلامية والوطنية.

ب- الإنكار في المسائل الخلافية المعتبرة شرعاً.

ج- إثارة الفتن والنعرات المذهبية والاجتماعية وكل ما من شأنه أن يؤدي إلى التنافر أو يكدر السلم الاجتماعي.

د- توظيف الخطاب الدعوي والإرشادي لتحقيق أغراض شخصية أو حزبية أو طائفية أو سلالية أو مذهبية.

هـ- الإساءة الى الأشخاص أو الهيئات بذكر أسمائهم أو صفاتهم.

و- التعصب لأي من الآراء أو الاتجاهات الفكرية السياسية في المسائل الخلافية.

ز- الإساءة إلى آل بيت النبي ﷺ وزوجاته وصحابته الكرام.

ح- المساس بكرامة الأشخاص وحرياتهم التي كفلتها الشريعة الإسلامية والقوانين النافذة.

ط- التحريض على مخالفة الدستور والقوانين النافذة.

ي- التحريض على أعمال العنف والإرهاب والاعتداء على الأشخاص أو الهيئات أو الأموال العامة أو الخاصة.

ك- استخدام المساجد للدعاية أو التحريض مع أو ضد شخص أو حزب أو جماعة أو طائفة.

ملامح الانفصام الحضاري في واقعنا الإسلامي المعاصر

د. مصطفى محمد طه

يعد الخلل المشاهد الآن في واقعنا الإسلامي المعاصر من أبرز ملامح الانفصام الحضاري الذي استشرى بين مسلمي اليوم. وقد أفرز هذا الوضع المؤسف تساؤلاً حائراً فرض نفسه على الساحة الإسلامية، ألا وهو: كيف يمكن لنا أن نتخلص من تداعيات هذا الانفصام في واقعنا المعاصر حتى يتسنى لنا تحقيق الوعي الحضاري المأمول؟ وللإجابة عن هذا التساؤل، فإنه لابد من اعتماد الرؤية الإسلامية لبلورة أبرز ملامح الإشكاليات المصيرية التي تعاني منها الأمة الإسلامية في واقعها المعيش. ولعل ذلك راجع إلى أن مثل هذه المعالجة الدقيقة إنما هي بمنزلة تجسيد حقيقي لجس نبض الأمة، فضلاً عن رصد أبعاد همومها الحضارية، وذلك حتى يتسنى لنا تقديم العلاج الناجع لكل إشكاليات هذه الهموم.

ومن هنا فإنه ينبغي أن تكون هذه المعالجة المبتغاة في مستوى اللحظات الحرجة التي تمر بها أمتنا الآن، مما يحتم على المسلمين الذين يعيشون في القرن الحادي والعشرين الميلادي (الخامس عشر الهجري) الذي يعد ولا ريب قرن التحولات الكونية أن يشعروا شعوراً واعياً بالبصمات المنعكسة لهذا الانفصام النكد على واقع حياتهم الإسلامية.

ضرورة بلورة ملامح الإشكالات المصيرية في الأمة لاعتماد الرؤية الإسلامية

نظراً لتعدد ملامح الانفصام الحضاري، لدى المسلم المعاصر، فإنه يمكن تسليط الأضواء الكاشفة على أبرز هذه الملامح السلبية حتى يتسنى للأمة تلافيها فيما يستقبلها من أيام مقبلة لاسيما بعد أن يضع المنظرون والمفكرون التصورات والرؤى التي من شأنها أن تسهم إسهاماً حيوياً في صياغة الواقع الإسلامي المعاصر حضارياً في ضوء نسق حياتي متناغم مع روح الإسلام، التي تهدف- ضمن ما تهدف - إلى تحقيق تلافي سلبيات الانفصام الحضاري، الذي يسهم في عدم تحقيق الشمولية والتوازن، وبالتالي يتم إضفاء طابع سلبي على حياة المسلمين من خلال الخلل في كثير من أنشطتهم الحياتية. وللتخلص من تداعيات كل ذلك، لابد من وجود النماء الحضاري الذي يجعلهم في مستوى الانتماء الحقيقي لهذا الدين الخالد، فالإسلام الحق قد جاء لإرساء معالم حضارة، هي بحق حضارة ربانية تسمو بالإنسان إلى الذروة السامقة من الكرامة والسمو الاخلاقي، حتى يكون فعلاً جديراً بتأدية مبدأ الخلافة الحضارية في الأرض.

إن تحقيق مثل هذه الأهداف السامية في الواقع المعيش، لن يكون حقيقة معيشة إلا بوجود وعي حضاري بكل إشكاليات وجودنا، وبالتالي التخلص نهائياً من الانفصام الحضاري الذي عم كل مناحي حياتنا.

عدم الوعي بأهمية الحوار الحضاري

ولعل من أبرز ملامح الانفصام الحضاري بين المسلمين ولاسيما في هذه الايام، هو عدم وعي بعض منهم بأهمية الحوار الحضاري البناء، الذي يشكل- وفقاً للمنظور الإسلامي- ضرورة حياتية، تساعدنا على تشكيل الهيكل العام للحضارة الإسلامية المعاصرة. ولكي تكون هذه الحضارة المنشورة معبرة فعلاً عن نزوعات هذه الأمة في الوجود، فإنه لابد أن تكون مستندة إلى أسس الإسلام الراسخة رسوخ الطود الشامخ، وخصوصاً في جانبها المعنوي (الثقافة)، أي ثوابتها المرتبطة بعطاء السماء، أما جانبها المادي (المدنية) فإنه لا غضاضة البتة في الاقتباس الحضاري من الغير، ولو كان مخالفاً لنا في التصور العقدي، وذلك عبر الحوار الفاعل معه وحتى يؤتي هذا الاقتباس فعاليته، وثماره المرجوة، فإنه لابد أن يكون اقتباساً لأسس المعطيات المدنية للعصر، وليس لقشورها، أو بمعنى آخر فإنه يحتم علينا كمسلمين، العمل الجاد على استنبات التكنولوجيا المعاصرة، بدلاً من استيرادها.

ولقد أشار إلى مدى انعكاس مثل هذا الموقف السلبي من المسلمين تجاه العصر على حياتهم الحاضرة، المفكر الإسلامي الجزائري مالك بن نبي (١٢٢٣-١٣٩٣هـ = ١٩٠٥-١٩٧٣م)، ضارباً المثل على ذلك باليابان، التي اقتبست أسس المدنية الغربية في إطار «الموتور والحركة»، دون التخلي ولو قيد أنملة، عن التراث والأصالة اليابانية بينما العالم الإسلامي، أخذ يستورد الأشياء ولايزال يغرق أسواقه بمنتجات هذه المدنية مكتفياً بذلك، ولعل الذي زاد الطين بلة، هو أن المسلمين ما زالوا غارقين في حمأة الاستهلاك المادي والتكدس الشيئي، رغم الوثبات الهائلة لهذه الحضارة في المضمار المادي، يضاف إلى ذلك تدني مستوى إنتاجية الفرد المسلم عن نظيره الغربي بفوارق كبيرة، مما حدا بالمنظرين الغربيين على وصف البيئة الحضارية التي يعيش فيها الغربي بالعالم الأول، في حين وصفت بيئتنا

الإسلامية بالعالم المتخلف أو تأدباً العالم النامي وأحياناً العالم الثالث، وكلها سمات تدل دلالة أكيدة على تراجعنا الحضاري الذريع.

وهكذا نرى أن مسلمي اليوم، قد أصبحوا مستلبين مدنياً أمام نتاج الحضارة المعاصرة- سواء كان مصدرها الغرب أو الشرق على حد سواء- مما جعلهم يضحون بإمكانياتهم المالية في سبيل استيراد الأشياء الاستهلاكية فضلاً عن تكديسها، ولقد انعكس ذلك صوراً سلبية على حياتهم عبر استنزاف أموالهم الطائلة في سبيل اقتناء ولو منتج واحد من منتجات هذه المدنية وأصبحنا نرى الفرد في عالمنا الإسلامي المعاصر يكد ويتعب الأيام الطوال، من أجل شراء آلة من آلات هذه المدنية، التي ربما ذهبت به في نهاية المطاف إلى القبر.

التأزم الأخلاقي والاستلاب السلوكي لدى المسلمة المعاصرة

أما ثاني ملمح من ملامح الانفصام الحضاري لدى مسلمي اليوم، فهو هذا التأزم الأخلاقي والاستلاب السلوكي الذي تعاني منه المسلمة المعاصرة في الواقع الراهن للمسلمين على المستوى الحضاري، فهذه المسلمة تقف الآن حائرة بين قطبين متنافرين هما الأصالة القرآنية والنبوية، التي تدعوها إلى الالتزام الحق بمنهجية الدين الإسلامي من جهة، وبين معطيات العصر السلبية التي تدعوها في نفس الحين إلى الانسلاخ من ربقة القيم المشعة التي في مقدورها صياغة كيان إنساني أمثل، ولعل الذي يؤكد حتمية التزام المرأة



بالمنطلقات الإيمانية للإسلام، هو أن هذا الدين الحق قد جاء من عند خالق الكون وبارئه ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ (الملك-١٤).

وذلك من أجل صياغة امرأة ناضجة فعالة، ذات دور حيوي في بناء الحضارة الإسلامية الباسقة، وهذا من منطلق أن المرأة هي وعاء الحضارة الحاني. والخدر الآمن لصناعة الأجيال، وذلك بعد مساهمتها الحيوية مع الرجل شريكها الأوحد على درب الحياة -عبر الزواج الشرعي- في صياغة واقع إسلامي زاهر.

وإذا كان بريق الحضارة المعاصرة الخاطف يشدها على الطرف الآخر، بما يقدم لها من أضواء خادعة وزائفة تخدعها وتنسيها أبعاد رسالتها الحضارية في الوجود، وفقاً للنسق الإسلامي، وذلك من خلال بعض الممارسات السلبية التي يزينها لها بعض الموتورين في واقعنا الثقافي المعاصر، وذلك من خلال محاولاتهم اليائسة لطمس معالم كل القيم المشعة التي صاغت يوماً ما خير حضارة تفطر عنها قلب التاريخ البشري، ولولا المرأة ومساهمتها الفعالة في تشكيلها منذ انبثاقها من رحم التاريخ، لما وصلت إلى هذه الذروة السامقة في الإبداع.

عدم إدراك قيمة الوقت

وثالث ملمح من ملامح الانفصام الحضاري لدى المسلمين المعاصرين، هو عدم إدراكهم الإدراك الواعي لقيمة الزمن (الوقت) ودوره الحيوي في تحقيق أو إنجاز البناء الحضاري الشامل وعدم وعينا كمسلمين بمدى أهمية العناصر البارزة، التي تتشكل منها الحضارة في هيكلها العام والخاص، إنما هو ظاهرة غير صحية إطلاقاً، ولعل الذي يشي بذلك جهلنا التام بالمفهوم الحضاري للوقت، فلقد أصبحنا أمة تتفنن في قتل الوقت فضلا عن إضاعته سدى، دون الاستفادة الموضوعية منه، ناسين أو متناسين أن الزمن (الوقت) هو عمر الإنسان، وطريقه حتى يكون لنا قدم صدق في الدنيا والآخرة. ولذلك لم يخطئ مالك بن نبي، عندما ذهب الى ان الوقت والتراب والإنسان هذه العناصر الثلاثة هي المكونات الأساسية للحضارة، وفي هذا السياق جاءت معادلته الرياضية التالية، وقت+ تراب + إنسان= حضارة.

الفجوة بين النظرية والتطبيق في حياتنا المعاصرة

وفي هذا السياق الاستلابي، يبدو أن رابع ملامح الانفصام الحضاري لدى المسلمين المعاصرين هو تلك الفجوة السحيقة بين النظرية والتطبيق في حياتنا المعاصرة، ولا سيما في الإطار التعاملي - أو إذا شئنا الدقة قلنا بين القول والفعل - ولعل مرجع هذا هو أن القول الأجوف غير المقرون بالفعل لا يمكن أن يؤدي بأي حال من الأحوال الى تحقيق الوضع الامثل للمجتمع الاسلامي الفاضل الذي جاء الإسلام لبنائه، إن هذا هو حالنا اليوم، ولعل هذا هو سبب سقوطنا الحضاري بكل المقاييس.

أما يوم أن كان المسلمون مدركين تمام الادراك لمدى ضرورة اقتران القول بالفعل انطلاقا من الفقه الحضاري الواعي للآية القرآنية الكريمة، التي يقول فيها تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون. كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ (الصف:٢-٣).

وفي ضوء ما تقدم، يمكن القول: إن التخلص الفاعل من الانفصام الحضاري المستفحل بين مسلمي اليوم، إنما يعتمد اعتماداً أساسياً على مدى نجاحهم في تحقيق انسجامهم مع معطيات دينهم، فضلا عن أن يجعلوا من ذلك الهم الهاجس الحضاري الأول لهم، وذلك حتى يتسنى لهم ردم هذه الفجوة الحضارية السحيقة التي تفصلهم عن الحضارة المعاصرة.

الدعوة إلى الله في الزمن الصعب

د.نبيل فولي

كثيرا ما تداعبنا الأحلام بأن يرجع بنا الزمان إلى أيام رسول الله ﷺ وصحابته - رضوان الله عليهم - ونكون من أهل ذاك الدهر الذي انصرم، وذلك الزمان الذي انقضى، فنرى رسول الله ﷺ ويرانا، ونصحبه ويعلمنا، ونشهد معه المشاهد، ونروي للناس من سيرته وسنته كما روى الأماجد من صحابته الكرام.

وما أرانا في هذا من زاوية أولى إلا معبرين عن حبنا لرسول الله ﷺ وشوقنا إليه، لكننا من زاوية أخرى نهرب بهذه الأحلام من واقعنا الصعب، ونلتجئ إلى الخيال إذ لم يسعفنا الواقع، وما مثلنا في هذا إلا كالذي يتخيل نفسه «سوبر مان» أو صاحب «طاقية الإخفاء» كي يحل بها مشكلات الأمة العويصة!!

وأخشى أن أقول إن مثل هذه الأحلام تعني أننا غير راضين عن الأقدار الإلهية التي شاءت أن تكون لحظات هذا الزمان هي مسرح حياتنا ومرتع أعمارنا.

لقد سبقنا إلى مثل هذه الأحلام آخرون من التابعين رأوا الصحابة ولم يروا رسول الله ﷺ وكان زمانهم متاخما لزمان النبوة، لا بعيدين عنه بعدنا، كما كان قرنهم قرن مجد وعزّ لا هزيمة وانكسار، فأوقفهم الصحابة على حقيقة الأمر، وردوهم إلى جادة الصواب في هذه الأماني، «فعن جبير بن نفير قال: جلسنا إلى المقداد بن الأسود يوما، فمر به رجل فقال: طوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله ﷺ والله لوددنا أنا رأينا ما رأيت، وشهدنا ما شهدت!! فاستغضب، فجعلت أعجب: ما قال إلا خيرا! ثم أقبل إليه فقال: ما يحمل الرجل على أن يتمنى محضرا غيّبه الله عنه، لا يدري لو شهده كيف كان يكون فيه؟! والله، لقد حضر رسول الله ﷺ أقوامٌ أكبهم الله على مناخرهم في جهنم، لم يجيبوه ولم يصدّقوه. أولا تحمدون الله إذ أخرجكم لا تعرفون إلا ربكم مصدّقين لما جاء به نبيكم، قد كفيتم البلاء بغيركم...».(مسند أحمد).

معادلة الحياة والبقاء والفناء والموت لا تقع إلا في يد واحدة

إن مقولة الرجل لتعكس أمنية دفينة في نفسه، هي هذا الحلم المستحيل الذي حلمناه نحن أيضا، ولكن الصحابي الفقيه رده إلى المعنى الإسلامي العميق، وهو أن الإنسان بعمله وليس بزمانه: إذ إن المطلوب من المسلم أن يعيش بإيمانه وتدينه في الزمان الذي قدّره الله له.

ولقد أعلمنا الله تعالى أنه غضب على أهل أعمال بعينها، وما غضب على أهل زمان بعينه لأجل الزمان نفسه، فغضب على قوم نوح عليه السلام لشركهم الذي لم يسبقهم إليه سابق وإعراضهم الطويل عن الهدى الذي جاءهم به نبيهم.

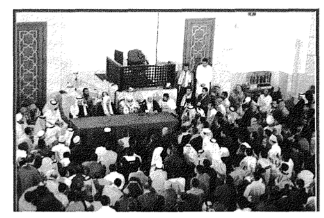
وغضب على عاد قوم هود عليه السلام لكفرهم وجبروتهم وتحديهم لنبيهم أن يأتيهم بما يعدهم به من العذاب.

وأما ثمود قوم صالح عليه السلام فقد كان دليل الهدى معجزةً ناطقةً أقرب إليهم من شراك نعالهم، فاستهانوا بآيات الله، فطردهم الغضب الإلهي من ساحة الحياة كلها.

وأما قوم لوط وقوم شعيب- عليهما السلام- فخلطوا الخلق السيئ بالعقيدة الفاسدة، وطاردوا من يدعوهم إلى الهدى، فحقت عليهم كلمة العذاب، وهكذا فرعون وهامان وقارون...

﴿فكلاً أخذنا بذنبه فمنهم مّن أرسلنا عليه حاصبًا ومنهم مّن أخذته الصّيحة ومنهم مّن خسفنا به الأرض ومنهم مّن أغرقنا وما كان اللّه ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ (العنكبوت:٤٠).

إن الزمان مظلة إلهية عجيبة؛ تبدو قاهرة لجميع الخلق، ولكنها - مع ذلك - تنقذنا من المطلق الذي لا تطيقه عقولنا، حيث إن مجرد تصور أن نعيش بلا زمان يدخل الإنسان في غيبوبة إدراك. وحتى المعاني الثابتة في عقولنا - كالقوانين الكونية العامة والمعاني الذهنية المجردة - لا تعيش بلا زمان،



وإنما نعيش صورة واحدة لها في أزمنة مختلفة، فيراها البعض لا زمانية، ولكنها في حقيقتها تشبه الصورة الثابتة أمام العين تراها في كل لحظة كما هي.

مهما يكن، فإن الإسلام حين يدعونا إلى الإيمان بالقدر الإلهي يفرض علينا أن نؤدي مهمة الخلافة في أرض الله في الزمان الذي نحيا فيه، وبالقدرات التي منحنا إياها، وهذا المعنى ينطوي عليه حديث الاغتنام الشهير؛ فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: «اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك» (صححه الحاكم ووافقه الذهبي).

الزمن الصعب

حقا قد تبدو بعض مراحل التاريخ عصيبة، وبعض أدوار الزمان شديدة الوطأة على قلب المؤمن ونفسه ﴿حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا...﴾ (يوسف: ١١٠)، إلا أن معادلة الحياة والبقاء والفناء والموت لا تقع إلا في يد واحدة ﴿وأنه هو أضحك وأبكى. وأنه هو أمات وأحيا. وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى. من نّطفة إذا تمنى. وأن عليه النشأة الأخرى. وأنه هو أغنى وأقنى. وأنّه هو رب الشعرى. وأنّه أهلك عادًا الأولى. وثمود فما أبقى. وقوم نوح من قبْل إنهم كانوا هم أظلم وأطغى. والمؤتفكة أهوى. فغشاها ما غشى. فبأي آلاء ربك تتمارى﴾ (النجم: ٤٣ - ٥٥).

الأزمنة الصعبة تحتاج إلى نفوس إيمانها أعمق وهمتها أرفع وعزيمتها أرسخ لأن مسرح العمل واسع

ولهذا لا يبدو القلق من الأقدار في وقت الخطوب طبيعيا بالنسبة للمؤمن؛ لأن الأحداث إن كانت تتحول أمام عينيه، فإن له مستمسكا يستمسك به، وإن له بابا يلجأ إليه؛ إذ ترك المؤمن للكافر والكافر للمؤمن يبتلي بعضهم ببعض ﴿ولوْ يشاء اللّه لانتصر منْهمْ ولكن ليبْلو بعْضكم ببعْضٍ﴾ (محمد: ٤)، فليس معنى ذلك أنه تعالى خرج من المعادلة، بل المعادلة وكل أطرافها في يده تعالى وتحت قهره وسلطانه الغالب، ولكنه الناموس الإلهي الذي أقام الحياة على الابتلاء بالخير والشر: كي يثبت المؤمن إيمانه، وينال الكافر والطاغي فرصته كاملة «إن الله - عز وجل - يمْلي للظالم، فإذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ «وكذلك أخْذ ربِّك إذا أخذ الْقرى وهي ظالمةٌ إنّ أخْذه أليمٌ شديدٌ». (رواه مسلم)

وزماننا الذي نحياه لا يخلو من صعوبات ضخمة، وعقبات كؤود، غير أنها- في مرحلتنا الراهنة على الأقل- ليست أصعب ما تعرض له المسلمون في تاريخهم على الإطلاق، فمنذ قليل زمان كانت المصائب تنزل تترى على الأمة دون أن يرى المسلمون فجر أمل يقترب، أو دون أن يبدو في الأفق ما يبشر بانقشاع ظلام المصائب؛ كما هو الحال عندما أقبلت جحافل الاستعمار الأوروبي منذ حوالي قرنين تقضم أطراف العالم الإسلامي، ثم تتسلل إلى قلبه لتعشى عليه عشاءها المخمور!

الفرصة السانحة

على أي حال، فإن الظرف التاريخي الذي يمر به العالم الإسلامي في مرحلته الحالية ظرف دقيق وصعب جدًا، وإذا كان بعض الناس قد ينظر إلى هذا بنقمة، فإن المؤمن بنظره الدقيق قد يرى ذلك فرصته لترتفع عند الله أسهمه؛ فالأزمنة الصعبة تحتاج إلى نفوس إيمانها أعمق، وهمتها أرفع، وعزيمتها أرسخ؛ لأن مسرح العمل أوسع، ومجالات النقص التي تحتاج إلى استكمال أكثر.

وهذا أمر يدركه الداعية المسلم بحسه السليم وشعوره المرهف، وهو ما سجله أحد دعاة الإسلام المعاصرين حين قال «قد ينشأ الشاب في أمة وادعة هادئة، قوي سلطانها، واستبحر عمرانها، فينصرف إلى نفسه أكثر مما ينصرف إلى أمته، ويلهو ويعبث وهو هادئ النفس مرتاح الضمير، وقد ينشأ في أمة جاهدة عاملة قد استولى عليها غيرها، واستبد بشؤونها خصمها، فهي تجاهد ما استطاعت في سبيل استرداد الحق المسلوب، والتراث المغصوب، والحرية الضائعة، والأمجاد الرفيعة، والمثل العالية. وحينئذ يكون من أوجب الواجبات على هذا الشباب أن ينصرف إلى أمته أكثر مما ينصرف إلى نفسه. وهو إذ يفعل ذلك يفوز بالخير العاجل في ميدان النصر، والخير الآجل من مثوبة الله».



حرية الاشتراط في العقود



د. عبدالفتاح إدريس

بعد انحسار الوازع الديني في نفوس كثير من المسلمين، يتشكك كثير من المتعاملين في الوصول إلى حقوقهم، وفقاً لما تعاقدوا عليه، ولذا فان هذا الشك قد يدفعهم الى وضع المزيد من الشروط، التي يضمنون بها وفاء الطرف الآخر بالتزاماته في العقود والتصرفات، وقد يرغب العاقد في الحصول على فائدة او تحقيق مصلحة من خلال اشتراطه شرطاً في العقد يحقق له ذلك، ولذا كانت هذه المعالجة السريعة لبيان مدى حرية العاقد في الاشتراط في العقد بحسبانه مؤثراً في تنفيذ العاقدين لا التزاماتهما فيه، او محققاً مصلحة اي منهما فيه، او مؤثراً في ترتب احكام بعض العقود عليه، ومن ثم فإني أبين آراء الفقهاء في حكمه.



معنى الشرط

الشرط: والشريطة: إلزام الشيء في البيع ونحوه، والجمع شروط وشرائط، وقد اشرط له وعليه كذا يشرِط ويشرُط شرطاً واشترط عليه، وشرط له في ضيعته يشرط ويشترط (١)، وعرفه الآمدي بأنه: «ما يلزم من نفيه نفي أمر ما، على وجه لا يكون سبباً لوجوده ولا داخلاً في السبب» (٢)، وعرفه الشوكاني بأنه «وصف ظاهر منضبط يستلزم عدم الحكم، او يستلزم عدم السبب لحكمة في عدمه تنافي حكمة الحكم او السبب» (٣).

وقد اختلف الفقهاء في مدى حرية الاشتراط في العقود، ولهم في هذا مذهبان:

المذهب الأول

يرى اصحابه ان الاصل في الشروط الحظر، الى ان يرد الدليل الشرعي الدال على اباحتها، وهو ما ذهب اليه الظاهرية الذي لا يبيحون شرطاً الا اذا ثبتت مشروعيته بنص او اجماع (٤).

المذهب الثاني

يرى من ذهب اليه ان الاصل في الشروط الاباحة، الا ما دل دليل شرعي على تحريمه او ابطاله، وهو مذهب جمهور الفقهاء، الا انهم في ذلك فريقان، فريق يرى ان كل شرط لم يرد باشتراطه دليل، فهو مشروع وان كان لا يقتضيه العقد، ولا يحرم من الشروط الا ما خالف الشرع، وهو ما ذهب اليه الحنابلة، وفريق آخر يرى ان المشروع من الشروط ما لا يخالف الشرع او مقتضى العقد، وهو مذهب الحنفية والمالكية والشافعية(٥).

أدلة هذين المذهبين

استدل اصحاب المذهب الاول على ان الاصل في الشروط الحظر، الا ما ورد بإباحته دليل شرعي، بما يلي:

أولاً: الكتاب الكريم: آيات منها:

١- قال تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ (٦).

٢ - قال سبحانه: ﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها﴾ (٧).

٣ - قال جل شأنه: ﴿ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون﴾ (٨).

وجه الدلالة من الآيات

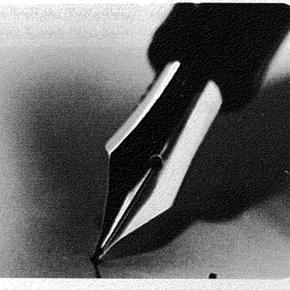
أفادت هذه الايات ان الشروط هي حدود الله تعالى، وقد اكمل بنيان هذا الدين، وشرع للناس ما يحقق مصالحهم من الشروط ونحوها، فمن أتى بما لم يشرعه الله تعالى من الشروط فهو متعد لحدود الله تعالى، وكان ما اتى به مردوداً عليه.

ثانياً: السنة النبوية المطهرة ومنها:

١ - روي عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله ﷺ قال: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» (٩).

أفاد الحديث بطلان كل شيء لم يرد دليل شرعي معتبر بإباحته.

٢- روي عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: «دخلت عليّ بريرة فقالت: ان اهلي كاتبوني على تسع اوراق في تسع سنين في كل سنة اوقية فأعينيني، فقالت لها: ان شاء اهلك ان اعدها لها عدة واحدة واعتقك ويكون الولاء لي فعلت، فذكرت ذلك لاهلها فأبوا الا ان



يكون الولاء لهم، فأتتني فذكرت ذلك فانتهرتها، فقالت: لاها الله اذا قالت، فسمع رسول الله ﷺ، فسألني فأخبرته، فقال: اشتريها واعتقيها واشترطي لهم الولاء فان الولاء لمن اعتق، ففعلت، ثم خطب رسول اللهﷺ عشية فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله، ثم قال: اما بعد فما بال اقوام يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله، ما كان من شرط ليس في كتاب الله عز وجل هو باطل وان كان مائة شرط، كتاب الله احق وشرط الله اوثق» (١٠).

وجه الدلالة منه

أفاد هذا الحديث بطلان كل شيء لم يرد نص كتاب او سنة يدل على اباحته، ولم تثبت مشروعيته باجماع المسلمين، وهذا دليل على ان الاصل فيها هو الحظر حتى يرد الدليل الشرعي المبيح.

اعترض على الاستدلال به بما يلي

قال ابن تيمية: ان الشرط يراد به المصدر تارة والمشروط أخرى، والمراد بالشرط في الحديث المشروط، بدلالة قول رسول اللهﷺ «وان كان مائة شرط»، فليس المراد تعديد التكلم بالشرط بل تعديد المشروط، وقول ﷺ: «كتاب الله احق وشرط الله اوثق»، مقصود به كتاب الله احق من هذه الشروط وشرطه اوثق منها، وهذا انما يكون عند مخالفة المشروط لكتاب الله تعالى وشرطه، حيث يكون محرماً، أما إذا كان غير محرم فلم يخالف كتاب الله تعالى وشرطه، حتى يقال كتاب الله أحق وشرط الله أوثق، فيكون المعنى: منها اشترط ما ليس في حكم الله تعالى او كتابه فهو باطل، لان المشروط يجب ان يكون مباحاً فعله بدون الشرط، حتى يصح اشتراطه ويلزم بالشرط، وايضاً فان النبي ﷺ لم يرد من الحديث ان الشروط التي لم يبحها الشارع لا يلزم بها شيء، لان هذا يخالف الكتاب والسنة، اذ قد يلزم بها بعض الاحكام، ولان عمومات الكتاب والسنة والآثار الدالة على وجوب الوفاء بالشروط عموماً تقتضي اباحتها، لان قوله ﷺ: «ليست في كتاب الله»، انما يشمل ما ليس في كتاب الله بعمومه وخصوصه، فان دل الكتاب على اباحته بعمومه فهو في

الأصل في الشروط هو الحظر حتى يرد الدليل الشرعي المبيح لها .. والوفاء بالعقود والنهي عن الخيانة مقيد بما شرع منها

كتاب الله، والشرط الذي بينا جوازه بالسنة والاجماع صحيح باتفاق، فيجب ان يكون في كتاب الله لا بخصوصه، بل بالامر باتباع السنة واتباع سبيل المؤمنين (١١).

قال ابن القيم: ان المراد بكتاب الله تعالى في قول رسول الله ﷺ:«ما كان من شرط ليس في كتاب الله فهو باطل»، هو حكم الله، وكل شرط خالف حكم الله فهو باطل، الا انه ليس في الحديث ما يدل على ان ما سكت عن تحريمه من الشروط يكون باطلاً محرماً، لان تعدي حدود الله تعالى ليس باباحة ما سكت عنه، وانما بتحريم ما احل الله او اباحة ما حرمه اواسقاط ما اوجبه (١٢).

٣ - روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهم ان رسول الله ﷺ «نهى عن بيع وشرط»(١٣).

٤ - روي عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهم ان رسول الله ﷺ قال: «لا يحل سلف وبيع، ولا شرطان في بيع، ولا ربح ما لم يضمن، ولا بيع ما ليس عندك»(١٤).

وجه الدلالة من الحديثين

أفاد الحديثان نهي رسول الله ﷺ عن انماط من البيوع والشروط التي كان الناس يتعاملون بها في الجاهلية، مما يدل على ان الاصل في الشروط هو الحظر، وانه ليس لاحد ان يعتبر شرطاً الا اذا قام دليل من الشرع باباحته.

المعقول

ان استحداث شرط لم يرد بشرعيته نص في القرآن الكريم او السنة المطهرة، لا يخلو ان يكون قد التزم فيه اباحة محرم او تحريم مباح، او ايجاب ما لم يجب بالشرع او اسقاط ما وجب به، وذلك مما لا يقره الشرع، فكذا ما يتوسل به اليه (١٥).

استدل اصحاب المذهب الثاني على ان الاصل في الشروط الاباحة، حتى يرد الدليل الشرعي بالحظر، بما يلي:

أولا: الكتاب الكريم:

١ - قال تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾ (١٦).

وجه الدلالة منها

امر الله تعالى بالوفاء بمقتضى العقود، والامر يقتضي الفرضية لانه حقيقته عند عدم القرائن الصارفة عنه الى غيره، والوفاء بها المأمور به هو الوفاء بالالتزامات الناشئة عنها، وهذا الوفاء المأمور بغير مشروط بقيام الدليل على شرعيتها، حيث ورد الامر مطلقاً عن ذلك، والشروط والعهود من العقود، ولذا فإن الآية دليل على ان الاصل في الشروط الاباحة.

٢ - قال سبحانه: ﴿وبعهد الله أوفوا﴾ (١٧).

٣- قال جل شأنه: ﴿وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً﴾ (١٨).

وجه الدلالة منهما

أفادت الآيتان وجوب الوفاء بالعهود، ومن العهود ما قطعه الانسان على نفسه بالشرط المشروع، فانه يجب الوفاء به، وهذا دليل على انه يجب الوفاء بالشرط مطلقاً حتى قبل ورود النص الدال على شرعيتها.

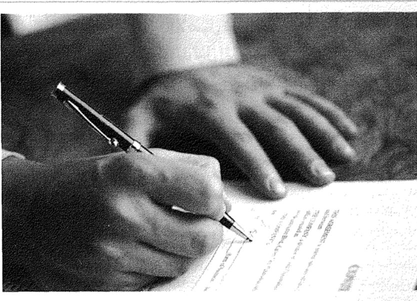
٤ -قال تعالى: ﴿وما يضل به إلا الفاسقين، الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون﴾ (١٩).

٥ - وقال سبحانه: ﴿والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به ان يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾ (٢٠).

وجه الدلالة من الآيتين

أفادت الآيتان وجوب الوفاء بالعهود والمواثق وحرمة نقضها او عدم الوفاء بها، بما اوردته من المدح والوعد الحسن لمن امتثل ذلك، والذم والوعيد الشديد لمن تنكب على ما ورد فيها من اوامر ونواه، ووجوب الوفاء بها ورد مطلقاً عن قيد ورود نص بشرعيتها او عدمه، ولو كان الاصل في الشروط الحظر الا ما ابيح بدليل شرعي، لما ورد الأمر بالوفاء بالشروط مطلقاً.

اعترض على الاستدلال بالآيات بما



يلي:

قال ابن حزم: لا خلاف في أن امر الله تعالى بالوفاء بالعقود ليس على عمومه او ظاهره، فقد جاء في القرآن الكريم الامر باجتناب النواهي، فمن عقد على معصية حرم عليه الوفاء بها، وكل شرط ليس في كتاب الله تعالى فهو باطل ويحرم الوفاء به كذلك، وعهد الله ما ورد به نص، وكل عهد منهي عنه فلا يحل الوفاء به، لانه ليس عهداً لله تعالى (٢١).

قال صاحب المنار: ان العقود التي اوجب الله تعالى الوفاء بها في قوله سبحانه: ﴿أوفوا بالعقود﴾، لا يتعين ان يكون المراد منها ما يلتزم به الناس بمتقضاها لبعضهم ، فقد يكون المراد منها ما اخذه الله تعالى على عباده من الايمان به وطاعته في كل ما امر به ونهى عنه، وقد يكون المراد منها العقود الخاصة بين الناس من نصرة المظلوم ومعاونة الضعيف وهو ما يطلق عليه الحلف، ولذا فلا تعد الآية دليلاً على ان الاصل في الشروط الاباحة (٢٢).

ثانياً: السنة النبوية المطهرة

١ - روي عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما ان رسول الله ﷺ قال: «اربع من كنت فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من نفاق حتى يدعها: اذا حدث كذب، واذا عاهد غدر، واذا وعد اخلف، واذا خاصم فجر» (٢٣).

٢ - روي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال:سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة» (٢٤).

٣ - روي عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال: «قال الله: ثلاثة انا خصمهم يوم القيامة: رجل اعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر اجيراً فاستوفى منه ولم يعطه اجره» (٢٥).

وجه الدلالة من الاحاديث

أفادت هذه الاحاديث ذم الغدر وعدم الوفاء بالعهد، وهذا دليل على وجوب الوفاء بالعهد مطلقاً، ومنه ما شرط في العقد وان لم يرد نص شرعي باباحته.

٤ - روي عن عمرو بن عوف المزني رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال: «الصلح جائز بين المسلمين الا صلحاً حرم حلالا او احل حراماً، والمسلمون على شروطهم الا شرطاً حرم حلالاً او احل حراماً» (٢٦).

٥ - روي عن أنس رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال: «المسلمون عند شروطهم ما وافق الحق من ذلك» (٢٧).

وجه الدلالة منهما

افاد الحديثان ان المسلمين ملتزمون بما الزموا انفسهم به من شروط، لما لم يترتب على اعتبارها اباحة محرم او تحريم مباح، وهذا دليل على ان الاصل في الشروط الاباحة الا ما خالف منها الشرع.

اعتراض على الاستدلال

قال ابن حزم ان حديث «المسلمون على شروطهم»، لم يخل طريق من طرقه من كذاب او ضعيف، ولذا فلا يصلح حجة لاثبات حكم شرعي، وعلى فرض صحته فانه لا يصلح مستمسكاً لم احتج به على ان الاباحة هي الاصل في الشروط، لان الشروط فيه اضيفت الى المسلمين، وشروطهم هي ما ودر عن الشارع نص باباحتها، ولذا أبطل رسول الله ﷺ في حديث بريرة كل شرط لم ينص عليه في كتاب الله تعالى، وما ورد في بعض روايات الحديث من قول الرسول ﷺ: «الا شرطا احل حراما او حرم حلالا»، او «ما وافق الحق من ذلك»، فان ذلك ليس بحجة لمن استدل به، بل هو حجة عليه، لانه يدل على بطلان كل شرط يحل المحرم او يحرم الحلال، او لا يوافق الحق، ولا يعلم ان الشرط بهذه المنزلة الا من قبل الشرع، فكانت الشروط المعتبرة شرعاً والتي لا يترتب عليها ذلك هي ما ورد بشرعيتها الدليل (٢٨).

ثالثاً: الاجماع

انعقد اجماع الفقهاء على صحة عقود المسلمين، اذا تعاقدوا عقوداً لم يعلموا عند عقدها حكمها، ولم يقيد احد صحة العقد بلزوم كون العاقد يعتقد مشروعيته بالنص على حله، ومن ثم فلا دلالة على ان اذن الشارع الخاص لا يشترط لصحة العقود والشروط، لانه لو كان معتبراً لما صح عقد ولا شرط الا بعد ثبوت الاذن فيه من قبل الشارع وذلك ممنوع فلم يبق الا القول بحلها (٢٩).

رابعاً: دليل الأصل

١ - ان الشروط من باب الافعال المعتادة، والاصل فيها الاباحة، فيستصحب عدم التحريم حتى يرد الدليل المحرم، واذا انتفى التحريم لم تكن فاسدة فتصح، لان منشأ الفساد من التحريم.

لم يرد عن الشارع ما يدل على تحريم

الشروط في الجملة، الا ما ثبت تحريمه بعينه، وانتفاء الدليل المحرم دليل عدم حرمة الشروط بحسب الاصل (٣٠).

خامساً: القياس

ان الشروط في حق المكلفين كالنذور في حق رب العالمين، فكل طاعة جاز فعلها قبل النذر لزمت به، وكذلك كل ما جاز بذله بدون اشتراط لزم بالشرط، بل ان الشروط في حق العباد اوسع من النذور في حق الله تعالى، والالتزام به اوفى من الالتزام بالنذر، فمقاطع الحقوق عندالشروط (٣١).

سادساً: المعقول

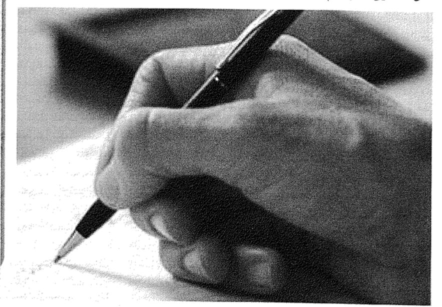
١- ان مدار العقود على تراضي العاقدين، لقول الله تعالى: ﴿لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا ان تكون تجارة عن تراض منكم﴾ (٣٢)، وقوله سبحانه: ﴿فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً﴾ (٣٣)، وروي عن ابي سعيد الخدري ﷺ ان رسول الله ﷺ قال: «انما البيع عن تراض» (٣٤)، حيث رتب الشارع حل اكل مال الغير على رضاه وطيب نفسه بذلك، وفي هذا تنبيه الى ان ما تراضى عليه العاقدان، فانه يصلح سبباً للحل وترتب الحقوق بمقتضاه، ما لم يترتب عليه اباحة محرم او تحريم مباح.

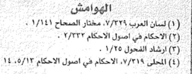
٢- ان الشروط من الافعال المقصودة للناس لتحقيق حاجاتهم، بحسبانها وسيلة لجعل العقود محققة مصلحة العاقدين منها، ولما لم يثبت تحريمها ابيحت رفعا للحرج والضيق عن الناس، لان منع الالتزام بها في موضع الحاجة اليها حرج وضيق من غير نص او مصلحة تسوغه.

٣ - ان الشروط في العقود من قبيل الافعال العادية التي الاصل فيها عدم التحريم، لانه يلتفت فيها الى المعاني، بخلاف العبادات فان الاصل فيها التزام النص، وما يلتفت فيه الى المعاني لا يقف المكلف فيه عند النص، بل كل ما تحقق فيه المعنى تعدى الحكم اليه (٣٥).

المناقشة والترجيح

والذي يرجح في النظر من المذهبين- بعد استعراض ادلتهما، والاعتراضات الواردة على بعضها- هو ما ذهب اليه القائلون بأن الاصل في الشروط هو الحظر حتى يرد الدليل الشرعي المبيح لها، لما استدلوا به على مذهبهم، ولان الامر بالوفاء بالعقود والعهود والشروط والنهي عن الخيانة فيها، لم يكن مطلقاً بل مقيداً بما شرع منها، وهذا وان لم يرد في النصوص الآمرة بالوفاء او الناهية عن الغدر والخيانة، الا انه ورد في نصوص اخرى، من مثل حديث بريرة، وقول رسول الله ﷺ فيه »: ما كان من شرط ليس في كتاب الله فهو باطل وان كان مائة شرط».





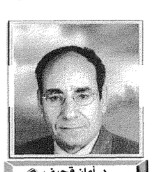
الهوامش

(١) لسان العرب ٧/٣٢٩، مختار الصحاح ١/١٤١ .
(٢) الاحكام في اصول الاحكام ٢/٣٣٢ .
(٣) ارشاد الفحول ١/٢٥ .
(٤) المحلى ٧/٣١٩، الاحكام في اصول الاحكام ٥/١٣، ١٤ .
(٥) فتح القدير ٦/٤٤٢، رد المحتار ٥/٨٥، تبيين الحقائق ٤/٥٧، بداية المجتهد ٢/١٢٠، حلي المعاصم ٢/٨، روضة الطالبين ٣/٤٠٥، مغني المحتاج ٢/٣٢، المنثور ٢/٢٣٩، المغني ٤/٣٠٨، فتاوى ابن تيمية ٣/٤٧٤، اعلام الموقعين ١/٣٤٤ .
(٦) من الآية ٣ من سورة المائدة.
(٧) الآية ١٤ من سورة النساء.
(٨) من الآية ٢٢٩ من سورة البقرة.
(٩) اخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، (فتح الباري ٥/٨٩، صحيح مسلم ٣/١٢٤٣).
(١٠) اخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، (فتح الباري ٥/١١٦، صحيح مسلم ٢/١١٤٢).
(١١) القواعد النورانية ١٤٣-١٤٥ .
(١٢) اعلام الموقعين ٢/٢٦٢ .
(١٣) اخرجه الطبراني في الاوسط، والحاكم في علوم الحديث، وأبو حنيفة في مسنده من طريق عتاب بن اسيد يرفعه، وفيه راو مجهول.
(١٤) اخرجه أحمد في مسنده والترمذي والنسائي وأبو داود في سننهم، وقال الترمذي: حسن صحيح، وسكت عنه ابو داود والنسائي (مسند أحمد ٢/٥٩٥، سنن الترمذي ٢/٥٣٥، سنن ابي داود ٢/٧٦٩، سنن النسائي ٧/٢٩٥).
(١٥) الاحكام في اصول الاحكام ٥/١٥-١٦ .
(١٦) من الآية الاولى من سورة المائدة.
(١٧) من الآية ١٥٢ من سورة الانعام.
(١٨) من الآية ٣٤ من سورة الاسراء.
(١٩) الأيتان ٢٧،٢٨ من سورة البقرة.
(٢٠) من الآية ٢٥ من سورة الرعد.
(٢١) المحلى ٧/٣٢٠ .
(٢٢) تفسير المنار ٦/١١٨ .
(٢٣) متفق عليه، (صحيح البخاري ١/٢١، صحيح مسلم ١/٧٨).
(٢٤) اخرجه البخاري ومسلم (صحيح البخاري ٣/١١٦٤، صحيح مسلم ٣/١٣٥٩).
(٢٥) اخرجه البخاري في صحيحه ٢/٧٧٦ .
(٢٦) اخرجه الحاكم في المستدرك، وسكت عنه، واخرجه الترمذي والبهيقي وابو داود وابن ماجه والدارقطنى في سننهم وقال فيه الترمذي: حديث حسن صحيح.
(٢٧) اخرجه الحاكم في المستدرك، والدارقطنى في سننه وسكتا عنه، وقال ابن حجر، اسناد هذا الحديث واه.
(٢٨) الاحكام في اصول الاحكام ٥/١٤ .
(٢٩) ابن تيمية: القواعد النورانية ١٤٣ .
(٣٠) المصدر السابق.
(٣١) اعلام الموقعين ٣/٣٠٢ .
(٣٢) من الآية ٢٩ من سورة النساء.
(٣٣) من الآية ٤ من سورة النساء.
(٣٤) اخرجه ابن حبان في صحيحه، والبيهقي وابن ماجة في سننهما، وقال الكناني في مصباح الزجاجة، هذا اسناد صحيح ورجاله ثقات.
(٣٥) فتاوى ابن تيمية ٣/٤٨٦-٤٨٨ .
(٣٦) اخرجه الحاكم في المستدرك وصحح اسناده، واخرجه الترمذي والبهيقي وابن ماجة في سننهم، والديلمي في مسند الفردوس، والطبراني في الكبير.

اقتصاد

الوسطية في الاقتصاد الإسلامي

لا تنشغل الأوساط العالمية على مختلف صعدها السياسية والثقافية والاجتماعية بشيء في اللحظة الراهنة كانشغالها بالأزمة المالية والاقتصادية التي تهدد الميزانيات المالية للبنوك والدول في الوقت الحالي، ومازالت الندوات تقام والمؤتمرات تعقد في مشارق الأرض ومغاربها من أجل دراسة المشكلة والوقوف على اسبابها وتداعياتها، وبالتالي محاولة التعامل معها بصورة صحيحة وشكل ايجابي.



د. أمان قحيف

الملاحظ في العقود الأخيرة أنه كلما ظهرت أزمة مالية او اقتصادية تهدد البشرية في مستوى رفاهيتها أو في استقرارها المالي تتعالى بعض الاصوات الغربية - ولا نقول العربية - مطالبة بوجوب التعاطي مع النظرية الاقتصادية في الاسلام بصورة محايدة وشكل ايجابي من اجل فهمها والانتفاع بأطروحاتها اذا كان الى ذلك من سبيل، ويكفي ان نشير في هذا السياق الى ان روسيا عندما مرت بأزمة مالية عقب انهيار الاتحاد السوفيتي ارسلت في مطلع التسعينيات من القرن الماضي محافظ بنك الدولة ومحافظ موسكو مع مجموعة من الخبراء الاقتصاديين الى مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر الشريف للتعرف على النظرية الاقتصادية في الإسلام، فشرح لهم أساتذة الاقتصاد فلسفة النظام الاقتصادي الإسلامي، وموقف الإسلام من الملكية وحركة الأسواق، والسياسات النقدية ، ونظام مالية الدولية.. وبعد هذا اللقاء قال محافظ بنك الدولة الروسي لعلماء الاقتصاد بالازهر الشريف: كيف تكونون على هذه الحالة من التخلف ولديكم هذا النظام التنموي الفاعل؟! ومع ظهور بوادر الأزمة المالية الراهنة عقد مجلس الشيوخ الفرنسي في مايو ٢٠٠٨م ندوة خاصة لدراسة «التمويل الإسلامي» وانتهوا الى أنه من الضروري أن تنظر المصارف الأوروبية والأميركية نظرة إيجابية الى ما جاء من حديث عن الاقتصاد في القرآن الكريم وتحترمه.

والحق أن ما يلفت نظر الغربيين والشرقيين على السواء في الاقتصاد الإسلامي هي الروح الوسطية التي يتمتع بها وتسود مختلف جنباته، فهو نظام يحقق الوسطية في بعديه الاقتصادي والمصرفي بصورة لا تتوافر لغيره من المذاهب الاقتصادية والنظم المصرفية المغايرة له، والحق انه يمكن ان نضع ايدينا على وسطية الاقتصاد الاسلامي من خلال الوقوف على النقاط التالية:

الروح الوسطية في بناء المجتمع الإسلامي

معروف ان هناك العديد من المجتمعات التي تقام وتبني على أسس مادية صرفة فقوامها المادة وعمادها الاقتصاد، الأمر الذي جعل الفلسفة الماركسية ترى أنه يمكن تفسير كل مظاهر تطور وارتقاء الوجود الانساني، وكذلك حركة التاريخ البشري في ضوء المادة والاقتصاد، وهذا ما يسمى بالتفسير المادي للتاريخ.. في حين نجد النظام الاقتصادي الاسلامي يسعى الى تأكيد أن «الهدف من بناء هذا المجتمع الإسلامي لم يكن مادياً، اي انه لم يكن اقتصادياً، بالرغم من ان الاقتصاد عصب الحياة، ولكنه كان هدفاً شمولياً، هو تكوين الأمة الإسلامية، ولو بني المجتمع على أساس اقتصادي صرف لكان في الإمكان إيجاد مجتمعات ووحدات اقتصادية متفرقة لا تخدم الفكرة الاسلامية، كان من الممكن مثلا ألا تجد بعض القبائل العربية مصلحتها في وحدة عربية، فالذين يتاجرون - مثلا - مع الفرس قد يجدون مصلحتهم في تدعيم الوحدة الاقتصادية الفارسية العربية، والذين يتاجرون مع الروم أو مع الأحباش قد يجدون مصلحتهم في إقامة وحدة اقتصادية عربية رومية أو عربية حبشية» (١).

وهكذا ندرك ان المجتمع الاسلامي لم يكن ليقام على اسس مادية صرفة ولا اسس روحية صرفة، بل لقد اخذ من المادة بنصيب باعتبارها من اساسيات الحياة، وعني بالجانب الروحي الذي تفقد الحياة قيمتها ومعناها من دونه، وتلك وسطية تضمن وتكفل للمجتمع البقاء والنجاح والازدهار.

بين الملكية الفردية والملكية العامة

معلوم أن المذاهب الاقتصادية المادية التي تتنازع الساحة العالمية الآن تنقسم الى مذهبين، أحدهما رأسمالي يسمح للإنسان أن يمتلك من الثروة ما يشاء، ولا يعنى بردم الهوة بين الفقراء والأغنياء الا في حدود ضيقة، والمذهب الثاني شيوعي أو اشتراكي يؤكد ملكية الدولة للمؤسسات الصناعية والمالية والتجارية، بمعنى ان الدولة هي المسيطرة على السلطة والثروة والسلاح، وفيه يتم -تقريبا- تجريد الانسان الفرد من الملكية الخاصة.

غير ان للإسلام موقفه الوسطي الخاص في هذا السياق، وللإلمام به يقتضي الأمر أن ندرك ان «المنهج الاسلامي وسط لأنه لم يصادر حرية الانسان في الملكية او في اختيار العمل الذي يلائمه، بل

* أكاديمي مصري

أباح الملكية لكنه وضع حدوداً وتشريعات للمالك في ملكيته، وجعل للمجتمع حقوقاً في ملك الأفراد، وأمر بالعمل وجعله حقا وواجبا، وأباحه وأمر به زراعة وتجارة وصناعة وحرفاً في الوقت نفسه، وحدد له حدوداً، فكل عمل من زراعة او تجارة أو صناعة حرام ما أضر بالمجتمع، فزراعة المخدرات او التجارة في الخمر حرام... وهكذا» (٢).

فالإسلام أحل الملكية الفردية وجعل لها حرمة، مادام طريق كسبها مشروعاً ولا يتعارض مع مصلحة المجتمع ولا تضره حسبما يرى التشريع الحنيف.. غير ان حرمة الملكية الخاصة في الاسلام مشروطة بأن يتوفر لكل فرد حد الكفاف، أي الحد الأدنى اللازم لمعيشته، بمعنى انه ان وجد في المجتمع الاسلامي جائع واحد او عار واحد، فان حق الملكية لأي فرد من أفراد هذا المجتمع لا يجب احترامه ولا تجوز حمايته، ومؤدى ذلك ان هذا الجائع الواحد، او المضيع الواحد يسقط شرعية حدود الملكية الى ان يشبع.. وهذا يفسر لنا قول الرسول ﷺ «...ايما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله تعالى» (رواه أحمد).

وسطية توزيع الثروة

وتقتضي الوسطية في الملكية الفردية والعامة أن يعتمد الإسلام الوسطية كمنهج وأسلوب في توزيع الثروة، و«من هنا يختلف الاقتصاد الاسلامي عن الاقتصادات الوضعية السائدة، فهو لا يقر التفاوت الشديد أو تسلط أقلية على مقدرات الجماعة كما هو شأن المذهب الفردي والنظم المتفرعة عنه كالرأسمالية، كما لا يقر إذابة أو إزالة الفوارق واقامة المساواة الفعلية أو المطلقة كما هو شأن المذهب الجماعي والنظم المتفرعة عنه كالاشتراكية والشيوعية، وإنما هو يحترم التباين والتفاوت تبعاً لاختلاف المواهب والقدرات، مع تقريب الفوارق أو الفجوة بين افراد المجتمع أو دول العالم، بما يحقق لها التعاون والتكامل لا السيطرة والاستغلال» (٣).

هكذا يدرك المرء أن الإسلام لا يرفض التفاوت في الحصول على الثروة لكن يرفض ان يجتمع المال - كله أو أغلبه - في يد فئة قليلة من المجتمع، «فالتفاوت في توزيع الثروات والدخول هو أمر طبيعي يقره الإسلام تبعاً لاختلاف المواهب والقدرات، بل يعتبره ضرورة لخلق الحوافز وتحقيق التعاون والتكامل سواء على المستوى المحلي أو العالمي، ولكن الذي رفضه الإسلام بشدة هو التفاوت الفاحش في توزيع الثروات والدخول، والذي تستأثر من خلاله فئة معينة من الأفراد أو دول معينة بالخير كله، مما يؤدي الى تهميش marginilijation الأغلبية أو اغترابها alienation وإثارة حقدها وثورتها» (٤) لذا نرى الدول الإسلامية النفطية تمد يد العون والمساعدة للشعوب الاسلامية غير النفطية عندما تتعرض الاخيرة الى ازمات أو عندما يكون لديها طلبات ملحة وعاجلة.

واذا كان الاسلام يبيح امتلاك المال فان منهجه يتميز عن الرأسمالية بكونه يرفض اتساع الشقة بين الاغنياء والفقراء، ففي مجتمع المدينة «كانت مهمة ولي أمر المسلمين - النبي ﷺ - ان يحاول بسياسته المالية تقريب الشقة بين الفقراء (وهم المهاجرون في الغالب) والاغنياء (وهم الانصار في الغالب)، وكان ذلك متيسراً بما أفاء الله عليه من أموال بني النضير وبني قينقاع وبني قريظة وخيبر بعد ذلك»(٥).. وتلك هي سنة النبي ﷺ في هذا السياق واتبعها الخلفاء الراشدون من بعده.

وسطية النظام المصرفي الاسلامي

معلوم أن لكل مذهب من مذاهب الاقتصاد نظامه المصرفي الذي يتحرك وفقاً لخدمة الايديولوجية السائدة في المجتمع، فهناك بعض الاختلافات والفروق بين النظم المصرفية المعمول بها في الدول التي يسود فيها الفكر الاشتراكي وبين النظم السائدة في الدول ذات التوجه الرأسمالي، وهنا نتوقف لنوضح ان النظام المصرفي الاسلامي يتباين في العديد من النقاط عن النظم الاقتصادية الوضعية، سواء كانت رأسمالية ام اشتراكية، فاذا امعنا النظر في النظام المصرفي الوضعي فإننا نجده تجارة بالمال «أخذاً وعطاءً واستخداماً للمال في المصلحة الشخصية لاصحابه دون إعمال للمصلحة العامة ونتيجة ذلك ان يزداد الفقير فقراً، وهنا يظهر جلياً مبدأ «الغاية تبرر الوسيلة» والغاية هنا هي تحقيق اكبر نسبة عائد بغض النظر عن الوسيلة الى تحقيق هذا العائد.

تلك هي طبيعة النظام المصرفي الوضعي وتلك هي النتائج التي انتهى اليها، أما النظام المصرفي الاسلامي فنجده ينطلق من «الأساس الذي يقوم عليه الاقتصاد الإسلامي وهو «أن المال مال الله» استخلف عليه الإنسان لاشباع حاجاته المشروعة دون اسراف او تبذير، وعليه استخدامه في إعمار الأرض والالتزام بعدم الإضرار بالآخرين عند تنميته لهذا المال والانتفاع به، فهو وسيلة لا غاية في حد ذاته.

الهوامش

١- عبدالكريم غلاب، الفكر العربي بين الاستلاب وتأكيد الذات، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م. ص ٨١.

٢- طاهر عبدالمحسن سليمان، علاج المشكلة الاقتصادية في الإسلام، دار البيان، القاهرة، ١٤٠١هـ -١٩٨١م، ص٤١، بتصرف.

٣- المصدر نفسه، ص١٩، ٠٢.

٤- المصدر نفسه، ص٠٢.

٥- طاهر عبدالمحسن سليمان مرجع سابق، ٣٤٢.

٦- د. رضا أحمد مغاوري، النظم المصرفية في الإسلام، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ذو القعدة ٧٢٤١ هـ، نوفمبر ٢٠٠٦م، ص١١.

الخبر الصحافي في القرآن والسنة



د. عبدالله بدران

شاءت إرادة الباري عز وجل أن يرضى الإسلام ديناً للبشر كافة، وأن ينزل عليهم كتاباً هادياً منيراً يبين لهم الحقائق، ويرشدهم إلى طريق النور والهدى، ويهديهم إلى جادة الحق والصواب، ويحذرهم من السير في دروب المعاصي والفساد، وأنزل سبحانه وتعالى فيه جملة من المعاملات التي تنظم للناس أمور حياتهم، وشؤون معيشتهم، ودعمها بالأوامر التي تحضهم على التحلي بمكارم الأخلاق وفضائل الأعمال، وبين لهم فيه ما يهمهم من أمور دينهم وعقيدتهم، حتى يصبح ارتباطهم بهذه العقيدة ارتباطاً قوياً متيناً لا تزول أواصره ولا تفك عراه.

والقرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد، وتربية وتعليم ودعوة إلى الطريق القويم، لكننا لا نعدم وجود إشارات مهمة في البيان الإلهي تناولت جوانب إعلامية مختلفة، وأدت وظائف وغايات ذات أهمية بالغة، وعلى الرغم من أنه اتفق مع وسائل الإعلام في التوجيه للإنسان واتخاذه ميداناً للعمل، فإنه يختلف عنها في سعة مساحة العمل، ودائرة التوجيه، وهي قبل ذلك لا تدانيه في الغاية والنتيجة، كما يختلف عنها في المصدر والمضمون (١).

ويعد الخبر الصحافي حجر الأساس في الصحافة، ومنه تتفرع جميع الفنون الصحافية الأخرى، كالتحليل الإخباري، والتقرير الإخباري، والمقال، كما يعد الأساس الذي قام عليه كل من الخبر الإذاعي والخبر التلفزيوني.

والخبر قديم قدم البشرية، فمنذ أن وجد البشر على ظهر البسيطة وهم يتناقلون الأخبار فيما بينهم، ويتداولون في لقاءاتهم واجتماعاتهم أخبار كل منهم، عن صيده، ورزقه، وعمله، وأسرته، وشؤونه، وقد تطور هذا الشكل البسيط من الأخبار شيئاً فشيئاً، فصار الإنسان ينقل أخبار الآخرين إلى مجتمعه، كما ينقل أخبار مجتمعه إلى من يلتقيهم خارج إطار هذا المجتمع، وبذلك انتقلت الأخبار من المحيط المحلي إلى المحيط الإقليمي وهكذا بدأت الأخبار تنتشر شيئاً فشيئاً، وتتسع دائرة الناقلين لها، والمستمعين إليها.

وعرف العرب قبل الإسلام الكتابة ودونوا بها، وكان أهم ما دونوه، لحسن الحظ، هو ذلك الذي يحمل مضموناً إعلامياً أرادوا بتدوينه أن يكون بذلك شبه وثيقة، وهي هنا وثيقة سياسية أو عسكرية تعني وقف العدوان أو الحرب، أو التعهد بالحماية، أو إبرام حلف بين قبيلة وأخرى.

ولم تكن الدولة الإسلامية عندما قامت في المدينة المنورة في أوائل القرن السابع الميلادي بعيدة عن استخدام الأخبار المطبوعة، فقد استخدم الرسول ﷺ الكتابة الخطية، وما الدستور الذي وضعه بعد هجرته إلى المدينة، والمعروف تاريخياً باسم الصحيفة، بالإضافة إلى رسائله الشريفة إلى ملوك وأمراء عصره إلا نماذج تاريخية لذلك الاستخدام.

وكما كانت هذه الصحيفة دستور مؤاخاة ونظام حياة للدولة الإسلامية الجديدة فإنها أيضاً كانت بمنزلة الإعلام المكتوب عن هذه الدولة، والذي يقوي جبهتها ضد أي خروج عليها (٢) كما كان للرسائل المرسلة إلى الأفراد والملوك وزعماء القبائل رجع الصدى المناسب، مما يؤكد نجاحها في الإعلام عن الدين الإسلامي (٣).

ومع توسع رقعة الدولة الإسلامية وانتشار الفتوحات ازدادت الرسائل بين الخلفاء المسلمين والملوك والرؤساء، وتم في العصر الأموي إنشاء ديوان الرسائل، وديوان الجند، وكان هذا الأخير يتولى ختم الرسالة المرسلة من الخليفة حتى لا يطلع أحد عليها غير المستقبل لضمان أن الرسالة تسير في اتجاه واحد من المرسل إلى المستقبل دون تغييرات، أو تحريفات، أو تشويش (٤).

بين الخبر والنبأ في الكتاب الكريم

وردت مادة خبر ومشتقاتها في سبعة

* صحافي في وكالة الأنباء الكويتية

مواضع من القرآن الكريم، في حين وردت مادة (نبأ) ومشتقاتها في ٧٩ موضوعاً.

من ذلك قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَاراً سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ (النمل: ٧).

وتتحدث الآية الكريمة عن رحلة موسى عليه السلام مع زوجته من مدين إلى مصر في ليلة ظلماء، حيث رأى من بعيد ناراً تتأجج وتضطرم فقال لأهله مستبشراً بمعرفة الطريق والاصطلاء بالنار: إني أبصرت ناراً سآتيكم منها بخبر عن الطريق أو آتيكم منها بشعلة نار، تستدفئون بها في هذه الليلة الباردة، وكان الأمر كما قال، فإنه رجع منها بخبر عظيم هو النبوة، واقتبس منها نوراً عظيماً لا ناراً، هو نور الرسالة (٥).

ومن أمثلة النبأ قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (الأعراف: ١٧٥).

وهذه الآية نزلت في عالم من علماء بني إسرائيل، وقيل من الكنعانيين، وروي عن ابن عباس أنه رجل من اليمن اسمه بلعم بن باعوراء، أوتي علم بعض كتب الله، فانسلخ منها، وكفر بآيات الله ونبذها وراء ظهره.

والخطاب الإلهي موجه إلى رسول الله ﷺ أن اقرأ على المسلمين خبر الذي علمناه آياتنا، ولكنه لم يعمل بها، وتركها وراءه، وتجرد منها إلى الأبد، فلحقه الشيطان وأدركه وصار له قريناً، وتمكن من الوسوسة له، فأصغى إليه، فصار من الضالين الكافرين، لميله إلى الدنيا واتباع الهوى والشيطان (٨).

وهذا المثال أخبر به الباري عز وجل عن حدث وقع في الماضي، وهو حدث معروف لدى اليهود، ليتذكر اليهود ما حدث لذلك الرجل، ويعتبروا بنهايته، ويعلموا أن من أوتي علماً من الكتاب وجب عليه تطبيقه، والالتزام به والعمل بأحكامه، وعدم نبذه وراء الظهور، وإلا فإن العاقبة ستكون وخيمة.

إن الأمثلة التي وردت تبين اهتمام البيان الإلهي بالقصة الإخبارية، وإعطاءها مساحات كبيرة في مواطن شتى من القرآن الكريم. وقد أتت هذه القصص بصيغ متعددة، حاملة أساليب الإعجاز القرآني

الخبر في الإعلام الإسلامي يتمتع بالأسس الفنية المتعارف عليها اليوم كالدقة والصدق والموضوعية والمرونة والشمولية

الخالد، مخبرة تارة عن الأقوام والأمم السابقة، وأخرى عن أحداث آنية تقع في عهد النبي ﷺ، وأحياناً عن أخبار مستقبلية تعد من الغيبيات التي استأثر الباري عز وجل بعلمها، أو أخبر بعضها رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام.

ويرى أحد الباحثين (١٠) ضرورة عدم إدخال الأخبار الغيبية مثل يوم القيامة وما شابهها في سياق المقارنة بالمصطلح الإعلامي للخبر للأسباب التالية:

١- الغيبيات التي يؤمن بها المسلم هي حقائق ربانية المصدر، ولا تحتمل الخطأ بتاتاً للمسلم، أما الأخبار التي يجمعها البشر فهي تحتمل الخطأ من حيث صدق الخبر كله أو بعض تفاصيله.

٢ - في مجال الاتصال البشري ما يعنينا هو الأخبار البشرية المصدر، أما الأخبار الغيبية عند المسلمين فهي خاصة بالمسلمين، ويقابلها في الديانات الأخرى غيبيات مثلها.

٣ - إن دراسة الأخبار في الإعلام الإسلامي تهدف إلى تصور عالمي السمة، رغم كونها مستنتجة من المصادر الإسلامية التي يؤمن بمصداقيتها المسلمون فقط.

وكما اهتم القرآن الكريم بالخبر الإعلامي لفظاً وأسلوباً ومعنى وتحريراً وصياغة اهتم النبي ﷺ أيضاً بالخبر الإعلامي، ومارسه بطريقة يجب أن يتعلم منها رجال الإعلام الإسلامي إلى يوم القيامة، فقد أخبر النبي ﷺ عن أشياء وصفات لبعض الناس، كما أخبر عن أشياء ستحدث فيما بعد وصدقها الواقع، هذا فضلاً عن اهتمامه بالأسلوب الإخباري، الذي يبرز في حسن اختياره للألفاظ المناسبة للمستمع أو المستقبل (١٠).

وقد استفاد الرسول الكريم ﷺ من وسائل الإعلام المتاحة في عصره فقام باقتباس بعضها أو تعديل مسارها وتطويرها وتوظيفها لخدمة الدعوة الإسلامية، بعد أن كانت موظفة لبث الخلافات وإثارة القلاقل والفتن بين القبائل العربية.

ومارس الرسول الكريم ﷺ العملية الإخبارية بنفسه فكان يعرض نفسه على القبائل في مواسم الحج، ويذهب إلى المناطق المجاورة لمكة ليعرض على أهلها رسالة السماء، ويجمع الناس ويخطب فيهم. ويرسل الرسائل إلى الملوك والزعماء، ويبعث أصحابه إلى القبائل والمدن ليأتوه بالأخبار الصادقة عن سكانها وأحوالهم.

إن ما ذكر عن الأساليب الخبرية في كتاب الله عز وجل، وممارسة النبي ﷺ للعملية الإخبارية، وما ورد عنه من أحاديث نبوية شريفة، يدل على تمتع الخبر في الإعلام الإسلامي بالأسس الفنية المتعارف عليها في الخبر الصحافي حالياً، كالدقة، والصدق، والموضوعية، والمرونة، والشمولية.

وفي ضوء ذلك فإنه يمكن تعريف الخبر في الإعلام الإسلامي بأنه تزويد الجماهير بالحقائق الموضوعية المتعلقة بالأمور الهامة وغير المعروفة مسبقاً بهدف الإفادة الدينية والدنيوية، وذلك باستعمال مختلف الوسائل الحديثة المتطورة والمناسبة (١٢).

أو هو من وجهة نظر أخرى المعلومات الدقيقة والصادقة التي تصف أو تشرح واقعة جرت وتهم فئة من الفئات أو جماعة من الجماعات التي تعرفها للمرة الأولى (١٢)

الهوامش

١- سيد محمد ساداتي الشنقيطي: مفاهيم إعلامية من القرآن الكريم، عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٠٦ هـ. ١٩٨٦م، ص٤٣.

٢- مرعي مدكور: الإعلام الإسلامي الطباعي في الدول غير الإسلامية في إفريقية، دار المعارف، القاهرة، مصر، د.ت دار الشروق، جدة، ط١٤٠٨ هـ. ١٩٨٨م ص ٣٧.

٣- المرجع نفسه، ص ٣٧.

٤- المرجع نفسه، ص ٤٣.

٥- وهبة الزحيلي: التفسير المنير، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط١. ١٤١١ هـ. ١٩٩١. ج١٩، ص٢٦٣.

٦- الزحيلي، ج١١، ص ٩.

٧-- سيد محمد ساداتي الشنقيطي: أصول الإعلام الإسلامي وأسسه، عالم الكتب، الرياض، ١٤٠٥ هـ. ١٩٨٦م ، ص ٧.

٨- الزحيلي: ج ٩، ص ١٦٢.

٩- سعيد إسماعيل صيني: مدخل إلى الإعلام الإسلامي، المفهوم والخصائص، دار المسلم، الرياض، ١٤١٦ هـ. ١٩٩١م، ص ٢٠٥.

١٠- صيني: ص ٢٠٥.

١١- عبدالوهاب كحيل، الأسس العملية والتطبيقية للإعلام الإسلامي، مكتبة القدسي، ١٤٠٦ هـ. ١٩٨٦م ص ١١٢.

١٢- كحيل: ص ١١٧.

١٣- كرم شلبي: الخبر الصحافي وضوابطه الإسلامية، دار الشروق، جدة، ط١٤٠٨ هـ. ١٩٨٨م ص ٥١.

المسلمون في ميانمار والحفاظ على الهوية

عبده دسوقي

ميانمار هي ما كان يطلق عليها قديما دولة « بورما »، وهي اسم لما يطلق عليهم أيضا مسلمو « أراكان »، وقد تعارفت الشعوب على تسميتها بورما (ميانمار أو أراكان)، وهذه الدولة غنية بالثروات، وتقع بين الهند والصين ومن ثم تبذل أميركا جهودا كبيرة لكسبها في صفها.

تقع دولة ميانمار في الجنوب الشرقي لقارة آسيا، ويحدها من الشمال الصين والهند، ومن الجنوب خليج البنغال وتايلاند، ومن الشرق الصين ولاوس وتايلاند، ومن الغرب خليج البنغال والهند وبنجلاديش، ويقع إقليم أراكان في الجنوب الغربي لبورما على ساحل خليج البنغال والشريط الحدودي مع بنجلاديش. وتقدر مساحتها بأكثر من ٢٦١,٠٠٠ ميل مربع، وتقدر مساحة إقليم أراكان قرابة ٢٠,٠٠٠ ميل مربع، ويفصله عن بورما حد طبيعي هو سلسلة جبال «أراكان يوما» الممتدة من جبال الهملايا. ويبلغ عدد سكان ميانمار ما يقرب من ٥٠ مليون نسمة، وتقدر نسبة المسلمين بـ ١٥٪ من مجموع السكان، نصفُهم في إقليم أراكان، ذي الأغلبية المسلمة، حيث تصل نسبة المسلمين فيه إلى أكثر من ٧٠٪ والباقون من البوذيين الماغ وطوائف أخرى. ويتكون اتحاد بورما من عرقيات كثيرة جداً تصل إلى أكثر من ١٤٠ عرقية، وأهمها من حيث الكثرة «البورمان» وهم الطائفة الحاكمة، وشان وكشين وكارين وشين وكايا وركهاين الماغ، والمسلمون ويعرفون بالروهينغا، وهم الطائفة الثانية بعد البورمان، ويصل عددهم إلى قرابة ٥ ملايين نسمة.

وميانمار بلد زراعي يعيش ثلاثة أرباع أهله على الزراعة، وأبرز حاصلاتهم الأرز وهو الغذاء الأساسي لمعظم سكانها، وتصدر منه كميات كبيرة، وتحتل المكانة الرابعة في تصدير الأرز بين دول العالم، وإلى جانبه تزرع الذرة والبذور الزيتية، ثم المطاط وقصب السكر والشاي، وتشغل الغابات مساحة واسعة تزيد على نصف مساحة البلاد، ولهذا يعتبر الخشب الجيد من أهم صادراتها، هذا إلى جانب بعض المعادن مثل: الرصاص والأنتيمون والبترول.

ميانمار والإسلام

يذكر المؤرخون أن الإسلام وصل إلى ميانمار في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد في القرن السابع الميلادي عن طريق التجار العرب، وتمركز المسلمون في إقليم أراكان الذي حكمه ما يقرب من ٤٨ ملكاً مسلماً على التوالي، وذلك لأكثر من ثلاثة قرون ونصف القرن، أي ما بين عامي ١٤٣٠م - ١٧٨٤م (٨٣٣ -١١٩٨هـ)، وقد شُكّلت أول دولة إسلامية في عام ١٤٣٠م بقيادة الملك سليمان شاه، وقد تركوا آثاراً إسلامية من مساجد ومدارس وأربطة مثل: مسجد بدر المقام في أراكان، ومسجد سندي خان الذي بني في عام ١٤٣٠م وغيرهما.

ويتركز المسلمون في ولاية أراكان المتاخمة لدولة بنجلاديش، وينتمون إلى شعب روهينغا، ويقول زعماء الجالية المسلمة في العاصمة رانجون: إن الإسلام دخل بورما منذ القرن الأول الهجري على أيدي التجار العرب، في حين تقول السلطات إنه دخل مع الاحتلال البريطاني للبلاد عام ١٨٢٤م، ومن هذا المنطلق يتم حرمان كل مسلم لا يستطيع إثبات جذوره في البلاد قبل هذا العام من الجنسية.

بين أنياب المحنة

في عام ١٧٨٤م احتل إقليم أراكان الملك البوذي البورمي «بوداباي»، وضم الإقليم إلى بورما خوفاً من انتشار الإسلام في المنطقة، وعاث في الأرض فسادا، حيث دمر كثيراً من الآثار الإسلامية من مساجد ومدارس، وقتل العلماء والدعاة، واستمر البوذيون البورميون في اضطهاد المسلمين ونهب خيراتهم، وتشجيع البوذيين الماغ على ذلك خلال فترة احتلالهم أربعين سنة، والتي انتهت بمجيء الاستعمار البريطاني، وفي عام ١٨٢٤م احتلت بريطانيا بورما، وضمتها إلى حكومة الهند البريطانية الاستعمارية.

في ١ أبريل ١٩٣٧م انفصلت بورما عن الإدارة البريطانية للهند نتيجة اقتراع بشأن بقائها مع مستعمرة الهند أو استقلالها لتكون مستعمرة بريطانية منفصلة، وفي عام ١٩٤٠م كونت ميليشيا «الرفاق الثلاثون» جيش الاستقلال البورمي (وهو قوة مسلحة معنية بطرد الاحتلال البريطاني)، وقد نال قادته (الرفاق الثلاثون) التدريب العسكري في اليابان، وعادوا مع الغزو الياباني في عام ١٩٤١هـ مما جعل ميانمار بؤرة خطوط المواجهة في الحرب العالمية الثانية بين بريطانيا واليابان، وفي يوليو ١٩٤٥م- وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية لصالح الحلفاء- أعادت بريطانيا ضمها كمستعمرة.

وفي عام ١٩٤٢م تعرض المسلمون لمذبحة وحشية كبرى من قِبَل البوذيين الماغ بعد حصولهم على الأسلحة والإمداد من قِبَل إخوانهم البوذيين البورمان والمستعمرين وغيرهم، والتي راح ضحيتها أكثر من مائة ألف مسلم وأغلبهم من النساء والشيوخ والأطفال، وشرد مئات الآلاف خارج الوطن، ومن شدة قسوتها وفظاعتها لا يزال الناس - وخاصة كبار السن- يذكرون مآسيها حتى الآن، ويؤرخون بها، ورجحت بذلك كفة البوذيين الماغ.

وفي عام ١٩٤٧م وقبيل استقلال بورما عقد مؤتمر عام

في مدينة بنغ لونغ للتحضير للاستقلال، ودعيت إليه جميع الفئات والعرقيات إلا المسلمين الروهينغا لإبعادهم عن سير الأحداث وتقرير مصيرهم.

وفي يوم ٤ يناير عام ١٩٤٨م منحت بريطانيا الاستقلال لبورما، شريطة أن تمنح لكل العرقيات الاستقلال عنها بعد عشر سنوات إذا رغبت في ذلك، ولكن ما أن حصل البورمان على الاستقلال حتى نقضوا عهودهم، ونكثوا على أعقابهم، حيث استمروا في احتلال أراكان بدون رغبة سكانها من المسلمين الروهينغا والبوذيين الماغ أيضاً، وقاموا بالممارسات البشعة ضد المسلمين.

وأوضاع المسلمين في البلاد قد تدهورت منذ الانقلاب العسكري الذي قاده الجنرال ني وين عام ١٩٦٢م حيث اتجهت الدولة منذ ذلك الحين إلى طرد المسلمين من الوظائف الحكومية والجيش.

حيث قامت السلطات في ميانمار خلال السبعينيات والثمانينيات بطرد مئات الآلاف من مسلمي الروهينغا إلى بنجلاديش المجاورة.

أهم مآسي المسلمين في ميانمار

١- التطهير العرقي، منذ أن استولى العسكريون على الحكم في بورما بعد الانقلاب العسكري بواسطة الجنرال (نيوين) المتعصب عام ١٩٦٢م تعرض المسلمون في أراكان لكل أنواع الظلم والاضطهاد من القتل والتهجير والتشريد والتضييق الاقتصادي والثقافي ومصادرة أراضيهم، بل مصادرة مواطنتهم بزعم مشابهتهم للبنغاليين في الدين واللغة والشكل.

٢- طمس الهوية والآثار الإسلامية، وذلك بتدمير الآثار الإسلامية من مساجد ومدارس تاريخية، ومنع المدارس الإسلامية من التطوير أو الاعتراف الحكومي والمصادقة على شهاداتها أو خريجيها.

٣- المحاولات المستميتة لـ «برمنة» الثقافة الإسلامية وتذويب المسلمين في المجتمع البوذي البورمي قسراً.

٤ - التهجير الجماعي من قرى المسلمين وأراضيهم الزراعية، وتوطين البوذيين فيها داخل قرى نموذجية تبنى بأموال وأيدي المسلمين جبراً، أو شق طرق كبيرة أو ثكنات عسكرية دون أي تعويض، ومن يرفض فمصيره الموت في المعتقلات الفاشية التي لا تعرف الرحمة.

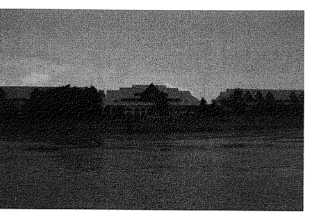
٥-الطرد الجماعي المتكرر خارج الوطن مثلما حصل في عام ١٩٦٢م عقب الانقلاب العسكري الفاشي حيث طرد أكثر من ٣٠٠،٠٠٠ مسلم إلى بنغلاديش.

وفي عام ١٩٧٨م طرد أكثر من ٥٠٠،٠٠٠ (نصف مليون) مسلم، في أوضاع قاسية جداً، مات منهم قرابة ٤٠،٠٠٠ من الشيوخ والنساء والأطفال- حسب إحصائية وكالة غوث اللاجئين التابعة للأمم المتحدة-، وفي عام ١٩٨٨م تم طرد أكثر من ١٥٠،٠٠٠ مسلم، وفي عام ١٩٩١م تم طرد قرابة ٥٠٠،٠٠٠ مسلم.

٦- حرمان أبناء المسلمين من مواصلة التعليم في الكليات والجامعات، ومن يذهب للخارج يُطوى قيده من سجلات القرية، ومن ثم يعتقل عند عودته، ويرمى به في غياهب السجون.

٧- فرض الضرائب الباهظة عليهم في كل شيء، والغرامات المالية، ومنع بيع المحاصيل إلا للعسكر أو من يمثلهم بسعر زهيد لإبقائهم فقراء، أو لإجبارهم على ترك الديار.

وإزاء هذه الأوضاع المأساوية التي تتم في غفلة من العالم الإسلامي الذي اكتفى- حتى الآن- ببعض المساعدات المادية (كمشروع إفطار الصائم ولحوم الأضاحي الذي تنفذه الندوة العالمية للشباب الإسلامي وهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية والجمعيات الإسلامية في البحرين وجمعية الشارقة الخيرية وغيرهم) لم ييأس مسلمو أراكان، ونجحوا في صياغة موقف دولي داعم لهم في إطار رفض المجتمع الدولي لسياسات النظام العسكري المستبد في بورما، ويطالبها بالانتقال إلى الحكم المدني.



كما أنهم أنشأوا منظمة سميت «تضامن الروهنجيا» عام ١٩٨٢م، وهي المنظمة الرئيسية التي تدافع عن حقوق أبناء أراكان، وقبلها كانت توجد منظمة أربيف (جبهة الشعب الروهنجي) التي ضعفت وتضاءل دورها.

ولقد تأسست منظمة «تضامن» على يد مجموعة من العلماء والدعاة من أبناء أراكان، مثل د.محمود يونس (أول رئيس للمنظمة)، وشيخ الدين محمد نائبه وقتها، ورئيس المنظمة حالياً، والشيخ سيف الله خالد، والبروفيسور محمد زكريا، ونالت تضامن عضوية الندوة العالمية للشباب الإسلامي، وتعترف بها المنظمات الإسلامية الدولية الأخرى.

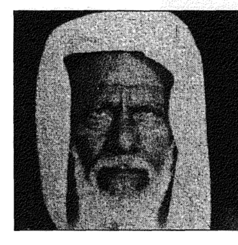
وتتركز أنشطة «تضامن» في أوساط لاجئي الروهنجيا المسلمين في البلاد الموجودين فيها خاصة بنجلاديش وباكستان، ولها أنشطتها داخل أراكان -وإن كان بطريقة غير علنية- حيث يمنع النظام الشيوعي العسكري الحاكم أي عمل خيري أو ثقافي أو تعليمي إسلامي، بل إنه يضع المسلمين في سجن كبير يضطرهم الى الهجرة خارج بورما، حيث يحظر النظام على أي مسلم الانتقال من قرية إلى أخرى؛ فأصبحت كل قرية سجناً بالنسبة لسكانها المسلمين. وفي ظل عدم وجود دولة إسلامية مجاورة قوية تتبنى قضية مسلمي أراكان يستغل النظام البورمي الفرصة بين الحين والآخر لتشريد المسلمين، ونهب ثرواتهم وممتلكاتهم في أراكان مما يضطرهم للهجرة.

الشيخ محمد بن الشيخ أحمد الخلف

(١٨٩٦-١٩٨٦م)

هو الشيخ محمد بن الشيخ أحمد الخلف السبيعي نسبا، والكويتي بلداً، والشافعي مذهباً، وينتهي نسبه إلى قبيلة السبيعي ولقد ولد والده في مدينة الحريج في نجد وجاء يتيماً مع القافلة إلى الكويت

وفي الكويت تزوج عائشة بنت عبدالله المقبل وسكن في سكة عبدالرزاق.



في سكة عبدالرزاق ولد الشيخ سنة ١٣١٤هـ (١٨٩٦م)، ونشأ في حضانة والدته، حيث إن والده ترك الكويت بسبب سوء المعيشة طالباً الرزق في أرض الفاو.

وفي هذه المرحلة نشأ الشيخ في بيت اشتهر بالصلاح والتقوى فترعرع في أحضان الفضيلة، وتلقى أصول العلوم الشرعية ومبادئها فتلا كتاب الله العزيز صغيراً وحفظه، فاستقام لسانه، ووعى قلبه كتاب الله فاستضاء به، كما علمه والده القراءة والكتابة ومبادئ الحساب.

مصادر علمه الشرعي

ارتقى الشيخ محمد مدارج العلم.. مرحلة بعد مرحلة حتى صار علماً من أعلام المنطقة، وتولى منصب الإفتاء وهو ما يزال فتى، وقد رحل في سبيل طلب العلم إلى منابعه، ويمكن أن نجمل ذلك فيما يلي:

أولا- المرحلة الأولى:

وفي هذه المرحلة أرسله والده إلى الكويت عندما فتحت المدرسة المباركية أبوابها في أول المحرم سنة ١٣٣٠هـ - الموافق ٢٢ من ديسمبر سنة ١٩١١م، وكان عمره آنذاك أربعة عشر عاماً تقريباً.

ولكنه لم يكمل دراسته بها- على ما نعتقد- وذلك راجع لأحد سببين:

- إما لأن المدرسة المباركية قد هبت عليها رياح التجديد، وقد تزعم حركة التجديد فيها عدد من رواده، وقد كان والد فتانا من المحافظين على القديم فلم تعد المباركية مدرسة صالحة لولده.

- وإما لأن الفتى أو والد الشيخ لم يجدا في المدرسة المباركية ما يحقق طموحهما إلى طلب المزيد من العلم.. فلم تضف المدرسة جديداً إلى ما تعلمه الفتى من والده، لهذا غادرها إلى البحرين.

ثانيا- المرحلة الثانية: الرحلة إلى البحرين

انتقل فتانا من الكويت إلى البحرين سعياً وراء طلب العلم.. علّه يجد هناك ما يروي غلته، ويحقق طموحه وطموح والده، واختار البحرين لقربها وبإيعاز من والده.. وهبط محمد البحرين، وتلقى العلم فيها على يد قاضيها وعالمها الأوحد- في زمانه- الشيخ قاسم بن مهزع الذي طبقت شهرته آفاق الخليج كله.

ثالثاً- المرحلة الثالثة: الرحلة إلى الاحساء

وبعد أن روى ظمأه من علم شيخه قاسم في البحرين، وحقق مأربه، يمم وجهه شطر الإحساء، حيث «الهفوف» مدينة العلم والعلماء، وهناك أناخ مطيته بباب الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن الملا والشيخ أحمد العلي العرفج والشيخ محمد العثمان الشافعي وغيرهم، وعلى هؤلاء العلماء الأفذاذ درس علوم الشريعة صافية من كل شائبة.

رابعاً- المرحلة الرابعة: الرحلة إلى بر فارس

ولما كان فتانا طالب العلم من الصنف النهم الذي لا يعرف الشبع من العلم كانت رحلته الرابعة إلى بر فارس، حيث علماء المذهب الشافعي ومدارسه الشرعية، فحط الفتى رحله في إحدى مدارس المذهب، وبالأخص المدرسة الأحمدية في بلدة «لنجة»، وفيها درس على يد الشيخ محمد بن حسن القنبري (ت: ١٣٣٣ هـ)، الذي يعتبر من أبرز تلاميذ الشيخ أحمد بن محمد الصديق، المعروف بالقصاب، وربما درس- أيضا- على الشيخ أمان الحبشي، حيث كان معاصرا للشيخ محمد القنبري، ومدرساً في مدرسة الأحمدية.

ثم درس فتانا الشيخ في مدرسة الشيخ سلطان العلماء، التي بناها في سنة (١٣٣٢ هـ -١٩١٤م) الشيخ القدوة،

المربي الفاضل عبدالرحمن بن يوسف الخالدي، وتولى التدريس فيها بنفسه، فأحسن وأجاد، ونشر علوم الفقه والحديث والتفسير والنحو، وقد أكرم الله فتانا الشيخ بتلقيه العلم على الشيخ عبدالرحمن في مدرسته.

خامساً- المرحلة الخامسة: رحلته إلى بغداد

ما يزال الفتى الشيخ قادراً على الترحال، وكلما ازداد علماً ازداد نهمه وطلب المزيد، فارتحل إلى بغداد.

ومع هذا فإننا نميل، بعد تحديد السنة التي طلب فيها صاحبنا العلم ببغداد وهي (١٣٤١ هـ - ١٩٢٣م)، الى ترجيح أن الذين درس عليهم هم:

١- الشيخ يوسف أفندي بن السيد محمد نجيب بن السيد أحمد بن السيد خليل.

٢- الشيخ نجم الدين) بن ملا عبدالله الدسوقي، الشهير بالواعظ.

٣- الشيخ عبدالسلام بن السيد أحمد بن السيد عبدالله بن عبدالحافظ الهيني.

أعماله

أولاً: الإفتاء

بعد أن اشتد الفتى واستوى، وآتاه الله حكمة وعلما، عاد الى موطنه، وألقى عصا التسيار في «الفاو» عام (١٣٤١ هـ- ١٩٢٣م)، وكان عمره إذ ذاك خمسا وعشرين سنة، وفي هذه السن المبكرة قلده والده منصب الإفتاء، بعدما عرف ما عند ولده من علم وفقه حصله من رحلاته في دول الخليج العربي، وتزوده من مدارس العلم الشرعي في الأمصار التي ارتحل إليها.. وظل الفتى الشيخ متقلداً منصب الإفتاء حتى وافاه الأجل المحتوم.

ثانياً- الإمامة

لم يعرف شيخنا الاستقرار طويلاً، فقد ألف الانتقال من مكان إلى آخر، ولذا عاد إلى الكويت وطنه عالما، وقد صار الفتى شيخاً، فتولى مهمة الإمامة

الشيخ ارتقى مدارج العلم.. حتى صار علماً من أعلام المنطقة وتولى الإفتاء وهو فتى

والخطابة والوعظ في أحد مساجد جزيرة «فيلكا» التي نزلها عام ١٩٤٥م، إلى جانب أنه كان يفتي الناس في أمور الدين، وما يجد لهم من أقضية، وانتقل من فيلكا إلى مدينة الكويت، واتخذ له بيتا في الشرق بقرب مسجد العوضي، وصار إماماً للمسجد وخطيباً وواعظاً.

ثم انتقل من الشرق إلى حي القادسية واتخذ له بيتا فيه، كما بنى له مسجداً كان هو إمامه وخطيبه وواعظه إلى أن مات.

ثالثا: مستشاراً

كانت ترد عليه بعض المسائل من المحكمة الشرعية في الكويت بخطاب رسمي- من باب المشاورة- وكان يرد عليها.

رابعاً: الدعوة إلى الله

قام الشيخ بواجب الدعوة إلى الله على بصيرة.. فسلك طريق الأنبياء والصالحين، والعلماء العاملين، ما وسعه الجهد، وكان في وعظه حريصا على نشر الفضيلة، ومحاربة الرذيلة، فأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، وحارب المفاسد التي أصابت المجتمع الإسلامي من التعري، والتبرج، والمجون، والفسق عن طريق وسائل الإعلام المتعددة، وكان- رحمه الله- يشدد علي مضار التلفاز على الأسرة المسلمة.

ولقد أسلم على يديه خمسة من الكفار.

الأول: هندوسي، سماه عبدالله.

والثاني: بانياني هندي أيضا، سماه محمد الصادق.

والثالث: كان صابئيا من العراق، ختنه، وسماه عبدالله موزان.

والرابع: كان أوروبياً لا يحسن العربية، رئيسا في المركب، ومعه الترجمان، ولما علم الشيخ أن ليس لهذا الرئيس أي غرض شخصي في إسلامه، أخذ ييسر له الطريق حتى أسلم على يده وحسن إسلامه، وسماه زياد سليم.

والخامس: يدعى عبدالمسيح، وكان شابا من الأناضول، جيء به فأسلم، فختنه، وعلمه أمور الدين، ولم يزل عنده في مكانة الابن.

أخلاقه وعبادته

تخلق الشيخ بأخلاق السلف الصالح، فكان- رحمه الله- عابداً، زاهداً في الدنيا وزخارفها، منقطعاً عن الناس ومجالسهم الفارغة، وكان يشغل يومه في المطالعة أو العبادة، فكان كثير التلاوة لكتاب الله تعالى، كثير الحج، وكان في حجه يقضي معظم وقته في بيت الله الحرام بالصلاة حتى ليقال: إنه لا يفتر عن الصلاة فيه.

وكان شيخنا لا يترك صلاة التسابيح في ليلة الجمعة ما بين المغرب والعشاء، يصليها جماعة مع إخوانه من الصالحين.

مؤلفاته

لم يكن شيخنا مؤلفا بالمعنى المعروف، ولكنه كان واعظاً ومرشداً، وخطيبا، وقد غلب ذلك على كتاباته، فلم يكن همه منصباً على التأليف نظراً لانشغاله بالعبادة وبوعظ العامة.

١- كتاب «لسان الحال» في المواعظ والأمثال.

٢- «جواب السائل ودليل العاقل»، أورد فيه كثيراً من الخطب والأحاديث ومجالس الوعظ.

٣- ديوان شعر.. طبع في ذيل كتاب جواب السائل.

٤- كتاب «إرشاد المسلم»، يغلب على هذا الكتاب الإرشادات الفقهية وجاءت على هيئة سؤال وجواب.

وفاته

انتقل إلى رحمة الله في ١٠ من محرم سنة ١٤٠٦هـ - الموافق ١٤ من سبتمبر ١٩٨٦ غفر الله له وجزاه على ما قدم جنات تجري من تحتها الأنهار.

•المصدر: علماء الكويت وأعلامها - عدنان الرومي

مفخرة من مفاخر الحضارة الإسلامية

عمارة السلطان قايتباي وعصر المماليك الذهبي للعمارة الإسلامية

جادالله فرحات

بدأت العمارة الإسلامية بهجرة الرسول ﷺ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، حيث كان أول عمل قام به ﷺ هو بناء المسجد، وكان هذا المسجد في غاية البساطة، جدره من اللبن (الطين غير المحروق) وسقفه من الجريد وعمده من جذوع النخل.

ومن المعلوم أن المسلمين في بدء الدعوة الإسلامية انصرفوا بجميع قواهم إلى الفتوحات والحروب ولم يكن هناك من مجال للاهتمام بالنواحي الفنية والإعمار. وقد أوجب تأسيس دولتهم الجديدة تجنيد جميع القوى والطاقات لتثبيت كيان ودعائم هذه الدولة حتى استقام عودها وتبوأت المقام اللائق بها بين الدول المعروفة في ذلك الوقت، فإذا ما تحقق للمسلمين ذلك انصرفوا إلى الإعمار والبناء والتفنن في الريادة والزخرفة وقد أخذ هذا الاتجاه والميل يتبلور عبر العصور الإسلامية الزاهية التي تلت عصر التقشف الذي نهجه الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم، فصارت عمارات المسلمين ومدنهم العامرة ظاهرة تختلف كل الاختلاف عن تلك التي كانت قائمة قبل الفتوحات الإسلامية.

ويعتبر عصر المماليك العصر الذهبي في تاريخ العمارة الإسلامية، حيث الإقبال على تشييد المساجد والمدارس والأضرحة وغيرها والتنوع والإتقان في شتى العناصر المعمارية من منارات وقباب وزخارف كما روعي في بناء المساجد بناء المدارس والأضرحة إلى جانب المساجد ذات الإيوانات والأعمدة والأكتاف، ونحن سنتكلم عن عمارة السلطان قايتباي كمثال للعمارة المملوكية.

مسجد ومدرسة السلطان قايتباي

السلطان قايتباي هو السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي الجركسي، ولد في سنة ٨٣٦ هـ-١٤٢٣م، وبويع بالسلطنة في سنة ٨٤٢هـ- ١٤٦٨م وقد ظل ملكاً لمصر نحو ٢٩ سنة وأقام كثيراً من المنشآت المعمارية من مساجد ومدارس ووكالات ومنازل وأسبلة وقناطر للمياه كما عني بالعمارة الحربية وبالحصون فأنشأ قلعة بالاسكندرية وأخرى برشيد وقد توفي في سنة ٩٠١ هـ - ١٤٩٦م. وينسب إليه ما يزيد على سبعين أثراً إسلامياً ما بين إنشاء وتجديد.

مجموعة قايتباي الفنية من أبدع المجموعات المعمارية في العالم بجمال التنسيق والنسب القيم

وتعتبر مجموعة قايتباي بالقرافة الشرقية من أبدع وأجمل المجموعات المعمارية في مصر الإسلامية، وترجع أهميتها إلى جمال تنسيق المجموعة مع بعضها، وهي تتكون من مدرسة ومسجد وسبيل وكتّاب وضريح ومئذنة وقد لعبت دقة الصناعة وكذا جمال النسب دوراً مهماً في إبراز جمال هذا الأثر المعماري القيم.

ويتكون المسقط الأفقي من صحن مربع محاط بأربعة إيوانات أكبرها إيوان القبلة الذي يشرف على الصحن بواسطة عقد مدبب من طراز نعل الفرس كما هو الحال في إيوان القبلة بمدرسة الظاهر برقوق بالنحاسين، وتكتنف المحراب من جهتيه نافذتان شكلهما من الخارج داخل تجويف مستطيل الشكل ومن الداخل تظهران معقودتان وتعلوهما نوافذ مدببة تملأها أجزاء من الزجاج الملون، وأسقف الإيوان الرئيسي من الخشب المزخرف والمحلى بنقوش مذهبة، وقد كان الصحن في بادئ الأمر بسقف من الخشب يعلوه منور مثمن، وبجوار إيوان الصلاة الضريح الذي يبرز قليلاً عن الواجهة الجانبية ومغطى من أعلاه بقبة حجرية محمولة على مقرنصات مزخرفة من الخارج بزخارف نباتية داخل مناطق هندسية محفورة على الحجر، والمدخل الرئيسي معقود بعقد ذي ثلاثة فصوص، وإلى يمين المدخل ترى المئذنة وتعتبر من أجمل المآذن المصرية المعروفة بنسبها الجميلة وجمال زخرفتها، وإلى يسار المدخل يوجد السبيل ويعلوه الكتاب ويعلو الواجهة افريز من الشرفات النباتية.

مدرسة الأشرفية في القدس

وتسمى المدرسة السلطانية أو المدرسة الأشرفية السلطانية نسبة إلى السلطان الأشرف قايتباي، وكان الأمير حسن الظاهري ناظر الحرمين قد قدمها سنة ٨٧٧هـ - ١٤٧٢م إلى السلطان الذي رتب أمورها وعين لها أوقافاً، ثم قام السلطان عام ٨٨٠هـ - ١٤٧٥م بهدمها وإعادة بنائها وانتهى بعد سبع سنوات وأصبحت من روائع المباني القدسية.

وتتكون المدرسة من طبقتين ومدخل جميل يمتاز بالزخارف والكتابات ويؤدي إلى دركاه فيه سلم حجري، وفي شماليها مسجد للحنابلة تشغله مكتبة المسجد الأقصى وتشكل الطبقة العليا منه مدرسة للبنات وفيه صحن وأربعة أواوين.

سبيل السلطان قايتباي بالقدس

من أشهر السبل في القدس الشريف سبيل قايتباي وقد أنشئ في عهد سيف الدين غينال وأعاد بناءه السلطان قايتباي بالحجر

الملون وفرش أرضيته بالرخام ثم جدد في عهد السلطان عبدالحميد سنة ١٣٠٠هـ-١٨٨٢م، وهو مؤلف من بناء مربع مفتوح الجدران بنوافذ مستطيلة كبيرة ذات شباك معدني، وفي أعلى الجدران الخارجية كتابة رائعة، وتعلو هذا البناء قبة مملوكية مزخرفة بعروق نافرة فوقها رقبة ذات أركان أربعة وفتحات أربع، وينهض هذا البناء فوق بئر تعلوها خرزة والبئر محفورة في الأرض لتخزين مياه الأمطار وفوق البئر مزملة لتفريق الماء.

قلعة قايتباي بالاسكندرية

قلعة قايتباي التي مازالت بحالة جيدة منذ العهد المملوكي أبرز وأشهر أثر إسلامي في الإسكندرية وكان الملك الأشرف قايتباي آخر السلاطين المماليك قد أنشأها في وقت كانت فيه مصر تعاني اضطرابات واختلافاً مع الدولة العثمانية.

والقلعة هي برج مربع الشكل يدعم كل ركن من أركانه برج أصغر مستدير ويضم البرج عدة أبنية فيها مسجد وطاحونة وفرن ومقعد يطل على البحر الأبيض المتوسط.

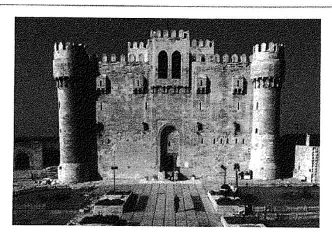
عمارة السلطان قايتباي بالمسجد النبوي

احتاج المسجد النبوي الشريف في بداية عهد قايتباي إلى كثير من أعمال الصيانة والتجديد، فأسند أمرها إلى الأمير المملوكي شمس الدين ابن الزمزمي، فجدد في سنة ٨٧٩هـ سقف الظلة المحيطة بصحن المسجد من الشرق لوجود خلل في بعض أعمدتها وعقودها وجعلها بسقف واحد في مستوى السقف الأسفل لمقدم المسجد. كما جدد في السنة نفسها الجزء الأمامي من جدار المسجد الشرقي مما يلي المنارة الواقعة في الركن الشمالي الشرقي والمعروفة بالنجارية ورمم ما بها من شقوق، ثم توقفت الأعمال حولا كاملا لاختلاف الآراء حول تجديد الحجرة الشريفة، ولكنهم عادوا في أوائل سنة ٨٨١ هـ فشرعوا بإشراف ابن الزمزمي أيضا في تجديد سقف الروضة المطهرة لوجود خلل في أخشابه من نداوة الأمطار فقرروا بناء عقود من الآجر يحمل عليها سقف المسجد الأعلى عوضا عن الأخشاب التى كانت توضع من قبل بشكل أفقي فوق تيجان الأعمدة.

وقد تهيأت الظروف في المدينة المنورة بعد اكتمال الأعمال المذكورة سنة ٨٨١ هـ لاستقبال سلطان مصر الأشرف قايتباي لأداء مناسك الحج فكان قدومه إلى المدينة المنورة في موسم ٨٨٤ هـ قدوم المؤمنين الأتقياء فترجل عند دخوله المدينة المنورة وامتنع عن دخول الحجرة الشريفة وقال: لو أمكنني الوقوف للزيارة في أبعد من هذا الموضع لفعلت.

بقي المسجد النبوي الشريف محتفظا بالعمارة التي جددها ابن الزمزمي لقايتباي في نهاية ٨٨١ هـ حتى تسببت صواعق حدثت قبل صلاة الصبح في الثالث عشر من شهر رمضان المبارك ٨٨٦ هـ في إصابة أعلى المنارة الرئيسة بشرر تساقطت منه الأحجار على سطح مقدم المسجد، وعلقت فيه النار بسقوف المسجد المجاورة لتلك المنارة وامتدت منها إلى سائر أجزاء المسجد الشريف في وقت قل فيه الحضور في المسجد إلا من بعض المؤذنين والفراشين، وقد اخفقت جهودهم مع من هب لمساعدتهم في إيقاف النار التي دمرت في وقت قصير جميع سقوف المسجد وحواصله وأبوابه وما فيه من خزائن الكتب النفيسة.

وقد هال الأمر سلطان مصر الذي أمر في الشهر ذاته بتنظيف المسجد وأوقف الأعمال التي بدأ تنفيذها في الحرم المكي الشريف آنذاك وسيرت آلات العمارة الخاصة بها مع القائمين عليها إلى المدينة المنورة، وجمع البنائين البارزين في حرف البناء الأخرى من مختلف أنحاء مصر وبلاد الشام وأسند الإشراف على البناء إلى ناظر العمارة الأولى شمس الدين بن الزمن، وقد وافق بعد التشاور مع المهندسين على هدم المنارة الرئيسة إلى أساسها ثم أعيد بناؤها على هيئة المآذن المملوكية، وشرعوا بعد ذلك في



هدم جدار القبلة بأكمله لاحتياجه إلى تعريض الأسس وتقوية البناء وكذلك سور المسجد الغربي من ركن المنارة النجارية المجاورة لباب السلام إلى باب الرحمة.

وعندما شرع البناؤون في إعادة بناء القبة الشرقية اقتضى رأيهم استحداث عدد من الأكتاف حول الحجرة الشريفة ونتيجة لضخامة هذه الأكتاف وكثرتها وتباين أحجامها فقد ضاق المسجد من هذا الجانب مما حدا بالمهندسين على هدم الجدار الشرقي من المنارة الرئيسة إلى باب جبريل وخرجوا به إلى الشرق بنحو ١٢٠م٢ ثم بنوا القبة بالآجر خلافا للخشب المستخدم فيها من قبل وقد جاءت قبة ضخمة ذات رقبة طويلة كحال قباب العصر المملوكي مما أدى إلى اختصارها أكثر من مرة.

بيد أن فرحة السلطان قايتباي بإنجاز هذا العمل لم تدم طويلا فقد فاجأته الأخبار في أوائل سنة ٨٩١ هـ بتشقق القبة الشريفة وميلان المئذنة الرئيسة فانتدب لاصلاحها الأمير شاهين الجمالي وأسند له نظارة الحرم ومشيخته وبدأ في العمل في أوائل سنة ٨٩٢ هـ فأصلح الجزء العلوي من القبة وجدد المنارة وزاد في ارتفاعها عشرون ذراعا بحيث أصبحت ١٢٠ ذراعا أي ٦٠ مترا تقريبا، ولاتزال تحتفظ حتى الوقت الحاضر بخصائص هذا التجديد بيد أن صاعقة أصابت جانبا منها في سنة ٨٩٨ هـ وسقط منها بعض الأحجار وسلم المسجد من الضرر، فقام الأمير المذكور باصلاح الخلل على وجه السرعة.

مستقبل العلم



د. مسعود صبري

تطلع الغربيون في نهاية عصر النهضة إلى أهمية العلم، وأملوا فيه أن يكون مخرجا وملاذا من الجوع والمرض ومن الحروب والدمار وغير ذلك من أسباب الهلاك الذي كانوا يعيشون فيه حينئذ. فحاولوا أن يفلتوا من أي شيء يعيقهم عن ارتقاء سلم العلم حتى ولو كان الموروث الديني. ثم أخذ الأوروبيون في بدايات القرن التاسع عشر يدركون أن العلم ليس سلما فقط للهروب من الصراعات الداخلية ومن المهلكات بل هو مفتاح لكنوز الأرض. ومن هنا آمنوا به إلها من دون الله في نهايات القرن التاسع عشر، لأنه سيحل لهم ليس فقط مشاكلهم الاقتصادية والصحية بل مشكلاتهم الدينية والنفسية وسيمنحهم الحياة السعيدة والخالدة على الأرض كما كانوا يتوهمون. ومن هنا سطر كبار فلاسفة أوروبا كتبهم حول ذلك الموضوع ومن أهم هؤلاء الفلاسفة الذين خصوا الموضوع بالكتابة أوجست كونت وارنست رينان، ولما كان الأخير قد كتب كتابا مطولا في الموضوع أردنا أن نعرض كتابه هنا لسببين: الأول، لنستبين هل نجح العلم بعد قرنين من الزمان أن يحل كل المشكلات الإنسانية رغم أنه فتح تقريبا كل مخازن الأرض؟ أما الثاني، فهو هل اكتشف الغرب حقا بعد هذا الشوط الطويل مع العلم أن الدين مجرد موروث ثقافي خرافي لا فائدة منه؟ أم أن الدين كان ولا يزال حاجة ضرورية للإنسان قدم له من لدن إله حقيقي مسيطر وفاعل بغية أن يستفيد من الكون ويعمره؟!

ومؤلف الكتاب «ارنست رينان» أديب وفيلسوف فرنسي عاش معظم القرن التاسع عشر حيث ولد عام ١٨٢٣ ومات عام ١٨٩٢ وهو في الوقت ذاته مستشرق معروف في العالم العربي والإسلامي، حيث درس ابن رشد في رسالته للدكتوراه وكتب عنه وعن الفلسفة الإسلامية كثيرا وكتب أيضا عن تاريخ العرب وآدابهم ولغتهم وخص نبينا محمدا ﷺ بمقال مهم. ويُعد رينان واحدًا من كبار ناقدي الدين المسيحي بصفة عامة والكتاب المقدس بصفة خاصة، فقد قام بدراسة الأناجيل دراسة نقدية، كما كتب عن تاريخ اليهود وتاريخ الكنيسة. ويعد كتابه «حياة المسيح» أهم كتبه على الإطلاق، حيث وصف المسيح بأنه إنسان غير مقارن مما أثار عليه رجال الكنيسة، وهو صاحب فكرة الاتحاد الأوروبي بين ألمانيا وفرنسا التي ظهرت بعده بقرن تقريبا حيث كتب مقالة شهيرة في هذا الشأن وهي: ما هي الأمة؟ وكان يرى في هذا المقال أن اتحاد كل من ألمانيا وفرنسا سيؤدي لإعادة تكوين الإمبراطورية الرومانية العظيمة التي كان يحلم بها.

أما كتابه «مستقبل العلم» فلم يطبع إلا قبل موته بعامين مع أنه ذكر في مقدمته أنه ألف كتابه هذا في بدايات شبابه، ويبدو من خلال معرفتنا بتطور أسلوب المؤلف أن هذا الكتاب أعيدت صياغته بالكامل قبيل طباعته حيث لا يحمل النص أي دلالة على تسرع الشباب، بل يحمل خبرة السنين وحنكة الفيلسوف ورشاقة الأديب. وجاء الكتاب في ثلاثة وعشرين فصلا ومقدمة طويلة أشبه بفصل من فصوله. وكان الغرض منه إثبات أن العلم هو مستقبل الإنسانية وليس الدين؛ بمعنى أن العلم سيصبح بديلا عن الدين في كل شيء أو سيصبح هو ذاته دين المستقبل. فقد بشر الدين الإنسان بالسعادة في الدار الآخرة أو حين عودة المسيح عند البعض، إلا أنه يبدو أن الآخرة ما هي إلا خرافة قدمها رجال الدين ليتصبر الناس وليتحملوا الآلام والمتاعب في سبيل سعادة أبدية آتية، كما يبدو أن المسيح لن يأتي إلى الأرض أبدا، فهو إنسان عظيم ومميز مات كغيره من البشر، وما عودته إلا تسلية عن الصعاب والشقاء لمن يؤمن بذلك. أما العلم فسوف يحل كل المشكلات التي تواجهها الإنسانية وربما يحل مشكلة الموت نفسها.

ركز المؤلف في الفصل الأول على مبدأ يراه غاية كل دين، بل هو دون سواه الجزء الذي لا يمكن إهماله من أي دين: ألا وهو الجانب الأخلاقي، حيث يعد هذا الجانب مبدأ كل شيء نبيل في تلك الحياة. ثم حمل المؤلف على مذهب التقشف المسيحي (الرهبانية) الذي أدى -في رأيه- إلى أن ترسف الإنسانية في أغلال الجهل، فبدلا من الانغماس في الحياة واكتشاف معانيها أبعد التقشف المسيحيين عنها، وبالتالي أصبح التطور العقلي بلا جدوى. ثم يذكر أن قيمة الإنسان ترتفع عن الحيوان بالمعرفة، حيث إن أفضل المشاعر هي تلك التي تأتي من أفضل فكرة، وأفضل فكرة تؤدي لأفضل عمل، كما أن الإنسان الكامل هو ذلك الذي يكون شاعرا أو فيلسوفا أو عالما. فهذا هو الإنسان الفاضل وليس ذلك المتقشف المنسحب من الحياة. ومن هنا فالمؤلف ظل يحمل على التقشف والزهد اللذين دعت إليهما المسيحية، لأنه كان من نتيجته البعد عن الأخذ بمنهج العقل والعلم مما أخر أوروبا قرونا كما حدث في العصور الوسطى. لهذا يجب أن تكون الأخلاق مفتاحا للعلم

أستاذ الفلسفة في جامعة المنيا

والمعرفة وليس للتقشف، ويجب أن يكون القديس الحقيقي هو ذلك الذي يضحي بحياته من أجل الحياة النموذجية والمفيدة، وليس ذلك المنعزل عن الدنيا. ولهذا يرى رينان أن باسكال أحد علماء الرياضيات في عصر النهضة هو القديس الحقيقي، لأنه خدم الإنسانية بعلمه.

ثم جاء الفصل الثاني ليؤكد فيه المؤلف على أهمية المعرفة وكيف أنها يجب أن تكون أولى قواعد الدين، فبدونها لن يفهم الإنسان الألوهية، ولن يعرف نفسه، وبواسطة المعرفة والحب يعرف الإنسان كيف يرتبط بالأشياء، وبالعلم وحده يشكل الإنسان الحقائق الضرورية لحياته ويحل صعابها ويكتشف أسرارها، فبالعلم يمشي الإنسان رافعا رأسه بدون خوف من الحياة، ليفعل كل ما يراه خيرًا من أجل نفسه ومن أجل الإنسانية. ولا يجب أن ينتظر الإنسان عمل التاريخ والزمن فيه كما كان في الماضي، بل يجب أن يعمل هو فيهما. فحركة التاريخ هي نتاج عمل ذلك الإنسان. ويجب أن يتحول العلم إلى عقيدة يُبحث عنها بأي ثمن فهي التي ستحقق رسالة العقل ليصلح المجتمع، ولا يجب أن نعتمد على مجرد التفاؤل المقدم بواسطة الدين فلن يقدم التفاؤل أي شيء بدون جهد وعمل. ويجب أن نواصل ثورتنا ضد الظلم وضد الجهل لإصلاح مجتمعنا بأنفسنا وبلا واسطة لنسيطر على الكون ولا ننتظر الآخرة..

ثم تتابعت فصول الكتاب الثلاثة والعشرون لتؤكد على أن العلم يمكنه أن يكون بديلا حقيقيا عن الدين في المستقبل.

فيلسوف القرن التاسع عشر كان يحلم باختفاء الإسلام وبروز العلم كدين القرن العشرين .. فهل تحققت أمنيته؟

فالعلم وحده هو الذي يقدم الحقيقة الحيوية والضرورية للإنسان، ومن غيره لا تطاق الحياة ولا يستقر المجتمع، وأخذ يبين أن العلم قبل عصر النهضة الأوروبية لم ينجز شيئا ذا بال، إنما العلم الذي كان يتطلع إليه المؤلف هو ما جاء بعد عصر النهضة الأوروبية، حيث أخذ العقل مكانه الحقيقي. ثم حمل المؤلف على الذين انتظروا شيئا من الدين، فحتى الإسلام الذي يقدر العلم فهو -من وجهة نظره- متناقض ولم يقدم تطورا علميا حقيقيا، فرغم أن مصادره أكثر مصداقية تاريخية فإنه الأضعف والأكثر سذاجة كما يقول المؤلف. ومع أن معظم مؤسسي العلم الحديث مؤمنون مثل كيبلر ونيوتن وديكارت فقد بقيت الروح الدينية أكبر عائق للتطور العقلي والعلمي. وذلك لأن هناك تناقضا أصلا بين العلم والوحي؛ لأنه مع الوحي يصبح دور العلم ثانويًا لا يستحق التضحية، فلا يمكن للإنسان أن يخدم سيدين في وقت واحد: الله والعلم.

ولن ينجز العلم مهامه إلا إذا تخلص تماما من الغيب، فالإيمان بالمعجزات يعني أن نستسلم لحكم الخيال ولا نعتد بقوانين الكون الصارمة. ثم بعد أن يبلغ العلم مداه في المستقبل لن يكون هناك غيب أصلا، فكل شيء سيصبح شهادة وواقع يمكن التحكم فيه. والعلم التجريبي سيعطي الإنسان الشعور بالحياة الحقيقية. والأعمال العلمية الحديثة التي تقوم على النقد ستهدم كل النظم العقائدية المرتبطة بالغيب. والإسلام الذي أبدى صلابة في هذا الجانب سيختفي بواسطة العلم الأوروبي في القرن العشرين. وينسب رأيا غير صحيح لرفاعة الطهطاوي ويبني عليه حكما بأنه ربما يأتي اليوم الذي تصبح فيه تلك الآراء المنحرفة عن الإسلام أقوى من القرآن! وليؤكد المؤلف فكرته تلك ذهب إلى أن تفسير الكتب المقدسة والتراثية ما هو إلا ثورة على تلك الكتب ومحاولة للإفلات من طوقها. ولم يثبت على الدين إلا المتمسكون بحرفية التراث lorthodoxe الذين يحاولون صنع المستحيل وهو الجمع بين العلم والدين. لأن الحقائق لا تناقض نفسها، ولما كان العلم يناقض الوحي، فإذن الدين هو من اختراع البشر أنفسهم وليس حقيقة يقينية.

ثم حاول رينان في الفصل الرابع بالذات أن يحمل على الملحدين والذين يعيشون بلا دين ووصفهم بأنهم أشخاص لا قيمة لهم، ومن هنا فلابد للإنسان أن يكون مؤمنا، لكن هذا الإيمان لابد أن يتحول عن الدين الموحى به إلى الدين الجديد الذي أنتجه الإنسان، ألا وهو العلم. فيجب أن يتطور المجتمع ليفهم العلم وليضع القواعد التي تساعد الضعفاء والفقراء ولا تترك الأغنياء وحدهم يجنون ثمار هذا العلم.

ثم حاول رينان أن يُقَوِّم الدين من خلال العلم ويحدد مستقبله من خلال رؤيته للعلم. فيقول في الفصل الخامس: فإذا كنا نقصد بكلمة دين: العقائد والتقاليد التي تظهر في مسوح التصوف والشعائر التي كانت في الماضي فيجب القول: إن الدين مثل تراثا بشريا لكنه سيختفي. أما إذا قصدنا من الدين أن يكون عقيدة مليئة بالحماس والعمل ومتوجة بالتطور والتضحية من أجل الآخرين فستظل الإنسانية متدينة. وهكذا يربط رينان استمرار الدين بمفهومه هو له، حيث لو كان المقصود من الدين الوحي والتراث فهو إلى زوال. أما إذا كان المقصود به طاقة روحية يستشعرها الإنسان وينتجها خدمة لنفسه وللآخرين فسوف تستمر تلك الطاقة. وأخذ رينان يعدد أهمية العلوم وتصنيفها والتي جعل على رأسها الفلسفة التي لا تعدو أن تكون علما في حد ذاتها، إنما هي إطار كل العلوم. ثم يأتي بعد الفلسفة علم السياسة، ثم العلوم التجريبية والتطبيقية، وكل فرع من فروع العلوم التطبيقية لابد أن يخدم التطور ويحل المشكلات. وتمنى المؤلف أن يتقدم علم النفس ليكون أكثر مما هو عليه في عصره ليكتشف جوهر الإنسان ويحلل دواخل النفس الإنسانية ودوافعها وكيفية تربيتها على أحسن وجه. ويجب دراسة لغات الإنسان وتاريخه. ويعد هذا الفن هو الوحيد من بين المعارف التي يرتبط فيها القديم مع الحديث ومع المستقبل.

هكذا كان يحلم رينان فيلسوف القرن التاسع عشر. ونحن من جانبنا نتساءل بعد أن انتهى القرن العشرون وآمن الإنسان بالعلم كما كان يحلم فلاسفة التنوير وبلغ العلم ما بلغ، هل استراح الإنسان؟ وهل تخليه عن الدين أوصله للطمأنينة التي كان ينشدها؟!



إعداد : علي الحربي

ديل تنتج نظام GPS يتلاءم مع الحاسب المحمول

أعلنت شركة ديل الرائدة في صناعة الحواسيب المحمولة إصدار نسخة من النظام العالمي لتحديد المواقع GPS وبطاقة Wi-Fi التي تتلاءم مع أجهزة الحاسب المحمول التي تنتجها الشركة، وأكدت الشركة أنه في حالة تركيب النظام الجديد فإن صاحب الحاسب المحمول يستطيع استخدامه بديلاً لأنظمة التوجيه المنتشرة حالياً مثل Garmin و Tom Tom، وأشار مدير المنتجات اللاسلكية في شركة ديل إلى أن الهواتف الذكية تحتوي علىGPS ونحن الآن ننوي إضافتها لأجهزتنا الحاسوبية المحمولة لتكون قادرة على تحديد مكان صاحبها وإرشاده إلى المكان الذي يريد.

وسيكون المنتج الجديد من ديل قادراً على تزويد المستخدم بصور ثنائية الأبعاد وأخرى ثلاثية الأبعاد، كما سيحتوي على الإمكانات التي تتوافر في أغلب المنتجات المنافسة، كالقدرة على حفظ طريق رحلة مثلاً بالإضافة إلى القدرة على إعطاء الإرشادات الصحيحة للطريق، ويعاب على هذا المنتج أنه يجب على المستخدم اصطحاب جهازه المحمول إذا ما أراد استخدام الجهاز الملاحي لمعرفة الطريق، في الوقت الذي يستطيع الشخص فيه الاستغناء عن الحاسوب واستخدام منتجات أخرى كالهاتف النقال الذي يحوي الخدمة نفسها، وتخطط ديل كغيرها من الشركات لتقديم عدد من الإكسسوارات الخاصة بالمنتج كالمثبت في السيارة والشاحن وغيرهما.

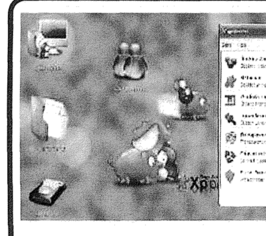
كمبيوتر يُجري ألف تريليون عملية في الثانية

بدأ أسرع كمبيوتر في أوروبا عمله في مدينة يوليش الألمانية، حيث يستطيع الكمبيوتر العملاق يوجينه إجراء ألف تريليون عملية حسابية في الثانية، ويصبح هذا الكمبيوتر بذلك الأول في أوروبا الذي تبلغ قدرته الحاسوبية «واحد بيتا فلوب»، وسيستخدم هذا الجهاز الفائق القدرة في المحاكاة العلمية للظواهر الطبيعية مثل ظاهرة التغير المناخي على سبيل المثال أو معرفة كيفية عمل ما يعرف بأشباه الموصلات.





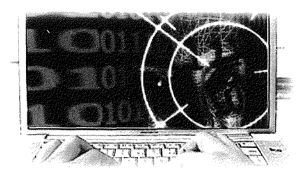
تعطيل المؤثرات البصرية للويندوز يرفع أداء الكمبيوتر



المؤثرات البصرية أو الـAnimation تضفي مظهراً جذاباً على واجهة استخدام نظام التشغيل الذي نقوم باستعماله، ويتميز نظام تشغيل شركة مايكروسوفت ويندوز بالعديد من المؤثرات البصرية، إلا أن تلك المؤثرات غالباً ما تؤثر في سرعة أداء الكمبيوتر، ولذلك يلجأ العديد من المستخدمين إلى إلغاء المؤثرات البصرية إذا وجد أنها تؤثر على سرعته، وأوضح الباحثون: لكي نقوم بعمل ذلك في نظام ويندوز XP نبدأ من My Computer ونضغط عليه بزر الفارة الأيمن ثم نختار Properties من القائمة الفرعية التي سوف تظهر لتفتح لنا نافذة System Properties ثم نختار Advanced وعن طريق Performance نضغط على Settings لتفتح لنا نافذة Performance Options وعن طريق النافذة السابقة نختارAdjust For Best Performance لتعطيل كل المؤثرات الحركية وبالتالي تحقيق أعلى أداء للجهاز، أما لو كنت من مستخدمي نظام ويندوز Vista فالخطوات تقريباً واحدة مع اختلاف المسميات بعض الشيء، فبعد اختيار Properties من خطوة My Computer نختار Advanced System Settings ونتبع الخطوات نفسها حتى النهاية كما في نظام ويندوز اكس بي.

ارتفاع كبير في حوادث أجهزة الكمبيوتر

سجلت دراسة حديثة ارتفاعاً كبيرًا في عدد الحوادث الناجمة عن أجهزة الكمبيوتر منذ أن أصبح الكمبيوتر متاحاً في المنازل، وكشفت الدراسة التي أجراها باحثون من جامعة أوهايو الأميركية ومركزين أميركيين لأبحاث الحوادث أن عدد حالات الإصابة التي تسببت فيها الكابلات وأجهزة الكمبيوتر والأجهزة الملحقة بها تضاعف سبع مرات في الفترة بين ١٩٩٤ و٢٠٠٨، وأظهرت الدراسة أن أكثر الأشخاص المعرضين للإصابة من جراء اصطدامهم بهذه الأجهزة أو التعثر بها أو حملها لتغيير وضعها هم الأطفال دون ٥ سنوات وكبار السن فوق ٦٠ عاما.



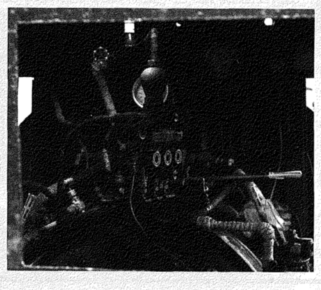
موقع رسول الله ﷺ

الهدف من موقع رسول الله ﷺ ليس مجرد سرد السيرة فقط من منظور تاريخي، إنما الهدف هو أن نجدد حبنا للمصطفى ﷺ، فهذا هو الغرض الأول ثم أن نتأسّى بالمصطفى ﷺ، وهذا هو الهدف الثاني وصدق الله إذ قال ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: ٢١) أما الهدف الثالث فأن نجعل من الأخلاق التي أكرم الله عز وجل بها رسوله محمداً ﷺ منهج دعوتنا إلى الله وأساس حوارنا مع عباد الله سبحانه وتعالى، والمشرف على هذا الموقع هو الداعية المشهور الشيخ محمد حسان.



إعداد : هالة محمد

أردني يخترع جهازاً كهروميكانيكيا لتشحيم الآليات



اخترع شاب أردني جهازاً كهروميكانيكيا لتشحيم الآليات وسحب الزيوت المحروقة منها وتزويدها بالزيوت بكفاءة وسرعة عالية في أي موقع تتواجد فيه.

وقد حصل الشاب محمد العويرات على براءة لاختراعه من وزارة الصناعة والتجارة الأردنية مؤخراً، يذكر أن للجهاز استخدامات عدة أبرزها تشحيم الآلات الثقيلة كالجرافات والقلابات والمعدات العسكرية الثقيلة كالدبابات وناقلات الجنود عبر شبك تايمرات كهربائية مع صمامات كهرومغناطيسية تقوم بتزويد الأجزاء المستهدفة بالتشحيم بصورة تلقائية، مما يوفر الوقت والجهد والأيدي العاملة وزيادة مرونة المحركات.

ونقل عن العويرات قوله إنه بإمكان هذا الجهاز تزويد الآلات الثقيلة بخمسة أنواع من الزيوت، كما أنه يقوم بسحب الزيوت المحروقة من الآلات الثقيلة في أي مكان من دون الحاجة إلى نقل هذه الآلات إلى أماكن تغيير الزيوت.

الرضع يجمعون المعلومات طوال الوقت

توصل علماء أميركيون إلى أن الأطفال الرضع أكثر ذكاء مما كان يعتقد في السابق.

ووجدت دراسة حديثة نشرت في مجلة «العلوم النفسية» أن بإمكان الطفل الرضيع في الشهر الخامس من العمر التمييز بين كوب ماء وبين كتلة زرقاء تشبهه تماماً.

وفي هذا السياق، قال الباحثون في جامعة نورث وسترن الأميركية إن قدرة الأطفال على التمييز بين المواد السائلة والصلبة في هذا العمر تعني أن لديهم معرفة فطرية، وليسوا بحاجة إلى مساعدة الآخرين لاكتساب المعرفة.

وقالت الباحثة سوزان هسبوس: «أظهر البحث أن الأطفال يجمعون المعلومات كل الوقت وهذا أمر مدهش».

نبات عشبي بماليزيا يكـ

توصل فريق علمي مشترك من الولايات المتحدة الأميركية وماليزيا، إلى اكتشاف مادة فعالة في نبات عشبي يعرف باسم «عكازة علي» يمكن استخدامها بشكل موسع في مكافحة أمراض السرطان ونقص المناعة المكتسبة «الايدز».

وأكدت وزارة العلوم والتكنولوجيا والإبداع الماليزية أن النبات الذي يستخدم في انتاج مشروبات صحية تبين أنه يحتوي على مواد لها القدرة على أداء وظيفة أخرى كمضادات للسرطان والملاريا إلى جانب قدرتها على مكافحة الايدز.

وذكرت الوزارة في بيان لها أخيراً أن هذا الاكتشاف جاء نتيجة

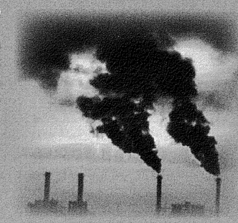
تأثيرات بيئية للاحتباس الحراري

أظهرت دراسة لنشطاء مهتمين بالطبيعة لاحظوا بناء الطيور أعشاشها مبكراً، وتفتح أزهار النباتات مبكراً، أن الربيع حل مبكراً أكثر من أي وقت مضى هذا العام في بريطانيا، وذلك نتيجة للتغيرات المناخية.

فعلى الرغم من مرور بريطانيا بواحد من أكثر مواسم الشتاء برودة في التاريخ الحديث فإنه قد برزت ثمة أدلة على أن الحياة البرية تستجيب للموسم الجديد في وقت أبكر بثلاثة أسابيع.

فلا يبدأ فصل الربيع رسمياً إلا بعد تساوي الليل مع النهار (أي النصف الثاني من مارس من كل عام) وبالفعل فقد أبدى آلاف الناس ملاحظاتهم للجمعية البريطانية للطبيعة حول التغيرات الطبيعية والمناخية.

ويقول المشرف على الدراسة شون نيكسون ان «توقيت الأحداث الطبيعية هو أحد أبرز الاستجابات الطبيعية للاحتباس الحراري. ولذلك فإنه مؤشر مهم على التغيير، اننا نشهد ما



يشبه العودة إلى شتاءات الماضي».

وعبرت الجمعية عن مخاوفها من ان يتم استغلال مختلف الكائنات لبدء نشاطها مبكراً بسبب دفء الطقس، وبذلك تصبح عرضة لنوبات البرد، وكذلك من أن يصبح هناك المزيد من الضغوط على المواد الغذائية.

ويقول نيكسون انه «ستكون ثمة تغيرات عاماً بعد عام، ولكن إذا عدنا الى الوراء ثلاثين عاماً يمكن أن نرى تقدماً ملحوظاً في موسم الربيع يصل إلى إسبوعين للحشرات وأسبوع واحد للمزروعات».

وأصدر هذا العام أكثر من ٢٥٠٠ عالم بيئي تحذيراً للسياسيين من تأثيرات الاحتباس الحراري اذا فشلت الحكومات في الحد من انبعاث الغازات.

وفي هذه الأثناء، يقول العلماء إن قدوم فصل الربيع قد يرفع معنويات الناس، ولكن قد يسبب الصداع النصفي فقد أشارت دراسة إلى أن ارتفاع درجات الحرارة يزيد اعداد الناس المصابين بالصداع بأنواعه.

...افح الإيدز والسرطان

برنامج الأبحاث المشتركة بين ماليزيا ومعهد «ماساتشوستس» الأميركي للتكنولوجيا والتي تركز على مجال التكنولوجيا الحيوية.

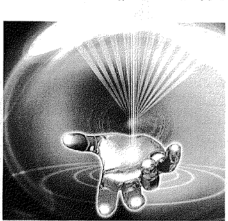
ولفت البيان الى أن المواد النشطة التي تحتويها نبتة «عكازة علي» التي تم تطويرها لإنتاج أدوية طبية على شكل كبسولات أثبتت فعاليتها وأثرها على وظائف الأعضاء وقدرتها على الوقاية من العديد من الأمراض الخطرة، حسب وكالة الأنباء الإسلامية.

وتعتبر نبتة عكازة علي من الأعشاب الثرية بالمواد المنبهة والمنشطة في جسم الإنسان على الرغم من احتوائها على نسب صغيرة جداً من الكافيين.

وتقوم شركات عدة في ماليزيا بتصنيع هذه النبتة من خلال استخلاص عصارتها واستخدامها في انتاج مشروبات صحية تلقى رواجاً في ماليزيا، ونجحت اخيراً في دخول السوق الياباني.

تيارات كهربائية لتقوية الذاكرة

قال علماء ألمان إن تحفيز الدماغ بتعريضه لتيارات كهربائية خفيفة أثناء النوم يساعد على تقوية الذاكرة، وعندما قام العلماء بتعريض طلاب يدرسون الطب لعدة تيارات كهربائية تشبه الموجات الطبيعية المتذبذبة في الدماغ أثناء النوم، فإنهم نجحوا في تقوية ذاكرة الطلبة ويعتقد العلماء الذين نشرت نتائج دراستهم أن تحفيز المخ قد يساعد الذين يعانون من متاعب تتعلق بالذاكرة ومرض الزهايمر.

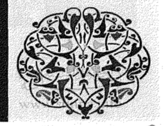




لاشك أن التجدد ومسايرة العصر من خصائص الرسالة الإسلامية الخالدة والصالحة لكل زمان ومكان، وهو لازم من لوازمها، وضمان لبقاء قدرتها على التكيف مع متغيرات الزمان والمكان، والاستجابة لمتطلبات المسيرة الإنسانية المتواصلة وحركة الحياة المستمرة في كل عهودها ومجتمعاتها ومعطياتها المختلفة بمعين لا ينضب وعطاء لا يتوقف، ومن مقتضيات الفقه لتحقيق تلك المقاصد عدم الجمود عند موقف واحد دائم في الفتوى أو التعليم أو التأليف والتقنين، بل ينبغي مراعاة مقاصد الشريعة الكلية وأهدافها العامة عند الحكم في الأمور الجزئية الخاصة.

د. عثمان عبدالرحيم
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف

D_othman71@hotmail.com



لجنة الإفتاء في وزارة الأوقاف

مشاركة المرأة بمسابقة القرآن الكريم أمام الرجال

(٥٥١٧) تعتزم وزارة التربية إقامة مسابقة في تلاوة القرآن الكريم لطالبات المرحلة المتوسطة والثانوية وبثها عبر التلفزيون على الهواء مباشرة، فهل يجوز شرعاً أن تبث وقائع المسابقة عبر شاشة التلفاز؟

الأصل أن صوت المرأة ليس بعورة، وأن لها شرعاً أن تقرأ القرآن حسب قواعد التجويد، وأنه لا مانع من إقامة هذه المسابقة لتلاوة القرآن الكريم للطالبات لما فيها من الحث على حفظ كتاب الله وتلاوته، وذلك بشرط أن يلتزمن بالضوابط الشرعية، سواء من حيث التلاوة أو اللباس أو غيرهما، وأما بثها عن طريق التلفاز فليس هناك ضرورة أو حاجة تدعو لذلك. والله أعلم.

كتابة اسم الله على غلاف البضاعة

(٥٥٢٢) هل يجوز ترويج البضاعة وجعل شعارها لفظ الجلالة، حيث إنها بعد استعمالها غالباً ترمى بالزبالة مع أنها تباع بالجمعيات التعاونية؟ واطلعت اللجنة على غلاف كرتوني مكتوب عليه كلمة «فرج الله» باللغتين العربية والإنجليزية.

إذا كانت جملة «فرج الله» المكتوبة على علبة الحلوى المرفقة هي اسم للشركة المنتجة لها، أو اسم للصانع، أو اسم للمصنوع، فلا مانع منها للحاجة إلى ذلك، ويجب في هذه الحال على مشتريها ومتداولها ألا يلقي بها بعد استهلاك ما فيها في القمامة، ولكن يحرقها أو يقطعها أو يتلفها بأي طريقة أخرى لا تدل على احتقارها أو التهاون فيها. والله أعلم.

غسل المرأة بعد التلقيح الصناعي

(٥٥٣٥) هل يجب على المرأة الغسل بعد أن استدخلت البويضة الملقحة بمني زوجها؟

لا يجب الغسل على المرأة بإدخال النطفة الملقحة إلى رحمها. والله أعلم.

الصلاة في الطائرة

يرجى التكرم بإفادتنا عن جواز الصلاة في مقعد الطائرة خلال رحلة السفر، حيث قد يصعب على الركاب أداء الصلاة واقفين في الطائرة خلال الرحلة بسبب وجود مطبات هوائية مفاجئة، هذا بالإضافة إلى أن الأماكن الفسيحة تكون عادة ممرات خدمة.

إن الصلاة إذا حلت على المسافر بالطائرة، فيلزمه أن يصلي قبل خروج الوقت، إلا إذا كان يجوز له جمع التأخير فيجوز له أن يؤخر إلى الوقت الذي يليه، وإذا لم يتمكن أن يصلي بالوضوء فليتيمم، ويتوجه إلى القبلة إن كان هناك متسع لذلك، فإن لم يتمكن جاز له أن يصلي إلى الجهة المتيسرة له ويصلي بالإيماء إن لم يتمكن من أداء الصلاة على وجهها.

استخدام الخطيب الحاسب الآلي على المنبر

(٥٥٤٧) شاهدنا قبل أيام في أحد المساجد عندنا خطيباً قد أدى خطبة الجمعة مستعيناً بالحاسب الآلي (المحمول) على المنبر، حيث إنه وضع المحمول على طاولة صغيرة أمامه على المنبر، وكان يخطب ارتجالاً، ولكنه عند ذكر الأدلة في خطبته كان يقرأ هذه الأدلة من الجهاز ذاكراً مصدر

الدليل وكذلك مخرجاً الآيات، وقد اختلف الناس بعد الخطبة بين مؤيد ومعارض. أفيدونا.

لا مانع من استعمال الحاسب الآلي على الصورة الواردة في السؤال، مادام مقتصراً على الخطبة دون الصلاة. والله أعلم.

وتوصي اللجنة الخطباء بأن يجتهدوا في حفظ ما يستشهدون به من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، فإن ذلك أوقع أثراً، وأبلغ تأثيراً في نفوس المصلين، فضلاً عما يناله من أجر بإذن الله تعالى. والله أعلم.

القراءة من الكمبيوتر في النافلة

(٥٥٥٠) هل يجوز لأئمة المساجد وضع جهاز كمبيوتر أمامهم في صلاة التراويح والقيام بديلاً عن المصحف، حيث إنه يوجد برنامج على الإنترنت يعرض المصحف كاملاً، ويتم التحكم بتقليب صفحات المصحف عن طريق الريموت (جهاز صغير يدوي).

تكره القراءة من المصحف على الصورة الواردة في السؤال، بأن يظهر المصحف على شاشة الكمبيوتر أمام نظر الإمام في المحراب، وذلك لما فيه من كثرة الانشغال من الإعراض أو التهاون في حفظ القرآن الكريم، ولقد جاء في الحديث الصحيح «يؤم القوم أقرؤهم» أي أحفظهم للقرآن، ومع القول بالكراهة فالصلاة صحيحة، والأولى تجنيب صلاة المأمومين المكروهات حتى تقع صلاتهم موقعاً يطمئنون معه إلى خلوها من كل موجب للتقصير فيها، ولأن ذلك قد يؤدي إلى عدم الخشوع. والله أعلم.

من القواعد الفقهية

١- الأصلُ براءةُ الذِّمَّة من الواجبات، ومن حقوق الخلقِ حتى يقوم الدليلُ على خلاف ذلك.

٢- الأصلُ بقاءُ ما اشتغلت به الذِّممُ من حقوق الله، وحقوق عباده حتى يُتيقنَ البراءةُ والأداءُ.

٣- كلُّ ما فيه عدد من العبادات: فإنّ المُتيقَّن هو الأقلّ، والزِّيادةُ من الشّك.

٤- المشقَّةُ تجلبُ التيسيرُ.

٥- ضابطُ المشقّة: المشقّة الزائدة التي لا يمكن للمكلَّف أن يستمرَّ على تحمّلها عادةً إلا ببذل أقصى الجهد، ولا يُمكن المداومة عليها؛ بحيث تؤدّي إلى وقوع الضّرر، أو الأذى في النفس، أو المال.

٦- لا واجبَ مع العجْزِ، ولا محرَّمَ مع الضّرورةِ.

القواعد والضوابط الأصولية والفقهية
عبدالرحمن السعدي

من قرارات هيئة كبار العلماء (الدورة الثالثة)

تمثيل الصحابة

١- إن الله سبحانه وتعالى أثنى على الصحابة، وبَيَّنَ منزلتهم العالية، ومكانتهم الرفيعة. وفي إخراج حياة أي منهم على شكل مسرحية أو فيلم سينمائي منافاة لهذا الثناء الذي أثنى الله تعالى عليهم به وتنزيل لهم من المكانة العالية التي جعلها الله لهم وأكرمهم بها.

٢- إن تمثيل أي واحد منهم سيكون موضعاً للسخرية والاستهزاء به، ويتولاه أناس غالباً ليس للصلاح والتقوى مكان في حياتهم العامة، والأخلاق الإسلامية، مع ما يقصده أرباب المسارح من جعل ذلك وسيلة إلى الكسب المادي، وأنه مهما حصل من التحفظ فسيشتمل على الكذب والغيبة، كما يضع تمثيل الصحابة رضوان الله عليهم في أنفس الناس وضعاً مزرياً، فتتزعزع الثقة بأصحاب الرسول ﷺ وتخف الهيبة التي في نفوس المسلمين من المشاهدين، وينفتح باب التشكيك على المسلمين في دينهم، والجدل والمناقشة في أصحاب محمد ﷺ ويتضمن ضرورة أن يقف أحد الممثلين موقف أبي جهل وأمثاله، ويجري على لسانه سب بلال وسب الرسول ﷺ وما جاء به من الإسلام، ولاشك أن هذا منكر، وكما يتخذ هدفاً لبلبلة أفكار المسلمين نحو عقيدتهم، وكتاب ربهم، وسنة نبيهم محمد ﷺ.

٣- ما يقال من وجود مصلحة، وهي: إظهار مكارم الأخلاق، ومحاسن الآداب، مع التحري للحقيقة، وضبط السيرة، وعدم الإخلال بشيء من ذلك بوجه من الوجوه؛ رغبة في العبرة والاتعاظ- فهذا مجرد فرض وتقدير، فإن من عرف حال الممثلين وما يهدفون إليه عرف أن هذا النوع من التمثيل يأباه واقع الممثلين، ورواد التمثيل، وما هو شأنهم في حياتهم وأعمالهم.

٤- من القواعد المقررة في الشريعة: أن ما كان مفسدة محضة أو راجحة فإنه محرم، وتمثيل الصحابة على تقدير وجود مصلحة فيه، فمفسدته راجحة؛ فرعايةً للمصلحة، وسداً للذريعة، وحفاظاً على كرامة أصحاب محمد ﷺ يجب منع ذلك.

وقد لفت نظر الهيئة ما قيل من أن محمداً ﷺ وخلفاءه الراشدين هم أرفع من أن يظهروا صورة أو صوتاً في هذا الفيلم- لفت نظرهم إلى أن جراة أرباب المسارح على تصوير «بلال» وأمثاله من الصحابة إنما كان لضعف مكانتهم، ونزول درجتهم في الأفضلية عن الخلفاء الأربعة، فليس لهم من الحصانة والوجاهة ما يمنع من تمثيلهم وتعريضهم للسخرية والاستهزاء في نظرهم، فهذا غير صحيح؛ لأن لكل صحابي فضلاً يخصه وهم مشتركون جميعاً في فضل الصحبة وإن كانوا متفاوتين في منازلهم عند الله جل وعلا، وهذا القدر المشترك بينهم وهو فضل الصحبة يمنع من الاستهانة بهم.

واحة الإيمان

إعداد : محمد شفيق

من روائع الحكمة

■ إذا أوتيت علما فلا تطفئ نوره بظلمة الذنوب.
■ لا ينال ما عند الله إلا بعين شاهدة ونفس مجاهدة.
■ الكريم من كف أذاه والقوي من غلب هواه.
■ الناس من خوف الذل في ذل.
■ كلما زاد عدد الجهلاء ارتفعت قيمة الأذكياء.
■ اعرف قيمة ساعاتك، واحرص على دقائقك وثوانيك.

من أعطي أربعا لم يمنع أربعا

■ قال حكيم: من أعطي أربعا لم يمنع أربعا: من أعطي الشكر لم يمنع المزيد، ومن أعطي التوبة لم يمنع القبول، ومن أعطي الاستخارة لم يمنع الخير، ومن أعطي المشورة لم يمنع الصواب.

أعظم جرعة

■ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «ما من جرعة أعظم أجراً عند الله من جرعة غيظ كظمها عبد ابتغاء وجه الله» رواه ابن ماجه.

السيدة والمتسول

■ أعطت سيدة متسولاً أتقن تمثيل العرج بعض المال، ثم قالت تواسيه: من المؤلم حقا أن يفقد المرء إحدى ساقيه، ولكن عليه أن يحمد الله على أنه أحسن ممن فقدوا نعمة البصر، فقال المتسول: صدقت يا سيدتي فحينما كنت أعمى كانت الهبات التي أحصل عليها من النقود المزيفة!

النفس

■ وقال سهل بن عبدالله: الجاهل ميت والناسي نائم، والعاصي سكران والمصر هالك، والإصرار هو التسويف، والتسويف أن يقول: أتوب غداً، وهذه الدعوى النفس، كيف يتوب غداً، وغد لا يمكنه!

القلوب كالقدور

■ القلوب كالقدور في الصدر تغلي بما فيها، ومعارفها ألسنتها، فانتظر الرجل حتى يتكلم فإن لسانه يغترف لك ما في قلبه من بين حلو وحامض، وعذب وأجاج.

كلمات ومعان

الخاتون: هي المرأة الشريفة.
الضعضعة: الخضوع والتذلل.
الغيهب: شدة سواد الليل.
أبو البهلول: القمر ليلة البدر.
القهرمانة: هي مديرة البيت ومتولية شؤونه.
العرندسة: الناقة القوية.
مازن: بيض النحل.
صرصر: شديد البرد.
البث: الحزن الشديد.
الدوسر: الضخم من الإبل.
الأنف: الجديد من كل شيء.

نعم الله

■ على كل عاقل أن يفطن إلى نعم الله عليه بالإحسان، ومحاسبة النفس ورقابة الضمير، ورحم الله من قال:

اغتنم في الفراغ فضل ركوع
فعسى أن يكون موتك بغتة
كم صحيح مات من غير سقم
ذهبت نفسه الصحيحة فلتة

من كتب السنة

■ صحيح البخاري: ٧٥٩٣ حديثاً ■ صحيح مسلم: ٣٠٢٣ حديثا ■ سنن الترمذي: ٣٩٥٦ حديثا ■ سنن النسائي: ٥٧٥٨ حديثاً ■ سنن أبي داود :٥٢٧٤ حديثاً ■ سنن ابن ماجه: ٤٣٤١ حديثاً ■ سنن الدارمي: ٣٥٠٣ حديثاً ■ موطأ مالك: ١٨٩١ حديثاً ■ مسند أحمد: ٢٧٧٤٦ حديثا.

اليقين هو العين الثاقبة

■ اليقين هو العين الثاقبة التي تريك الأعمال على حقيقتها، فما كان لك في الآخرة أمضيته، وما كان عليك في الآخرة أعرضت عنه وطرحته، كم من عين مبصرة وبصيرتها عمياء، وقلب ينبض ولا روح فيه، وأناس يمشون على الأرض وهم في القبور منذ زمن، وما أصدق قول الشاعر يصف الموقن بقوله:

متيقظ العزمات ما نهضت به
عزماته نحو العلا لم يقعد
يكاد من نور البصيرة أن يرى
في يومه فعل العواقب في غد

أصوات الأشياء

■ صوت الريح: هزير، صوت الرعد: هزيم، صوت الجن: عزيف، صوت الشجر: حفيف، صوت الرحى: جعجعة، وصوت الحلى: وسواس، صوت القلم: صرير، صوت المفتاح: قلقلة، صوت الطبل: درداب، صوت الأوتار: طنطنة، صوت الحجام: ضغيل، صوت النحل: دوي.

أوصاف الرجل السيد

■ الحُلاحلُ: السيد الشجاع، الهمام: السيد البعيد الهمة، القمقام: السيد الجواد، الغطريف: السيد الكريم، الصنديد: السيد الشريف، الأروع: السيد الذي له جسم وجهارة، الكوثر: السيد الكثير الخير، البهلول: السيد الحسن البشر، المعمم: الرجل المسود في قومه.

ألا موت يباع فأشتريه

■ كان لمحمد المهلبي قبل أن يترقى وزيراً حال ضعيف، فبينما هو في بعض أسفاره مع رفيق له من أصحاب الحرث والمحراث إلا أنه من أهل الأدب، فأنشد يقول:

ألا موت يباع فأشتريه
فهذا العيش ما لا خير فيه
ألا رحم المهيمن نفس حر
تصدق بالوفاة على أخيه

قال: فرثى له رفيقه وأحضر له بدرهم ما سد رمقه، وحفظ الأبيات وتفرقا، ثم ترقى المهلبي إلى الوزارة وأحنى الدهر على رفيق سفره، فتوصل الى إيصال رقعة إليه مكتوب فيها:

ألا قل للوزير فدته نفسي
مقال مذكر ما قد نسيه
أتذكر إذ تقول لضنك عيش
ألا موت يباع فأشتريه

فلما قرأها المهلبي تذكر وأمر له بسبعمائة درهم، وكتب تحت رقعته قول الله تعالى ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة﴾ (البقرة:٢٦١)، ثم قلده عملا يرتزق منه.

سموه بالأمين

■ سمى أهل قريش الرسول ﷺ بالأمين، لأنه كان أمينا في كل شيء، أمينا في كلامه، أمينا في عمله، أمينا في تعامله مع الناس، لم تمتد يده قط إلى دينار ليس له، فاحتفظ كثيرون بأموالهم عنده، وائتمنوه على تجارتهم ثقة فيه واطمئناناً إلى أمانته.

الحجاج والشعبي

■ دخل الشعبي على الحجاج، فقال له: كم «عطاءك»؟ قال: «ألفين»، قال: ويحك! كم عطاؤك؟ قال: ألفان، قال: فلم لحنت فيما لا يلحن فيه مثلك؟! قال: لحن الأمير فلحنت، وأعرب الأمير فأعربت، ولم يكن ليلحن الأمير فأعرب أنا عليه، فأكون كالمقرع له بلحنه، والمستطيل عليه فضل القول قبله، فأعجبه ذلك منه، ووهبه مالاً.

من سالم الناس

كل كسر فإن الله يجبره
وما لكسر قناة الدين جبران
ويا حريصاً على الأموال تجمعها
أقصد فإن سرور المال أحزان
اشدد يدك بحبل الله معتصماً
فإنه الركن إن خانتك أركان
من استعان بغير الله في طلب
فإن ناصره عجز وخذلان
من سالم الناس يسلم من غوائلهم
وعاش وهو قرير العين جذلان

قطوف من التراث العربي

■ يروى أن معن بن زائدة دخل على الخليفة أبي جعفر المنصور، فقال له: كبرت يا معن. فقال له: في طاعتك يا أمير المؤمنين، قال: وإنك لجلد. قال: على أعدائك يا أمير المؤمنين، قال: وإن فيك لبقية، قال: هي لك يا أمير المؤمنين.



ما تشتهي؟

■ قيل لحكيم ما تشتهي؟ قال: عافية يوم. فقيل له: ألست في عافية سائر الأيام؟ قال: العافية أن يمر بك اليوم بلا ذنب.

مسك الختام



د.محمد حسان الطيان

فن الخطابة

ما جرت بي عادتي أن أعتلي المنابر، أو أتكلم بين حشود الناس، أو أقوم خطيبا في مناسبة. ولا يغرنكم مني بضاعة مزجاة في علوم العربية وما إليها، فهذا شأن واعتلاء المنابر شأن آخر، إنه شأن يحتاج إلى تمرس وتدريب، وطول معاناة وخبرة وتجريب، وإلى ذلك كله لسان فصيح، وجنان قوي، وبديهة مواتية، وحس مرهف، وفقه بقضايا العصر ومشكلات المجتمع، وإلا فما فائدة الكلام في أمور نجترها في كل وقت وحين، وتلوكها بعض الألسنة معادة مكرورة دون أن تمس حاجة من حوائج الناس، أو مشكلة من مشاكلهم، أو معاناة مما يعاني منه المجتمع.

إن الخطيب كالشاعر يهتز لحادث حدث أو طارئ طرأ فيهز الناس من حوله، يحس بما يعاني الناس من خطوب الدهر وما يواجهون من أخطار وما يحيق بهم من مكر؛ فيتلمس لكل ذلك الحلول الناجعة، ويبث في صفوف الناس الأمل المشرق، ويحذر من الأخطار المحدقة، ويتصدى للأفكار الملوثة، إنه يحلل أدواء المجتمع وآفاته وأمراضه ويشخصها ليحاول معالجتها واصفًا أنجع الأدوية للخلاص منها.

إنه عند التبصر والتدبر لسان أمته، المعبر عن آلامها، الماسح لأحزانها، المنبه على أي خطر يحدق بها، والساعي إلى مواجهة كل خطب يلم بها.

ولعمري إن هذا لا يتأتى لكل خطيب حتى يكون له من ورائه عقل واع، وفكر سديد، واطلاع واسع، وثقافة متطاولة متقادمة ترفده في كل أمر يتصدى له، دع عنك سلامة اللغة، ونصاعة العبارة، واستحضار الشواهد، وحسن التمثيل، وعلو البيان، وجودة الإلقاء، إنه كما قال الشاعر:

طَبِيبٌ بداء فُنُونِ الكلام ... لَمْ يَعْيَ يوماً ولم يَهْذُرِ
فإنْ هو أَطْنَبَ في خُطْبَةٍ ... قَضَى للمُطِيلِ على المُنْزِرِ
وإن هو أَوْجَزَ في خُطْبَةٍ ... قَضَى للمُقِلِّ على المُكْثِرِ

على أني لا أرى الإطناب والإكثار والتطويل لائقا بخطيب مهما بلغ من أمره، لأنه مدعاة للملل وإلى انصراف السامع وانشغال فكره، ولأن الكلام الطويل ينسي آخره أوله، ويعجز المرء عن استيعاب مجمله، فضلا عن تفصيلاته ودقائقه. وما أحسن هدي رسولنا الكريم ﷺ إذ يقول فيما رواه عنه عمار بن ياسر في هذا: «إن طول صلاة الرجل، وقصر خطبته، مئنة من فقهه» (رواه مسلم) قال الجاحظ: مئنة كقولك: مخلقة ومجدرة ومحراة، قال الأصمعي: مئنة: علامة. وقد اتبع الصحابة الكرام رضوان الله عليهم هدي النبي ﷺ في هذا، جاء في صحيح مسلم: قال أبووائل: خطبنا عمار فأوجز وأبلغ، فلما نزل قلنا: يا أبا اليقظان، لقد أبلغت وأوجزت فلو كنت تنفست (أي أطلت) قال إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن طول صلاة الرجل، وقصر خطبته، مئنة من فقهه، فأطيلوا الصلاة واقصروا الخطبة، وإن من البيان سحرا» (رواه مسلم)

وأنت لا تكاد تقف على خطبة من خطب البلغاء والفصحاء والأبيناء تتجاوز الصفحات ذوات العدد، بل إن كثيرا من الخطب العصماء التي اشتهرت في دنيا الخطابة لا تتجاوز الصفحة الواحدة، مع أنها اشتملت على معان وقيم وشمائل وحكم صلح عليها أمر الناس وأصبحت مضرب المثل في البلاغة والفصاحة والبيان. ودونك جمهرة خطب العرب، ونهج البلاغة، والبيان والتبيين وقد جمع فيه الجاحظ أجمل الخطب وأبدعها، وأفصحها وأبينها، وأوجزها وأقصرها.

إنها الفصاحة في أبهى صورها! وهي لعمري تذكر بتلك العبارة الجامعة التي قالها شبة بن عقال التميمي للخليفة المنصور تعليقا على خطبة سمعها في مجلسه «لله درّ خطيب قام عندك يا أمير المؤمنين: ما أفصح لسانه، وأحسن بيانه، وأمضى جنانه، وأبلّ ريقه، وأسهل طريقه!»

إن الخطابة فن وعلم، موهبة واكتساب، سليقة ومهارة. وإن لها أصولا ينبغي أن تتبع، وشروطا يجب أن تتوفر، ولعل خير من أوجز تلك الأصول الجاحظ فيما نقله في بيانه وتبيينه عن أبي داود بن حريز حيث قال «رأس الخطابة الطبْع، وعَمودُها الدُّربة، وجناحاها رواية الكلام، وحَلْيُها الإعراب، وبهاؤها تَخيُّر الألفاظ، والمحبَّة مقرونةٌ بقلّة الاستكراه».

على أن أسوأ ما منيت به الخطابة في أيامنا هذه كثرة اللحن، واللحن قبيح مستنكر حتى لو جاء عرَضا، فكيف إذا فشا وانتشر؟! إنه يحيل الخطبة إلى ضرب من العقوبة يستعجل السامع انقضاءها، ويتنفس الصعداء عند انتهائها! فقل لي بربك أليس عدمها خيرا منها ومن تتبع أخطائها؟!



وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
قطاع الشئون الثقافية
الوعي الإسلامي
على C.D
بشرى سارة
قراءنا الأعزاء نزف إليكم
بشرى صدور C.D
بصيغة pdf لتوثيق
مسيرة المجلة التاريخية
في رحاب الصحافة الهادفة
خلال ٤٦ عاما
٤٦ عاماً من العطاء
المجموعة الكاملة المصورة لمجلة الوعي الإسلامي
الجزء الثاني
الأعداد من (٣١٣) إلى (٥٢٦)
المجموعة الكاملة المصورة لمجلة الوعي الإسلامي
احصل على نسختك الآن عند الإشتراك في المجلة
٤٦ عاماً من العطاء
الجزء الأول
الكشاف العام + العدد (١) إلى (١٥٦)
www.alwaei.com
٤٦ عاماً من العطاء
الجزء الرابع
من العدد (٤٢١) الى (٥٢٦)
www.alwaei.com
٤٦ عاماً من العطاء
الجزء الثاني
من العدد (١٥٧) إلى (٣١٢)
www.alwaei.com
٤٦ عاماً من العطاء
الجزء الثالث
من العدد (٣١٣) الى (٤٢٠)
www.alwaei.com
info@alwaei.com - www.alwaei.com
الكويت - المسجد الكبير - ١٨٤٤٠٤٤ - ٢٢٤٦٧١٣٢ - فاكس - ٢٢٤٧٣٧٠٩